

السيرة النبوية

لابن هشام

قدّم لها وعلق عليها وضم إليها

طاهر بن الزعفراني

هذا العمل

السيرة النبوية

لابن هشام

أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافى

المتوفى بمصر سنة ٢١٣ هـ - عمرة

قدم لما وعلق عليها وخطها

طاهر الرزوقي

أجزء الثالث

From The Library of
Ismail Serageldin

دار الجليل

بيروت

طبعة جديدة.
مطبوعة - منقحة

حقوق الطبع محفوظة

١٩٧٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

غزوة بني سليم بالكدر

قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقيم بها (١) إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه ، يريد بني سليم

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سباع بن عرفتة الغفاري ، أو ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : فبلغ ماء من مياههم ؛ يقال له : الكدر ، فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقية شوال وذا النعدة ، وأفدى في إقامته تلك جل الأسارى من قريش .

غزوة السويق (٢)

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام : قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق الملقب ، قال ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السويق في ذي الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون من تلك السنة ، فكان أبو سفيان كما حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، ويريد بن رومان ، ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان من أعلم الأنصار ، حين رجع إلى مكة ، ورجع فل (٣) قريش من بدر ، نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة (٤) حتى يغزو محمداً صلى الله عليه وسلم ، فخرج في متي راكب من قريش ، ليبر يمينه ، فسلك النجدية ، حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له : ثيب ، من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل ، حتى أتى بني النضير تحت الليل ، نأتى حي بن أخطب ، فضرب عليه باب ، فأتى أن يفتح له باب ، وخافه ، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم ، وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك ، وصاحب كزهم . فاستأذن عليه ، فأذن له ، فقرأه وسقاه ويطن (٥) له من خبر الناس ، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه ، فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة ، وأتوا نأحية منها ، يقال لها : العريض فخرقوا في أصوار (٦) من مخمل بها ، ووجدوا بها رجالاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لها ، فقتلوهما ، ثم انصرفوا راجعين .

(١) أى لما قدم من بدر لم يقيم بالمدينة .

(٢) السويق : عبارة عن حنطة أو شعير محمص مطحون مزوج بعسل وسمن .

(٣) الفل : المهزومون . (٤) كان الغسل من الجنابة معمولاً به في الجاهلية .

(٥) بطن له أمر الناس : أعليه بسرهم . (٦) الأصوار : جمع صور وهو جماعة النخل .

ونذر بهم الناس . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم ، واستعمل على المدينة بشير ابن عبد المنذر ، وهو أبو لبابة ، فيما قال ابن هشام ، حتى بلغ قرقرة الكدور ، ثم انصرف راجعاً ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ، وقد رأوا أزواداً من أزواد القوم قد طرحوها في الحرث يتخففون منها للنجاء ، فقال المسلمون ، حين رجع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، أنطمع لنا أن تكون غزوة ؟ قال : نعم .

قال ابن هشام : وإنما سميت غزوة السويق ، فيما حدثني أبو عبيدة : أن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم السويق ، فهجم المسلمون على سويق كثير فسميت غزوة السويق .

قال ابن إسحاق : وقال أبو سفيان بن حرب عند منصرفه ، لما صنع به سلام بن مشكم :

ولاني تخيرت المدينة واحداً	لحلف فلم أندم ولم أتلوم ^(١)
سقاني فرواني كميّاً مداماً	على عجل مني سلام بن مشكم ^(٢)
ولما تولى الجيش قلت ولم أكن	لأفرحه : أبشر بعز ومقتم
تأمل فإن القوم سر ولاهم	صريح لؤي لاشماطيط جرم ^(٣)
وما كان إلا بعض ليلة راكب	أنى ساعياً من غير سخلنة مُعِدِم

غزوة ذي أبحر

فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السويق ، أقام بالمدينة بقيه ذي الحجة أو قريباً منها ، ثم غزا نجداً ، يريد غطفان ، وهي غزوة ذي أمر ، واستعمل على المدينة عثمان ابن عفان ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فأقام بنجد صفراً كله أو قريباً من ذلك ، ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق كيداً . فلبث بها شهر ربيع الأول كله ، أو إلا قليلاً منه .

غزوة الفرع من بحران

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد قريشا ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

(١) المدينة : أراد من المدينة . (٢) الكميّ : اسم من أسماء الخمر .

(٣) السر والصرح : الخالص . والشماطيط : المختلطون .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ بجران ، معدنا بالحجاز من ناحية القُرْمُع^(١) ، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

أمر بني قينقاع

قال : وقد كان فيما بين ذلك ، من غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بني قينقاع ، كان من حديث بني قينقاع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق بني قينقاع ، ثم قال : يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة ، وأسلوا ، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم : قالوا : يا محمد ، إنك ترى أنا قومك ؟ لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربناك لتعلن أنا نحن الناس .

قال ابن إسحاق : لحدثني مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير ، أو عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم : « قل للذين كفروا استغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية في فتنة التقتا » : أي أصحاب بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقريش « فتنة تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافرة يرونها مثلهم رأى العين ، والله يؤيد نصره من يشاء » ، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن بني قينقاع كانوا أول يهود تقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد .

قال ابن هشام : وذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخزومة ، عن أبي عون ، قال : كان من أمر بني قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب^(٢) لها ، فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعمقه إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءتها ، فضحكوا بها ، فصاحت . فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهودياً ، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول ، حين أمكنه منهم ، فقال : يا محمد ، أحسن في أموالنا ، وكانوا حلفاء الخزرج : قال : فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) القُرْمُع : قرية ناحية المدينة . (٢) الجلب : البضائع التي تحضر في الأسواق للبيع .

فقال : يا محمد أحسن في موالى ، قال : فأعرض عنه . فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وكان يقال لها : ذات الفضول .

قال ابن إسحاق : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلنى ، وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رآوا لوجهه ظللاً^(١) ثم قال : ويحك ! أرسلنى : قال : لا والله لأرسلك حتى تحسن في موالى ، أربعمائة حاسر^(٢) وثلاثمائة دارع^(٣) قد منعوني من الأحمر والأسود ، تحمدكم في غداة واحدة ، إني والله امرؤ أخشى الدوائر : قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم لك .

قال ابن هشام : واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة في محاصرته إياهم بشير ابن عبد المذزر ، وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلة .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن عباد بن الوليد بن عباد بن الصامت قال : لما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي بن سلول وقام دونهم . ومشى عباد بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أحد بني عوف لهم من حلفه مثل الذى لهم من عبد الله بن أبي ، فحلفهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتبرأ إلى الله عز وجل ، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم من حلفهم ، وقال : يا رسول الله ، أتولى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم . قال : ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت هذه القصة من المائدة : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منهم فإنه منهم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين . فترى الذين في قلوبهم مرض ، أى لعبد الله بن أبي وقوله : إني أخشى الدوائر ، يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده ، فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين . ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم ، ثم القصة إلى قوله تعالى : : إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . وذكر لتولى عباد بن الصامت الله ورسوله والذين آمنوا ، وتبرأته من بنى قينقاع وحلفهم وولايتهم : ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون .

(١) الظل : جمع ظلة ، واستعاره هنا لتغير الوجه وتجمعه .

(٢) الحاسر : من لا درع له .

(٣) الدارع من عليه درع .

سرية زيد بن حارثة إلى القردة

قال ابن إسحاق : وسرية زيد بن حارثة التي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، حين أصاب غير قريش ، وفيها أبو سفيان بن حرب ، على القردة ، ماء من مياه نجد . وكان من حديثها : أن قريشاً خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكون إلى الشام ، حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العراق ، فخرج منهم تجار ، فيهم : أبو سفيان بن حرب ، ومعه فضة كثيرة ، وهي معظم تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بني بكر بن وائل ، يقال له : فرات بن حيان يدلهم في ذلك على الطريق .

قال ابن هشام : فرات بن حيان ، من بني عجل ، حليف لبني سهم .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فلقبهم على ذلك الماء فأصاب تلك العير وما فيها ، وأعجزه الرجال ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال حسان بن ثابت بعد أحد في غزوة بدر الآخرة يؤنب قريشاً لاخذهم تلك الطريق :

دعوا فليجات الشام قد حال دونها جلاد كأفواه المخاض الأوارك^(١)
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم وأنصاره حقاً وأيدي الملائك
إذا سلكت للغور من بطن عالج فقولا لها ليس الطريق هنالك^(٢)

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في أبيات لحسان بن ثابت ، تقضها عليه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وسند كرها وتقضتها إن شاء الله في موضعها .

مقتل كعب بن الأشرف

قال ابن إسحاق : وكان من حديث كعب بن الأشرف : أنه لما أصيب أصحاب بدر ، وقدم زيد بن حارثة إلى أذل السافلة ، وعبد الله بن رواحة إلى أذل العالية بشيرين ، بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عز وجل عليه ، وقتل من قتل من المشركين ، كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة الظفري ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وصالح بن أبي أمامة بن سهل ، كل قد حدثني

(١) الفليجات : العيون الجارية . والمخاض : حوامل الإبل : والأوارك : التي ترعى شجر الأراك الذي تتخذ من أغصانه المساويك .

(٢) الغور : ما انخفض من الأرض ووطن عالج : مكان .

بعض حديثه ، قالوا : قال كعب بن الأشرف ، وكان رجلاً من طيء ، ثم أحد بني نهبان ، وكانت أمه من بني النضير ، حين بلغه الخبر : أحق هذا ؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان — يعنى زيدا وعبد الله بن رواحة — ف هؤلاء أشرف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم ، لبطن الأرض خير من ظهرها .

فلما تيقن عدو الله الخبر ، خرج حتى قدم مكة ، فنزل على المطلب بن أبي وداعة بن ضبيعة السهمي ، وعنده غاتكة بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، فأنزله وأكرمه ، وجعل يعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينشد الأشعار ، ويبكي أصحاب النليب من قريش ، الذين أصيبوا بدر ، فقال :

طلحت رحي بدر لمهلك أهله	ولئل بدر تستهل وتدمع
قتلت سراة الناس حول حياضهم	لا تبعدوا إن الملوك تُصرع
كم قد أصيب به من أبيض ماجد	ذبي بهجة يأوى إليه الضيع
طلق الدين إذا الكواكب أخلفت	حمال أثقال يسود ويربع (١)
ويقول أقوام أسر بسخطهم	إن ابن الأشرف ظل كعبا يجمع
صدقوا نليت الأرض ساعه قتلوا	ظلت تسوخ بأهلها وتصدع
صار الذي أثر الحديث بطلعه	أو عاش أعمى مرعشا لا يسمع
نبئت أن بني المغيرة كلهم	خشموا لقتل أبي الحكيم وجدعوا (٢)
وابنا ربيعة عنده ومنبه	ما نال مثل المملكين وتبع
نبئت أن الحارث بن هشامهم	في الناس بيني الصالحات ويجمع
ليزور يثرب بالجموع وإنما	يحمي على الحسب الكريم الأروع (٣)

قال ابن هشام : قوله « تبع » ، « وأسر بسخطهم » . عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري ، فقال :

(١) يربع : أى يأخذ المربع أى ربع الغنمة وهو من نصيب الرؤساء في الجاهلية .

(٢) التجديع : قطع الأنوف وهو هنا كناية عن الذل .

(٣) الأروع : من يهرك حسنه

أبكى لكعب ثم عمل بمبرة منه وعاش نجدا لا يسمع^(١)
ولقد رأيت بطن بدر منهم قتلى تسح لها العيون وتدمع
فأبكى فقد أبكى عبدا راضعا شبه الكلب إلى الكلية يتبع
ولقد شفى الرحمن منا سيدا وأمان قوما قاتلوه ومصرعوا
ونجا وأنت منهم من قلبه شغف يظل لخوفه يتصدع^(٢)

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان . وقوله « أبكى لكعب » عن
غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقالت امرأة من المسلمين من بني مُرَيْد ، بطن من بلي ، كانوا حلفاء في بني
أمية بن زيد : يقال لهم : الجمادرة ، تجيب كعبا — قال ابن إسحاق : اسمها ميمونة بنت
عبد الله ، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه الآيات لها ، وينكر تقيضتها لكعب
ابن الأشرف :

تحن هذا العبد كل تحن يسكى على قتلى وليس بناصب
بكت عين من يبكي لبدر وأهله ومُلت بتليها لؤى بن غالب
فليت الذين مُخرجوا بدماهم يرى ما بهم من كان بين الأخشاب^(٣)
فيعلم حقا عن يقين ويصروا مجرم فوق اللحي والحواجب

فأجابها كعب بن الأشرف ، فقال :

ألا فازجروا منكم سفيا لتسلوا عن القول يأتي منه غير مُقارب
أنشئني أن كنت أبكى بمبرة لقوم أتاني ودم غير كاذب
فإني لباك ما بقيت وذاكر ماثر قوم مجدم بالجباب^(٤)
لعمري لقد كانت مُريد بمزل عن الشر فاحتالت وجوه الثعالب

(١) العال : الشرب بعد الشرب واستعاره هنا لمدامته للبقاء .

(٢) الشغف : من تقطع شغاف قلبه حزنا .

(٣) الأخشاب : يريد الأخشيين وما جبلان بمكة وجمعها مع الجبال التي معها .

(٤) الجباب : جبال مكة .

فحق مريد أن تجسد أنوفهم بشتهم حيي لوى بن غالب
وهبت نصلي من مريد لجعدر وفاء وبيت الله بين الأناشب

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فشذب بنساء المسلمين حتى آذاهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة من لي بآبن الأشرف ؟ فقال له محمد ابن مسلمة : أخو بني عبد الأشهل : أنا لك به يارسول الله ، أنا أقتله ؛ قال فافعل إن قدرت على ذلك^(١) . فرجع محمد بن مسلمة فسكت ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق به نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه ، فقال له : لم تركت الطعام والشراب ؟ فقال : يارسول الله ، قلت لك قولاً لأدري هل أفين لك به أم لا ؟ فقال : إنما عليك بالجهد ؛ فقال : يارسول الله ، إنه لا بد لنا من أن نقول : قال قولوا ما بد لكم ، فأتم في حل من ذلك . فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة ، وسليمان بن سلامة بن وقش ، وهو أبو نائلة ، أحد بني عبد الأشهل ، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاغة ، وعباد بن بشر بن وقش ، أحد بني عبد الأشهل ، والحارث بن أوس بن معاذ ، أحد بني عبد الأشهل ، وأبو عبس بن جبر ، أحد بني حارثة ، ثم قدموا إلى عدو الله كعب بن الأشرف ، قبل أن يأتوه ، سليمان بن سلامة ، أبانائلة ، فجاءه فتحدث معه ساعة ، وتناشدوا شعراً ، وكان أبونائلة يقول الشعر ثم قال : وبحك يا بني الأشرف ! إني قد جئت لك حاجة أريد ذكرها لك ، فآتم عني ، قال : أفعل ، قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء ، عادتنا به العرب ، ورمتنا عن قوس واحدة ، وقلمعت عنا السبل حتى ضاع العيال ، وجهدت الأنفس ، وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا ؛ فقال كعب : أنا ابن الأشرف ، أما والله لقد كنت أخبرك يا بن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول ؛ فقال له سليمان : إني قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونزهنك ونوثق لك ، ونحسن في ذلك ؛ فقال : أترهونني أبناءكم ؟ قال : لقد أردت أن تفضحننا إن معي أصحابا لي على مثل رأيي ، وقد أردت أن آتيك بهم ، فتبيعهم وتحسن في ذلك ، ونزهنك من الحلقة^(٢) ما فيه وفاء ، وأراد سليمان أن لا ينكر السلاح إذا جاءوا بها ؛ قال : إن في الحلقة لوفاء ؛ قال : فرجع سليمان إلى أصحابه

(١) فيه من الفقه : وجوب قتل من سب النبي -- صلى الله عليه وسلم -- وإن كان ذا عهد ، خلافاً لآبي حنيفة رحمه الله فإنه لا يرى قتل الذمي في مثل هذا ، ووقع في كتاب شرف المصطفى أن الذين قتلوا كعب بن الأشرف حملوا رأسه في غللة إلى المدينة ، قليل : إنه أول رأس حمل في الإسلام .

(٢) الحلقة : الدروع .

فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ، ثم يتطلقوا فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : ويقال : أترهنوني نساءكم ؟ قال : كيف ترهنك نساءنا ، وأنت أشب أهل يثرب وأعطوهم ؛ قال : أترهنوني أبناءكم ؟

قال ابن إسحاق : فحدثني ثور بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . قال :

مشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد ، ثم وجههم ، فقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، وهو في ليلة مقمرة وأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه ، فهتف به أبو نائلة ، وكان حديث عهد بعرس ، فوثب في ماحفته فأخذت امرأته بتأحياتها ، وقالت : إنك امرؤ محارب ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة . قال : إنه أبو نائلة ، لو وجدني نائما لما أيقظني ؛ فقالت : والله إنني لأعرف في صوته السر ؛ قال : يقول لها كعب : لو مئدعي الفتى الملعنة لأجاب . فنزل فتحدث معهم ساعة ، وتحدثوا معه ، ثم قال : هل لك يابن الأشرف أن تتماشى إلى شعب العجوز^(١) ، فتحدث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم . فخرجوا يتماشون ، فمشوا ساعة ، ثم إن أبا نائلة شام^(٢) يده في فود رأسه ، ثم شم يده فقال : ما رأيت كالليلة طيبا أعطر قط ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها ، فأخذ بفود رأسه ، ثم قال : اضربوا عدو الله ، فضربوه ، فاختلفت عليه أسيافهم ، فلم تغن شيئا .

قال محمد بن مسلمة : فذكرت مغولا^(٣) في سبني ، حين رأيت أسيافنا لا تنفي شيئا ، فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا وقد أوقدت عليه نار قال : فوضعت في نئه^(٤) ثم تحاملت عليه حتى بلغت عاتته فوقع عدو الله ، وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ ، لجرح في رأسه أو في رجله ، أصابه بهض أسيافنا . قال : فخرجنا حتى سلكننا على بني أمية بن زيد ، ثم على بني قريظة ، ثم على بعاث حتى أسندنا^(٥) في حرة^(٦) العريض^(٧) ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ، ووزنه الدم ، فوقفنا له ساعة ، ثم أتانانا يتبع آثارنا .

(١) مكان خارج المدينة . (٢) شام : أدخل .

(٣) المغول : حديدة تجعل في السوط فيكون لها غلانا .

(٤) النئة : ما بين السرة والعانة . (٥) أسندنا : ارتفعنا .

(٦) الحرة : الأرض ذات الحجارة السود . (٧) العريض : وادي المدينة .

قال : فاجتمعنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل ، وهو قائم يصلي ، فسلمنا عليه فخرج إلينا ، فأخبرناه بقتل عدو الله ، وتفل على جرح صاحبنا ، فرجع ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله ، فليس بها يهودى إلا وهو يخاف على نفسه .

قال ابن إسحاق : فقال كعب بن مالك :

فغدر منهم كعب صريعا^(١) فذلت بعد مصرعه النصير
على الكفين ثم وقد علته بأيدينا مشهرة ذكور
بأمر محمد إذ دس ليلا إلى كعب أخا كعب يسير
فاكره فأنزله بمكر ومحمود أخو ثقة جسور

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له في يوم بنى النصير ، سأذكرها إن شاء الله في حديث ذلك اليوم .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام بن أبي الحقيق :

لله در عصابة لاقيتهم يابن الحقيق وأنت يابن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليكم مرحا كأسد في عرين مغرف^(١)
حتى أتوكم في محل بلادكم فسقوكم حقا ببيض ذنف^(٢)
مستصرين لنصر دين نبيهم مستصرين لكل أمر مجحف

قال ابن هشام : وسأذكر قتل سلام بن أبي الحقيق في موضعه إن شاء الله .

وقوله : دذنف ، عن غير ابن إسحاق .

أمر محيصة وحويصة

قال ابن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه ، فوثب محيصة بن مسعود — قال ابن هشام محيصة ويقال : حويصة بن مسعود بن كعب بن عامر بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس — على ابن مسينة — قال ابن هشام : ويقال شينة — رجل من تجار يهود ، كان

(١) المغرف : الملفف الشجر . (٢) البيض الذنف : السيوف سريعة القتل .

يلايسهم ويبيعهم فقتله وكان حويصة بن مسعود إذ ذاك لم يسلم ، وكان أسن من محيصة ، فلما قتله جعل حويصة يضربه ، ويقول : أى عدو الله ، أقتله ، أما والله لرب شحم فى بطنك من ماله . قال : محيصة ؛ فقلت : والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك ؛ قال فوالله إن كان لأول إسلام حويصة قال : آو الله لو أمرك محمد بقتلى لقتلتنى ؟ قال : نعم والله لو أمرنى بضرب عنقك لضربتها ؛ قال : والله إن ديننا بلغ بك هذا لعجب ، فأسلم حويصة .

قال ابن إسحاق : حدثنى هذا الحديث مولى لبنى حارثة ، عن ابنة محيصة ، عن أبيها محيصة . قال محيصة فى ذلك :

يلوم ابن أمى لو أمرت بقتله	لطبقت ذفراه بأبيض قاضب ^(١)
حسام تكون الملح أخلص صقله	مقى ما أصوبه فليس بكاذب
ما سرنى أنى قتلتك طائما	وأن لنا ما بين بصرى ومأرب

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة عن أبي عمرو المدنى ، قال : لما ظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة أخذ منهم نحواً من أربعائة رجل من اليهود ، وكانوا حلفاء الأوس على الخزرج ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تضرب أعناقهم ، فجعلت الخزرج تضرب أعناقهم ، ويسرم ذلك ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخزرج ووجوههم مستبشرة ونظر إلى الأوس فلم ير ذلك فيهم ، فظن أن ذلك للحلف الذى بين الأوس وبين بنى قريظة ولم يكن بقى من بنى قريظة إلا اثنا عشر رجلاً ، فدفعهم إلى الأوس ، فدفع إلى كل رجلين من الأوس رجلاً من بنى قريظة وقال : ليضرب فلان وليذنب فلان فكان من دفع إليهم كعب بن يهودا ، وكان عظيماً فى بنى قريظة ، فدفعه إلى محيصة بن مسعود ، وإلى أبى بردة بن نيار — وأبو بردة الذى رخص له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن يذبح جذعاً من المعز فى الأضحية — وقال : ليضربه محيصة وليذنب عليه أبو بردة ، فضربه ضربة لم تقطع ، وذنب أبو بردة فأجهز عليه . فقال حويصة ، وكان كافراً ، لأخيه محيصة : أقتلت كعب بن يهودا ؟ قال ، نعم ، فقال حويصة : أما والله لرب شحم قد نبت فى بطنك من ماله ، إنك للثيم يا محيصة ، فقال له محيصة : لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لقتلتك ، فعجب من قوله ثم ذهب عنه متعجباً . فذكروا أنه جعل يتليقظ من الليل : فيعجب من قول أخيه محيصة . حتى أصبح وهو يقول :

(١) طبقت : قطعت : والذفران : عظمان ناتئان خلف الأذنين ، والأبيض : يريد به السيف ، والقاضب : القاطع .

والله إن هذا لدين . ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فقال محيصة في ذلك أياتا قد كتبناهما .

قال ابن إسحاق : وكانت إقامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد قدومه من نجران ، جماد الآخرة ورجبا وشعبان وشهر رمضان ، وغزته قريش غزوة أحد في شوال سنة ثلاث .

غزوة أحد

وكان من حديث أحد ، كما حدثني محمد بن مسلم الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم ابن عمر بن قتادة والحسين بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا ، أنهم قد حدث بعض الحديث عن يوم أحد ، وقد اجتمع حديثهم كله فيما سقت من هذا الحديث عن يوم أحد قالوا ، أو من قال منهم .

لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ، ورجع فلم يزلوا إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بغيره ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية في رجال من قريش ، ممن أصيب آبائهم ولأخوانهم يوم بدر ، فكلّموا أبا سفيان بن حرب ، ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ، إن محمدا قد وترككم ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حرب ، فعلمنا ندرنا منه نأرنا بمن أصاب منا ، ففعلوا .

قال ابن إسحاق : ففهم ، كما ذكر لي بعض أهل العلم ، أنزل الله تعالى : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسيثقلونها ثم تكون عليهم حسرة ، ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون » .

اجتماع قريش للحرب فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان بن حرب ، وأصحاب العير بأحابيشها ^(١) ، ومن أطاعها من قبائل كنانة ، وأهل تهامة . وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي قد من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة ، وكان في الأسارى فقال : إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن علي صلى الله عليك وسلم ، فن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر ، فأعنا بلسانك ، فاخرج معنا : فقال : إن محمداً قد من علي فلا أريد

(١) الأحابيش من انضموا إليهم وليسوا منهم .

أن أظاھر عليه ؛ قال : بلى فأعنا بنفسك ، فلك الله على إن رجعت أن أغنيك ، وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتي ، يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر ، نخرج أبو عزة في تهامة ، ويدعو بني كنانة ويقول :

إيها بني عبد مناة الرزّام أنتم حماة وأبوكم حام (١)
لا تعدوني نصركم بعد العام لا تسلبوني لا يحل إسلام

وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح إلى بني مالك بن كنانة ، يحرضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

يا مال ، مال الحسب المقدم أنشد ذا القربى وذا التذمم (٢)
من كان ذا رُحم ومن لم يرحم الحلف وسط البلد المحرم
عند حطيم الكعبة المعظم

ودعا جبير بن مطعم ثلاما له حبشياً يقال له : وحشى ، يقذف بحربة له قذف الحبشة ، قلما يخطئ بها ، فقال له اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى ، فأنت عتيق .

فخرجت قريش بمحدها وجددها وحديدها وأحايشها ، ومن تابعها من بني كنانة ، وأهل تهامة وخرجوا معهم بالظعن (٣) ؟ الناس الحفيظة ، وألا يقرأوا . فخرج أبو سفيان بن حرب ، وهو قائد الناس ، بهند بنت عتبة وخرج عكرمة بن أبي جهل بأمر حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية بمرزة بنت مسعود بن عمر بن عمير الثقفية ، وهى أم عبد الله بن صفوان بن أمية .

قال ابن هشام : ويقال : رقية .

قال ابن إسحاق : وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج وهى أم عبد الله ابن عمرو ، وخرج طلحة بن أبي طلحة وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بسلافة بنت سعد بن شهيد الأنصارية وهى أم بني طلحة : مسافع والجلال وكلاب ، قتلوا

(١) الرزّام : من يثبتون في مكانهم لا يبرحونه : يذكر أنهم ثابتون في الحرب .

(٢) يامال : أراد يامالك فرخه . وذا التذمم : الذى له ذمام والذمام العهد

(٣) الظعن : النساء في الهجرات .

يومئذ هم وأبوهم ، وخرجت خناس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بني مالك بن حسل مع ابنها أبي عزيز بن عمير ، وهي أم مصعب بن عمير ، وخرجت عمرة بنت علقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة . وكانت هند بنت عتبة كلما مرت بوحيى أو مر بها ، قالت : وبها (١) أبادمة أشف واستشف ، وكان وحيى يكنى بأبي دسمة ، فأقبلوا حتى نزلوا بعيثين ، بهمل يطن السبخة من قناة على شفير الوادي ، مقابل المدينة .

رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشاورته القرم : قال فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نزلوا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين : إني قد رأيت والله خيرا ، رأيت بقرأ ورأيت في ذباب سيفي ثلما ، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة .

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيت بقرأ لي تدبج ؟ قال : فأما البقر فهي ناس من أصحابي يقتلون ، وأما الثلم الذي رأيت في ذباب سيفي ، فهو رجل من أهل بيتي يقتل .

قال ابن إسحاق : فإن رأيتهم أن يقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رأي عبد الله بن أبي بن سلول مع رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يرى رأيهم في ذلك ، وألا يخرج إليهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج ، فقال رجال من المسلمين عن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره ، من كان فاته بدر يارسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنا جئنا عنهم وضعفنا ؟ فقال عبد الله بن أبي بن سلول : يا رسول الله ، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه ، ندعهم يارسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا غائبين كما جاءوا . فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم ، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته ، فليس لأمته ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة . وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له : مالك بن عمرو ، أحد بني النجار فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج عليهم ، وقد ندم الناس ، وقالوا : استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن لنا ذلك .

(١) كلمة قتال للتخصيص .

فلما خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : يا رسول الله : استكر هناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ينبغي لنبى إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألف من أصحابه . قال ابن هشام : واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس .

التخلدال المنافقين : قال ابن إسحاق : حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد ، انخزل عنه عبد الله بن أبى بن سلول بثلث الناس ، وقال : أطاعهم وعصاني ، ما ندرى علام تقتل أنفسنا ما هنا أيها الناس فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم عبد الله ابن عمرو بن حرام ، أخو بنى سلفة ، يقول : يا قوم ، أذكركم الله ألا تخلدوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم ؛ فقالوا : لو نعلم أنكم تقتلون لما أسلناكم ، ولكننا لا نرى أنه يكون قتال . قال : فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيقتل الله عنكم نبيه .

قال ابن هشام : وذكر غير زياد ، عن محمد بن إسحاق عن الزهرى : أن الأنصار يوم أحد ، قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود ؟ فقال : لا حاجة لنا فيهم .

قال زياد : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك فى حرة بنى حارثة ، فذب فرس بذيئيه ، فأصاب كلاب سيف^(١) فاستله . قال ابن هشام : ويقال : كلاب سيف .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يحب الفأل ولا يعتاف^(٢) . لصاحب السيف : شمس سيفك^(٣) ، فإني أرى السيف ستسل اليوم .

ما كان من مروع المنافق حين سلك المذنبون **حالمهم** : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : من رجل يخرج بنا على القوم من كذب : أى من قرب ، من طريق لا يمر بنا عليهم ؟ فقال أبو خيثمة أخو بنى حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله ، فنفذ به فى حرة بنى حارثة ، وبين أمرالهم ، حتى سلك فى مال لمربع بن فيظى ، وكان رجلا منافقا ضرير البصر ، فلما سمع حسن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين ، قام يحثى فى وجوههم التراب ،

(١) الكلاب : مسمار فى قائم السيف . (٢) اعتاف : تطير .

(٣) شمس سيفك : اغمدته .

ويقول : إن كنت رسول الله فإني لا أحل لك أن تدخل حاطلي . وقد ذكر لي أنه أخذ حفنة من تراب في يده ، ثم قال : والله لو أعلم أني لا أصيب بها ذيرك يا محمد لضربت بها وجهك . فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب ، أعمى البصر . وقد بدر إليه سعد بن زيد ، أخو بني عبد الأشهل ، قبل نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، فصر به بالقوس في رأسه ، فشجّه .

نزول الرسول بأحد : قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد ، في عدوة الوادي إلى الجبل ، لجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : لا يقاتلن أحد منكم حتى تأمره بالقتال . وقد سرحت قريش الظهر والكراع (١) في زروع كانت بالصمفة (٢) ، من قناة للسلمين : فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال : أترعى زروع بني قيلة (٣) ولما نظارب ! وتعجبى رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال ، وهو في سبعمائة رجل ، وأمر على الرماة عبد الله بن جبير ، أخا بني عمرو بن عوف وهو معلم يومئذ بشياب بيض ، والرماة خمسون رجلاً ، فقال : انضح (٤) الخيل عنا بالنيل ، لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا ، فائت مكانك لا تؤتينا من قبلك . وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير ، أخى بني عبد الدار .

الرسول يجيز من هم في الخامسة عشرة : قال ابن هشام : وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سمرة بن جندب الفزاري ، ورافع بن خديج ، أخا بني حارثة ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكان قد ردهما ، فقبل له : يا رسول الله إن رافعا رام ، فأجازه ؛ فلما أجاز رافعا قبل له : يا رسول الله ، إن سمرة يصرح رافعا ، فأجازه . ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، أحد بني مالك بن النجار . والبراء بن عازب ، أحد بني حارثة ، وعمرو بن حزم ، أحد بني مالك بن النجار ، وأسيد بن ظهير ، أحد بني حارثة ، ثم أجازهم يوم الحندق ، وهم أبناء خمس عشرة سنة .

قال ابن إسحاق : وثمبات قريش ، وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مئتا فرس قد جنبوها (٥) ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل . أبو دجانة وشجعماته : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟

(١) الظهر : الإبل . والكراع : الخيل . (٢) الصمفة مكان قرب أحد .

(٣) قيلة : أم الأوس والخزرج وينسبون إليها . (٤) انضح : ادفع .

(٥) جنبوها : جعلوها إلى جانبهم ليستعملوها عند الحاجة .

فقام إليه رجال ، فأمسكهم عنهم ، حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة ، أخو بني ساعدة ، فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تشرب به العدو حتى ينحني ، قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه ، فأعطاه إياه . وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب ، إذا كانت ، وكان إذا أعلم بعصاة له حراء ، فاعتصب بها علم الناس أنه سيقا تل ؛ فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصا بته تلك ، فعصب بها رأسه ، وجعل يتبخر بين الصفيين .

قال ابن إسحاق : لحدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم ، مولى عمر بن الخطاب ، عن رجل من الأنصار من بني سلة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين رأى أبا دجانة يتبخر : إنها لمشية يبعثها الله ، إلا في مثل هذا الموطن .

أبو عامر الفاسق : قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن أبا عامر ، عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان ، أحد بني ضبيعة ، وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مباعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، معه خمسون غلاما من الأوس ، وبعض الناس كان يقول : كانوا خمسة عشر رجلا ، وكان يعد قريشا أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان ؛ فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنادى : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر قالوا : فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق . وكان أبو عامر يسمى في الجاهلية : الراهب ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : الفاسق — فلما سمع ردهم عليه قال أصاب قومي بعدى شر ، ثم قاتلهم قتالا شديدا ، ثم راض عنهم ^(١) بالحجارة .

أبو سفيان وأمرأته يحرضان قريشا : قال ابن إسحاق : وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال : يا بني عبد الدار ، إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالوا ، فلما أن تكفونا لواءنا ، ولما أن تخلوا بيتنا وبينه فنكفيكموه ؛ فهدوا به وتواعدوه ، وقالوا : نحن نسلم إليك لواءنا ، ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع ؟ وذلك أراد أبو سفيان .

فلما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها ، وأخذن الدوف يضربن بها خلف الرجال ، ويحرضنهم ، فقالت هند فيما تقول :

وبها بنى عبد الدار وبها حماة الادبار
ضربا بكل بتار

وتقول :

إن متقبلوا نعاقي ونفرش التمارق^(١)
أو تدبروا تفارق فراق غير وامق^(٢)

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : أمت ، أمت ، فيما
قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فاقبل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دجانة حتى أمتعن في الناس .
قال ابن هشام : حدثني غير واحد ، من أهل العلم ، أن الزبير بن العوام قال وجدت في
نفسى حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فمنعني وأعطاها أبا دجانة ، وقلت : أنا
ابن صفيّة عمتي ، ومن قريش ، وقد قتلت إليه فسألته إياه قبله ، فأعطاه إياه وتركني ، والله لا نظرن
ما يصنع ؛ فاتبعته ، فأخرج عصاة له حمراء ، فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج أبو
دجانة عصاة الموت ، وهكذا كانت تقول له إذا تمصب بها فخرج وهو يقول :

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم للدهر في الكيول أضرب بسيف الله والرسول^(٣)
قال ابن هشام : ويروي في الكيول^(٤) .

قال ابن إسحاق : فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله . وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحاً

(١) التمارق : الوسائد الصغيرة وكل ما يجلس عليه . (٢) الوامق : المحب .

(٣) قال أبو عبيد : الكيول آخر الصفوف ، قال : ولم يسمع إلا في هذا الحديث ، وقال
الهرودي مثل ما قال أبو عبيد ، وزاد في الشرح ، وقال سمى بكيول الزند ، وهي سواد ودخان
يخرج منه آخراً ، بعد القدح إذا لم يور ناراً ، وذلك شيء لا غناء فيه ، ويقال منه كال الزند ،
يكيول ، فالكيول فيقول من هذا ، وكذلك كيول الصفوف لا يوقد نار الحرب ، ولا يزيكها ،
هذا معنى كلامه لا لفظه . وقال أبو حنيفة الدينوري نحراً من هذا إلا أنه قال : كال الزند
يكيول بالياء لا غير عن الروض الأتف .

(٤) الكيول : القيد .

إلا ذئف عليه ، لجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه . فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا ، فاختلفا ضربتين ، فضرب المشرك أبا دجانة ، فاتقاه بدركته ، فعضت بسيفه ، وضربه أبادجانة فقتله ثم رأيت قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ، ثم عدل السيف عنها . قال الزبير فقلت : الله ورسوله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال أبو دجانة سمك بن خرشة : رأيت إنسانا يغمس الناس خمشا شديداً ، فصعدت له ، فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة ، فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة .

استشهد حمزة : وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن شرحبيل بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أحد النفر الذين يحملون الاواء ثم مر به سباع بن عبد العزى النبطي ، وكان يكنى بأبي نيار ، فقال له حمزة : هلم إلى يابن مقطعة البظور — وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي .

قال ابن هشام : شريق بن الأخنس بن شريق . وكانت ختانة بمكة فلما التقيا ضربه حمزة فقتله .

قال وحشى ، غلام جبير بن مطعم : والله إنى لأنظر إلى حمزة يهد^(١) الناس بسيفه ما يليق^(٢) به شيئا ، مثل الجبل الأورق^(٣) إذ تقدمنى إليه سباع بن عبد العزى ، فقال له حمزة : هلم إلى يابن مقطعة البظور ، فضربه ضربة ، فكان ما أخطأ رأسه ، وهزرت حربي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه ، ف وقعت في ثبته^(٤) حتى خرجت من بين رجليه ، فأقبل نحوى ، فغلب فوقع ، وأمهله حتى إذا مات جئت فأخذت حربي ، ثم تحيت إلى العسكر ، ولم تكن لي بشيء حاجة غيره .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث عن سليمان ابن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال : خرجت أنا وعبيد الله بن عدى بن الحنبار أخو بني نوفل بن عبد مناف ، في زمان معاوية بن أبي سفيان ، فأدربنا مع الناس^(٥) فلما قفلنا مررنا بجمعهم — وكان وحشى ، مولى جبير بن مطعم ، قد سكنها ، وأقام بها — فلما

(١) يهد : يهلك . (٢) ما يليق : ما يليق .

(٣) الأورق : مغبر اللون . (٤) الثبته : ما بين أسفل البطن إلى العانة .

(٥) أدربنا : اجتزنا الدروب .

قدمنا ما ، قال لي عبيد الله بن عدي : هل لك في أن تأتي وحشيا فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ قال : قلت له : إن شئت . فخرجنا نسأل عنه بمحضر ، فقال لنا رجل ، ونحن نسأل عنه : إنكما ستجدانه بفناء داره ، وهو رجل قد غلبت عليه الخمر ، فإن تجدها صاحبا تجدا رجلا عربيا ، وتجدا عنده بعض ما تريدان ، وتصيبا عنده ما شئتما من حديث تسألانه عنه ، وإن تجدها وبه بعض ما يكون به ، فإزسرنا عنه ودعاه ، قال : فخرجنا نمشي حتى جئناه ، فإذا هو بفناء داره على طنفة ^(١) له ، فإذا شيخ كبير مثل البغاث .

قال ابن هشام : البغاث : ضرب من الابر إلى السواد —

فإذا هو صاح لا بأس به . قال : فلما انتهينا إليه سلنا عليه ، فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عدي ، فقال : ابن لمدى بن الحيار أنت ؟ قال نعم : قال : أما والله ما رأيتك منذ ناولتك أملك السعدية التي أرضعتك بذي طوى ، فإني ناولتكها وهي على بعيرها ، فأخذتك بعرضيك ^(٢) فلمعت لي قدماك حين رفعتك إليها ، فوالله ما هو إلا أن وقعت على فعرقتهما . قال : جلسنا إليه ، فقلنا له : جئناك لتحدثنا عن قتل حمزة ، كيف قتله ؟ فقال : أما إني سأحدثكما كما حدثت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألتني عن ذلك ، كنت غلاما لجبير بن مطعم ، وكان عمه طعيمة بن عدي قد أصيب يوم بدر ؛ فلما سارت قريش إلى أحد قال لي جبير : إن قتلت حمزة عم محمد بعني فأنت عتيق قال : فخرجت مع الناس ، وكنت رجلا حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة ، فلما أخطى بها شينا ؛ فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأبصره ، حتى رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأورق ، يهد الناس بسيفه هدأ ، ما يقوم له شيء ، فوالله إني لأتبعها له ، أريده وأستبر منه بشجرة أو حجر ليدنو مني إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى ؛ فلما رآه حمزة قال له : هلم إليّ يا بن مقطعة البظاور . قال : فضربه ضربة كأن ما أخطأ رأسه . قال : وهزئت حربتي ، حتى إذا رضيت منها ، دفعتها عليه ، فوقعت في ثنته ، حتى خرجت من بين رجله ، وذهب لينوء ^(٣) نحوى ، فغلب ، وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيت فأخذت حربتي ، ثم رجعت إلى العسكر ، ففعدت فيه ، ولم يكن لي بغيره حاجة ، وإنما قتله لأعتق . فلما قدمت مكة أعتقت ثم أقت حتى إذا افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة هربت إلى الطائف ، فكنت بها ، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلوا تعيبت على المذاهب ، فقلت : ألحق بالشام ، أو باليمن ، أو ببعض البلاد ؛ فوالله إني لفي ذلك من همي إذ قال لي رجل : ويحك إنه والله ما يقتل أحد من الناس دخل في دينه ، وتشهد شهادته .

(١) الطنفة : كل ما يجلس عليه كاللساط والوسائد والحصير والثوب .

(٢) بعرضيك : بمجانيتك .

(٣) ينوء : ينهض متعبا .

فلما قال لي ذلك ، خرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم يرعه إلا بي قائما على رأسه أتشهد بشهادة الحق ؛ فلما رأيته قال : أوحشني ؟ قلت : نعم يا رسول الله قال : أقعد لحدثني كيف قتلت حمزة ، قال : فحدثته كما حدثتك ، فلما فرغت من حديثي قال : ويحك ! غيب عني وجهك . فلا أرينك . قال : فكنت أتكسب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يراني ، حتى قبضه الله صلى الله عليه وسلم .

فلما خرج المسلمون إلى مسيلة الكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم ، وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة ؛ فلما التقى الناس رأيته مسيلة الكذاب قائما في يده السيف ، وما أعرفه ، فتميات له ، وتهايا له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى ، كلانا يريد ، فهزئت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه ، فوقعت فيه ، وشد عليه الأنصارى فضربه بالسيف ، فربك أعلم أينما قتله فإن كنت قتلت : فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قتلت شر الناس .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسار ، عن عبد الله بن عمر ابن الخطاب ، وكان قد شهد اليمامة ، قال : سمعت يومئذ صارخا يقول : قتله العبد الأسود . قال ابن هشام : فبلغني أن وحشيا لم يزل يحد في الخمر حتى خلع من الديوان ، فكان عمر بن الخطاب يقول : قد علمت أن الله تعالى لم يكن ليدع قاتل حمزة .

استشهد مصعب : قال ابن إسحاق : وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل ، وكان الذي قتله ابن قنثة الليثي ، وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى قريش فقال : قتلت محمداً . فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء على بن أبي طالب ، وقاتل على بن أبي طالب ورجال من المسلمين .

قال ابن هشام : وحدثني مسيلة بن علقمة المازني ، قال : لما اشتد القتال يوم أحد جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الأنصار ؛ وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى علي بن أبي طالب رضوان الله عليه : أن قدم الراية . فتقدم علي ، فقال : أنا أبو الفصم (١) ،

(١) أبو الفصم أو أبو القصم بالقاف ، كما قال ابن هشام ، وهو أصح ، وإنما قال علي - عليه السلام أنا أبو القصم من يارزني ، فالقصم : جمع قصمة ، وهي المعضلة المهلكة ، ويجوز أن يكون جمع القصي ، أي الدامية التي تقصم . والدواهي القصم على وزن الكبر ، وهذا المعنى أصح ؛ لأنه لا يعرف قصمة ، ولكنه لما قال أبو سعد وسياق حديثه بعد قليل أنا قاصم ، قال علي : أنا أقصم منك ، بل أنا =

ويقال : أبو القصم ، فيما قال ابن هشام — فناداه أبو سعيد بن أبي طلحة ، وهو صاحب لواء المشركين : أن هل لك يا أبا القصم في البراز من حاجة ؟ قال : نعم . فبرز بين الصفيين ، فاختلفا ضربتين فضربه على فصرعه ، ثم انصرف عنه ولم يجز عليه ؛ فقال له أصحابه : أنلا أجهز عليه ؟ فقال : إنه استقبلني بعورته ، فعطفتني عنه الرحم (١) ، وعرفت أن الله عز وجل قد قتله .

ويقال : إن أبا سعد بن أبي طلحة خرج بين الصفيين ، فنادى : أنا قاصم من ييارز برازا ، فلم يخرج إليه أحد . فقال : يا أصحاب محمد ، زعمتم أن قتلاكم في الجنة ، وأن قتلانا في النار كذبتم واللآلئ لو تعلمون ذلك حقا لخرج إلى بعضكم ، فخرج إليه على بن أبي طالب ، فاختلفا ضربتين ، فضربه على فقتله .

غير عاصم بن ثابت : وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، فقتل مسافع بن طلحة وأخاه الجلاس بن طلحة ، كلاهما يشعره سهما (٢) ، فأتى أمه سلافة ، فيضع رأسه في حجرها فتقول : يا بني ، من أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلا حين رمانى وهو يقول : خذها وأنا ابن أبي الأفلح . فتذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر ، وكان عاصم قد طأه الله أن لا يمس مشركا أبدا ، ولا يمس مشرك .

وقال عثمان بن أبي طلحة يؤمنه ، وهو يحمل لواء المشركين :

إن على أهل اللواء حقا أن يخضبوا الصعدة وأتندق (٣)
فقتله حمزة بن عبد المطلب .

= أبو القصم ، أى أبو العضلات القصم والدواهي العظيم ، والقصم كسر بينونة ، والقصم : كسر بغير بينونة ككسر القضيب الرطب ونحوه ، وفي التنزيل : وكم قصمنا من قرية ، وفيه دلا انقصام لها .

(١) وذكر ابن إسحاق أيضا هذا في غير رواية ابن هشام ، وقول على إنه اتقاني بعورته ، فاذا كرني الرحم أو عطفتني عليه الرحم ، وقد فعلها على مرة أخرى يوم صفين ، حمل على بشرين أرطاة فلما رأى أنه مقتول كشف عن عورته ، فانصرف عنه . ويروى أيضا مثل ذلك عن عمرو بن العاص ، مع على - رضى الله عنه - يوم صفين ، وفي ذلك يقول الحارث بن النضر السهمي ، رواه ابن الكلبي وغيره :

أنى كل يوم فارس غير متته وعورته وسط العجاجة بادية

يكف لها عنه على سنانته ويضحك منه في الخلاء معاوية

(٢) يشعره سهما : أى يصيبه به .

(٣) الصعدة : القناة .

حَنْظَلَةُ شَمْرُ الْمَلائِكَةِ : والتي حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عامر الغسيل وأبو سفيان ، فلما استملاه حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عامر رآه شَدَّادُ بْنُ الْأَسود ، وهو ابن شعوب ، قد علا بأسفیان ، فضر به شَدَّادُ فقتله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن صاحبكم ، يعني حَنْظَلَةَ لَنُغْسِلَهُ الْمَلائِكَةُ . فسألوا أهله ماشأنه ؟ فسئلت صاحبه عنه . فقالت خرج وهو جنب سمع الهاتفة .

قال ابن هشام : ويقال : الهاتفة . وجاء في الحديث : « خير الناس رجل ممسك بعمان فرسه ، كلما سمع هبة طار إليها » . قال الطائر ساج بن حكيم الطائي ، والطائر ماح : الطويل من الرجال : أنا ابن حاة المجد من آل مالك إذا جعلت خور الرجال تهيم^(١) والمهيم : الصيحة التي فيها الفرع .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لذلك غسلته الملائكة .

شمر الأسود وأبي سفيان في قتل حَنْظَلَةَ : قال ابن إسحاق : وقال شَدَّادُ بْنُ الْأَسود في قتله حَنْظَلَةُ :

لاحين صاحبي ونفسي بطعنة مثل شعاع الشمس
وقال أبو سفيان بن حرب ، وهو يذكر صبره في ذلك اليوم ، ومعاونة ابن شعوب إياه على حَنْظَلَةَ :

ولوشئت نجتني كبيت طمرة ^(٢)	ولم أحمل النعماء لابن شعوب ^(٣)
وما زال مهري يزجر الكلب منهم	لأن غدوة حتى دنت لغروب ^(٣)
أقاتلهم وأدعى بالغالب	وأدفعهم عنى بركن صليب
فبكسى ولا ترعى مقالة عاذل	ولا تسأى من عبرة ونحيب
أباك وإخوانا له قد تابعوا	وحق لهم من عبرة بنصيب
وسلى الذي قد كان في النفس أنى	قتلت من النجار كل نجيب

(١) الخور : مفردة أخور : الرجل الضعيف .

(٢) الطمرة : الفرس السريعة الوثب .

(٣) أى لم يبعد عنهم : إلا بمقدار الموضع الذى يزجر إليه الكلب ، والضمير المستتر في

دنت للشمس .

ومن هائم قرما كريما ومصعبا
ولو أننى لم أشف نفسى منهم
فأبوا وقد أودى الجلابيب منهم
أصابهم من لم يسكر لدمائهم
وكان لدى الهيجاء غير هيب
لكانت شجافى القلب ذات ندوب
هم خدب من معطب وكئيب^(١)
كفاء ولا فى مخطلة بضرب
حسان والحارث يردان على أبى سفيان: فأجابه حسان بن ثابت، فيما ذكر ابن هشام فقال:

ذكرت القروم الصيد من آل هائم
أتمعجب أن أقصدت حمزة منهم
ألم يقتلوا عمرا وعتبة وابنه
غداة دعا العاصى عليا فراعته
ولست لزور قلته بمصيب
نجيبا وقد سميت به نجيب
وشيدة والحجاج وابن حبيب
بضربة غضب به بخضيب
قال ابن إسحاق: وقال ابن شعوب يذكر يده عند أبى سفيان فيما دفع عنه، فقال:

ولولا دناعى يابن حرب ومشهدى
ولولا مكرتى المهر بالنعف قرقرت
قال ابن هشام: قوله عليه أضرأء، عن خير ابن إسحاق:

جزيتهم يوما بيدرك مثله
لدى صحن بدر أو أقت نوائحا
ولأنك لو عاينت ما كان منهم
لابت بقلب ما بقيت نخيب^(٢)
قال ابن هشام: وإنما أجاب الحارث بن هشام أباسفيان لأنه ظن أنه عرض به فى قوله:

وما زال مبرى مزجر الكلب منهم

لقرار الحارث يوم بدر.

-
- (١) الجلابيب: جمع جلباب، والجلباب فى الأمل: الإزار الخشن، وكان المشركون يسمون من أسلم الجلابيب. والحذب: الطعن الناذ.
- (٢) النعف: أسفل الجبل.
- (٣) قرقرت: أى أسرعت لنهشه.
- (٤) السايح: الفرس السريع. والميعة: الخفة والشيب: أن يرفع الفرس يديه جميعا فى الجرى.
- (٥) النخيب: الجبان.

الزبير يذكر سبب الهزيمة : قال ابن اسحاق . ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده ، لحسوم بالسيوف^(١) حتى كشفهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة لاشك فيها .

قال ابن اسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، أنه قال : والله لقد رأيته أنظر إلى خدم هذه بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ، مادون أخذهن قليل ولا كثير إذ مالت الرماة إلى العسكر ، حين كشفنا القوم عنه وخلوا ظهورنا للخييل ، فأتينا من خلفنا ، وصرخ صارخ : ألا إن محمدا قد قتل ؛ فانكشفنا وانكشفوا علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم .

قال ابن هشام : الصارخ أرب العتبة ، يعني الشيطان .

حسان يذكر شجاعة صواب : قال ابن اسحاق : وحدثني بعض أهل العلم : أن اللواء لم يزل صريعا حتى أخذه عمرة بنت علقمة الحارثية ، فرفعته لقريش ، فلا ثوابه^(٢) . وكان اللواء مع صواب ، غلام لبني أبي طلحة ، حبشي وكان آخر من أخذه منهم ، فقاتل به حتى قطعت يده ، ثم برك عليه ، فأخذ اللواء بصدرة وعنته حتى قتل عليه ، وهو يقول : اللهم دل أعزرت — يقول : أعزرت^(٣) — فقال حسان بن ثابت في ذلك :

غفرتم باللواء وشر نفر	لواء حين رد إلى صواب
جعاتم فخركم فيه بعبد	والأم من يطا عفر التراب
ظننتم ، والسفيه له ظنون	وما إن ذاك من أمر الصواب
بأن جلدنا يوم التقينا	بكم يبعكم حمر العياب ^(٤)
أقر العين أن عصبت يدها	وما إن تعصبان على خضاب

قال ابن هشام : آخرها بيتا يروى لأبي خراش الهذلي ، وأنشدني له خلف الأحمر :

أقر العين أن عصبت يدها وما إن تعصبان على خضاب

في أبيات له ، يعني امرأته ، في غير حديث أحد وتروى الآيات أيضا لمعقل بن خويلد الهذلي . شعر حسان في شجاعة عمرة الحارثية : قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت في شأن عمرة بنت علقمة الحارثية ورفعها اللواء :

(١) حسوم : قتلهم .

(٢) لا ثوابه : اجتمعوا عليه . (٣) كان بلدانه لكنه يقاب الدال إلى الزاي .

(٤) العياب : ماتضع فيه الناس حوائجهم .

إذا عضل سبقت إلينا كأنها رجداية شرك مملات الحواجب (١)
أقننا لهم طعنا مبرأ منكلا وحزنناهم بالضرب من كل جانب
فلولا لواء الخارثية أصبحوا يباعون في الأسواق بيع الجلائب (٢)

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في أبيات له .

ما أصاب الرسول يوم أحد : قال ابن إسحاق : وانكشف المسلمون ، فأصاب فيهم العدو وكان يوم بلاء وتحيص ، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة ، حتى خلص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فحدث بالحجارة حتى وقع لشقه (٣) ، فأصابت رباعيته وشج في وجهه ، وكنت شفته ، وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص .

قال ابن إسحاق : فحدثني حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال :

كسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وشج في وجهه ، فجعل الدم يسيل على وجهه ، وجعل يمسح الدم وهو يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم ، وهو يدعو إلى ربهم ؟ فأنزل الله عز وجل في ذلك : « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون »

قال ابن هشام : وذكر ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدري : أن عتبة بن أبي وقاص رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، فكسر رباعيته اليمنى السفلى ، وجرح شفته السفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجحه في جبهته ، وأن ابن قنثة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر (٤) في وجنته ، ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون ، وهم لا يعلمون ؛ فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورفع طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما ، ومص عاتك بن سنان ، أبو أبي سعيد الخدري . الدم : من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ازدرده ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مس دمي دمه لم تصبه النار .

قال ابن هشام : وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردي : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من أحب أن ينظر إلى شهيد يمسي على وجه الأرض فلينظر إلا طلحة بن عبيد الله .

(١) عضل : اسم قبيلة . والجداية : الصغير من ولد الظبي . وشرك : موضع .
(٢) الجلائب : ما يجلب إلى الأسواق ليباع فيها . (٣) الشق : الجانب .
(٤) للمغفر : حلق يجمل على الرأس يتقى به ضرب السلاح في الحرب .

وذكر ، يعنى عبد العزيز الدراوردي ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة ، عن عيسى بن طلحة ، عن عائشة ، عن أبي بكر الصديق : أن أبا عبيدة بن الجراح نزع إحدى الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسقطت ثنيته ، ثم نزع الأخرى ، فسقطت ثنيته الأخرى ، فكان ساعط الثنيتين .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت لعتبة بن أبي وقاص :

إذا الله جازى معشراً بفعالهم	وضرم الرحمن رب المشارق
فأخزأك ربى يا عتيب بن مالك	ولفأك قبل الموت إحدى الصواعق
بسطة يميننا - للنبي تصمداً	فأدميت فاه - قطعت بالبوراق ^(١)
فهل ذكرت الله والمنزل الذى	تصير إليه عند إحدى البواق

قال ابن هشام تركنا منها بيتين أقذع فيهما .

من شجاعة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين غشيه القوم : من رجل يشرى لنا نفسه؟ كما حدثني الحصين بن عبد الرحمن ابن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن محمود بن عمرو ، قال : فقام زياد بن السكن في نفر خمسة من الأنصار - وبعض الناس يقول : إنما هو عمارة بن يزيد بن السكن - فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجلاً ثم رجلاً ، يقتلون دونه ، حتى كان آخرهم زياد أو عمارة فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، ثم فاءت فئة من المسلمين ، فأجهضوهم^(٢) عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدنوه منى ، فأدنوه منه فوسده قدمه ، فأتى وخدعه على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وقاتلت أم عمارة ، نسيية بنت كعب المازنية يوم أحد .

فذكر سعيد بن أبي زيد الأنصارى : أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول : دخلت على أم عمارة ، فقلت لها : يا خالة ، أخبريني خبرك ، فقالت : خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعى سقاء فيه ماء ، فانهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو فى أصحابه والدولة والريخ^(٣) للمسلمين . فلما انهزم المسلمون ، انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) أجهضوهم : أزالوهم .

(١) البوارق : السيوف .

(١) يريد بالريخ : إقبال النصر .

فقت أباشر القتال ، وأذب عنه بالسيف ، وأرمى عن القوس ، حتى خلصت الجراح إلى قالت : فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور ، فقلت : من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قننه أقاء (١) الله ! لما ولي الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول : دلوني على محمد ، فلا نجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير ، وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضربني هذه الضربة ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان .

قال ابن إسحاق : وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجاجة بنفسه ، يقع التبل في ظهره ، وهو منحني عليه ، حتى كثر فيه التبل . ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال سعد : فلقد رأيته يناولني التبل وهو يقول : ارم ، فذاك أبي وأمي ، حتى إنه لناولني السهم ماله نصل ، فيقول : ارم به .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : رمى عن قوسه حتى اندقت سيئتها (٢) ، فاخذها قتادة بن النعمان ، فكانت عنده ، وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان ، حتى وقعت على وجهه .

قال ابن إسحاق : لحدثني عاصم بن عمر بن قتادة . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردها بيده ، فكانت أحسن عينه وأحدهما .

قال ابن إسحاق : وحدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدى بن النجار ، قال : انتهى أنس بن النضر ، عم أنس بن مالك ، إلى عمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله ، في رجال من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقوا بأيديهم ، فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قُتِل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : فماذا تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل ؛ وبه سمى أنس بن مالك .

قال ابن إسحاق : لحدثني حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة ، فما عرفه إلا أخته ، عرفته ببناته .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم : أن عبد الرحمن بن عوف أصيب فوه يومئذ فوهم (٣) ، وجرح عشرين جراحة أو أكثر ، أصابه بعضها في رجله فخرج .

(٢) سيئتها : طرفها .

(١) أقاء الله : أذله الله .

(٣) هم : كسرت ثيابه .

قال ابن إسحاق : وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة ، وقول الناس : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما ذكر لي ابن شهاب الزهري - كعب بن مالك ، قال : عرفت عينيه تزهرا^(١) من تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأشار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنصت .

قال ابن إسحاق : فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ، ونهض معهم نحو الشعب ، معه أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وطلحة بن أبي طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، رضوان الله عليهم ، والحارث بن الصمة ، ورهط من المسلمين .

مقتل أبي بن خلف : قال : فلما أستد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول : أي محمد ، لا نجوت ، إن نجوت ، فقال القوم : يا رسول الله ، أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوه ؛ فلما دنا ، تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الخربة من الحارث بن الصمة ؛ يقول بعض القوم ، فيما ذكر لي : فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا بها ، تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها — قال ابن هشام : الشعراء : ذباب له لدغ — ثم استقبله فطعن في عنقه طعنة تدأدا منها

قال ابن هشام : تدأدا ، يقول : تقلب عن فرسه لجعل يتدحرج .

قال ابن إسحاق : وكان أبي بن خلف ، كما حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فيقول : يا محمد إن عندى العوذ ، فرسا أعلفه كل يوم فرقا^(٢) من ذرة ، أقتلك عليه ؛ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلك إن شاء الله . فلما رجع إلى فريش وقد خدشه في عنقه خدشا غير كبير ، فاحتقن الدم ، قال : قتلتني والله محمد ! قالوا له : ذهب والله نؤادك ! والله إن بك من بأس ؛ قال : لأنه قد كان قال لي بمكة : أنا أقتلك ، فوالله لو بصق على لقتاني . فأت عدو الله بسرف^(٣) وهم قائلون به إلى مكة .

(١) تزهرا : تضيئان .

(٢) الفرق : مكيال يسع اثني عشر رطلا .

(٣) سرف : مكان على ستة أميال من مكة .

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت في ذلك :

لقد ورث الضلالة عن أبيه	أبي يوم بارزه الرسول.
أتيت إليه تحمل رم عظم	وتوعده وأنت به جهول
وقد قتلت بنو النجار منكم	أمية إذ يغوث : يا عقيل
وكتب ابنا ربيعة إذ أطاعا	أبا جهل . لأهما الهبول (١)
وأقلت حارث لما شغلنا	بأسر القوم ، أسرته قليل (٢)

قال ابن هشام : أسرته : قبيلته .

وقال حسان بن ثابت أيضا في ذلك :

ألا من مبلغ عنى أيسا	لقد أليت في سحق السعير
تمنى بالضلالة من بعيد	وتقسم أن قدرت مع الندور
تمنيك الأمانى من بعيد	وقول الكفر يرجع في غرور
فقد لاقتك طعنة ذى حفاظ	كريم البيت ليس بذى فجور (٣)
له فضل على الأحياء طرا	إذا نابت ملسات الأمور

انتهاء الرسول إلى الشعب : قال : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فم الشعب خرج على بن أبي طالب ، حتى ملأ درقته ماء من المهراس (٤) ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرّب منه ، فوجد له ريحا ، فعافه ، فلم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم ، وصب على رأسه وهو يقول : اشتد غضب الله على من دى وجه نبيه .

سعد بن أبي وقاص يحرض على قتل عتبة : قال ابن إسحاق : لحدثني صالح بن كيسان عن حدثه عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يقول : والله ما حرصت على قتل رجل قط كحرصى على قتل عتبة بن أبي وقاص ، وإن كان ما علت لسيء الخلق مبغضاً في قومه ، ولقد كفاني منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشتد غضب الله على من دى وجه رسوله .

عهد سعد إلى قريش الجبل : قال ابن إسحاق : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعب معه أولئك نفر من أصحابه ، إذ علت عالية من قريش الجبل .

قال ابن هشام : كان على تلك النخيل خالد بن الوليد .

(٢) القليل : المنهزمون .

(١) الهبول : المهلك .

(٤) المهراس : ماء باحد .

(٣) الحفاظ : الغضب .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلنوا !
فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل .

معاونة طلحة الرسول : قال ابن إسحاق : ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
صخرة من الجبل ليعلوها ، وقد كان بدن (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وظاهر بين درعين ،
فلما ذهب لينهض صلى الله عليه وسلم لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض به ،
حتى استوى عليهما . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن
الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يومئذ يقول : أوجب (٢) طلحة حين صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع .

قال ابن هشام : وبلغني عن عكرمة عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم
يبلغ الدرجة المبنية في الشعب .

قال ابن هشام : وذكر عمر مولى غفرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم أحد
قاعداً من الجراح التي أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعوداً .

مقتل اليمان وابن وقش وابن حاطب : قال ابن إسحاق : وقد كان الناس انهزموا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى بعضهم إلى المنى ، دون الأعوص .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، قال : لما خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد ، رفع حُصيل بن جابر ، وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان ،
وثابت بن وقش في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه ، وهما شيخان كبيران :
ما أباك ، ما تنتظر ؟ فواتته لا بقي لواحد منا من عمره إلا ظمه (٣) حمار ، إنما نحن هامة (٤)
اليوم أو غداً ، أفلا نأخذ أسيافنا ، ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعل الله يرزقنا
شهادة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأخذنا أسيافهما ثم خرجا ، حتى دخلا في الناس ،
ولم يُعلم بهما ، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما حصيل بن جابر ، فاختلفت عليه

(١) بدن : ضعيف . (٢) أوجب : وجبت له الجنة .

(٣) يضرب لقرب الأجل ، فالظمه ما بين الشربتين والحمار لا يصبر على العطش .

(٤) الهامة : كما تزعم العرب . طائر يخرج من رأس القنبل يصبح اسقوني اسقوني لايسكت
حتى يؤخذ بثأره .

(٣ - السيرة النبوية ، ج ٣)

أسياف المسلمين ، فقتلوه ولا يعرفونه ، فقال حذيفة : أبى ، فقالوا : والله إن عرفناه . قال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يديه ، فتصدق حذيفة بدينه على المسلمين ؛ فزاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن رجلاً منهم كان يدعى حاطب بن أمية بن رافع ، وكان له ابن يقال له يزيد بن حاطب ، أصابته جراحة يوم أحد ، فأُتي به إلى دار قومه وهو بالموت ، فاجتمع إليه أهل الدار ، فجعل المسلمون يقولون له من الرجال والنساء : أبشر يا بن حاطب بالجنة ، قال : وكان حاطب شيخاً قد عسا في الجاهلية ، فنجح يومئذ نفاقه ، فقال : بأى شيء تبشرونه ؟ يجتة من حرمل (١) : غررتم والله هذا الغلام من نفسه .

مقتل قزمان منافقاً : قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان فينا رجل أتى (٢) لا يدري من هو ، يقال له : قزمان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا ذكر له : إنه من أهل النار ، قال : فلما كان يوم أحد قاتل قتلاً شديداً . فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس ، فأثبتته الجراحة . فاحتمل إلى دار بني ظفر ، قال : فجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم يا قزمان ، فأبشر ، قال : بماذا أبشرك ؟ فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومي ، ولولا ذلك ما قاتلت . قال : فلما اشتدت عليه جراحته : أخذ سهماً من كنانته ، فقتل به نفسه .

قتل مخيريق : قال ابن إسحاق : وكان من قتل يوم أحد مخيريق ؛ وكان أحد بني ثعلبة بن الفطيون ، قال : لما كان يوم أحد ، قال : يا معشر يهود ، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا : إن اليوم يوم السبت ، قال : لاسبت لكم . فأخذ سيفه وعدته ، وقال : إن أصبت فإلى محمد يصنع فيه ما شاء ، ثم ذدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال معه حتى قتل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا - مخيريق خير يهود .

الحارث بن سويد : قال ابن إسحاق : وكان الحارث بن سويد بن صامت منافقاً ، ففرج يوم أحد مع المسلمين ، فلما اتقى الناس ، عدا على المجذو بن زياد البلوى ، وقيس بن زيد ، أحد بني ضبيعة ، فقتلها ، ثم لحق بمكة بقريش ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرون -

(١) قال السهيلي : من حرمل ، يريد الأرض التي دفن فيها ، وكانت تنبت الحرمل ، أى ليس له جنة إلا ذلك . انظر الروض الآنف بتحقيقنا ج ٣ ص ١٧٧ .
(٢) أتى : غريب .

قد أمر عمر بن الخطاب بقتله لأن هو ظفر به ، ففاته ، فكان بمكة ، ثم بعث إلى أخيه الجلاس ابن سويد يطلب التوبة ، ليرجع إلى قومه . فأنزل الله تعالى فيه ، فيما بلغني ، عن ابن عباس : « كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم ، وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات ، والله لا يهدي القوم الظالمين ، إلى آخر القصة .

قال ابن هشام : حدثني من أثق به من أهل العلم : أن الحارث بن سويد قتل المجذر بن زياد ولم يقتل قيس بن زيد ، والدليل على ذلك : أن ابن إسحاق لم يذكره في قتل أحد ، وإنما قتل المجذر ، لأن المجذر بن زياد كان قتل أباه سويداً في بعض الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج ، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب .

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في نفر من أصحابه ، إذ خرج الحارث بن سويد من بعض حواط المدينة ، وعليه ثوبان مضرجان ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان ابن صفان ، فصرب عنقه ، ويقال : بعض الأنصار .

قال ابن إسحاق : قتل سويد بن الصامت معاذ بن عفراء غيلة ، في غير حرب رماه بسهم فقتله قبل يوم بعاث .

أمر أصيرم : قال ابن إسحاق : وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن أبي سفيان ، مولى ابن أبي أحمد ، عن أبي هريرة قال : كان يقول : حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل قط ، فإذا لم يعرفه الناس سألوه : من هو ؟ فيقول : أصيرم ، بن عبد الأشهل ، عمرو بن ثابت بن وقش . قال الحصين : فقلت لمحمود بن أسد : كيف كان شأن الأصيرم ؟ قال : كان يأبى الإسلام على قومه . فلما كان يوم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد بدا له في الإسلام نأسلم ، ثم أخذ سيفه ، فعدا حتى دخل في عرض الناس ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة . وقال : فبينما رجال من بني عبد الأشهل ياتسون قتلاهم في المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إن هذا للأصيرم ، ما جاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث ، فسألوه ما جاء به ؟ فقالوا : ما جاء بك يا عمرو ؟ أحذب على قومك أم رغبة في الإسلام ؟ قال : بل رغبة في الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ، ثم أخذت سيفي ، فعدوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني ، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم . فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه لمن أهل الجنة .

عمرو بن الجموح ومقتله : قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن أشياخ من بني سلة : أن عمرو بن الجموح كان رجلاً أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثل

الأسد ، يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاءد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه ، وقالوا له : إن الله عز وجل : قد عذرك ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه ، والخروج معك فيه ، فوالله إنى لأرجو أن أظاً بعرجى هذه فى الجنة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك ، وقال لبنيه : ما عليكم أن لا تتمروه ، لعل الله أن يرزقه الشهادة فخرج معه فقتل يوم أحد (١) .

هند وتمثيلها بحمزة : قال ابن إسحاق : وقعت هند بنت عتبة ، كما حدثنى صالح بن كيسان ، والندوة اللاتى معها ، يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يبعدن (٢) الآذان والآنف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وآنفهم خدماً (٣) وقلائد ، وأعطت خدماً وقلائدما وقرطتها وحشياً ، غلام جبير بن مطعم ، وبقرت عن كبد حمزة ، فلا كنها فلم تستطع أن تسيغها ؛ فلفظتها ، ثم علك على صخرة مشرقة ، فصرخت بأعلى صوتها فقالت :

نحن جزيناكم بيوم بدر	والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لى من صبر	ولا أخى زعمه وبكرى
شفيت نفسى وقضيت ندرى	شفيت وحنى غليل صدرى
فشكر وحنى على عمرى	حتى ترم أعظمى فى قبرى

فأجابتها هند بنت أناتة بن عباد بن المطلب . فقالت :

خزيت فى بدر وبعد بدر	يا بنت وقاع عظيم الكفر (٤)
صبحك الله غداة الفجر	ملهاشميين الطوال الزهر (٥)

(١) وزاد غير ابن إسحاق أنه لما خرج قال : اللهم لا تردنى ، فاستشهد فجعله بنوه على بعير ، ليحملوه إلى المدينة ، فاستصعب عليهم البعير ، فكان إذا وجهوه إلى كل جهة سارع إلا جهة المدينة ، فكان يأبى الرجوع إليها ، فلما لم يقدرُوا عليه ذكروا قوله : اللهم لا تردنى إليها ، فدفنوه فى مصرعه ، انظر الروض ج٣ ص ١٧٧ .

(٢) يبعدن : يقطعن .
(٣) الخدم : الخلاخيل .
(٤) الوقاع : كثير الوقوع فى الدنيا .
(٥) ملهاشميين : أرادت من الهاشميين ، والزهر : البيض .

بكل قطّاع حسام يفرى حمزة ليثى - وعلى صقرى
إذ رام شيب وأبوك غدرى تخضباً منه ضواحي النحر (١)

ونذرك السوء فشر نذر

قال ابن هشام : تركنا منها ثلاثة أبيات أقذعت فيها .

قال ابن إسحاق : وقالت هند بنت عتبة أيضا :

شفيت من حمزة نفسى بأحد حتى بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عني ذاك ما كنت أجد من لدعة الحزن الشديد المعتمد
والحرب تملوكم بشؤبوب برد تقدم إقداما عليكم كالأسد (٢)

قال ابن إسحاق : لخدمنى صالح بن كيسان أنه تحدث : أن عمر بن الخطاب قال لحسان ابن ثابت : يا ابن الفريعة - قال ابن هشام : الفريعة بنت خالد بن خنيس : ابن حارثة بن لوزان ابن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج - لوسمعت ما تقول هند ، ورأيت أثرها قائمة على صخرة ترتجز بنا ، وتذكر ما صنعت بحمزة ؟ قال له حسان : والله إنى لا أنظر إلى الحربة تهوى وأنا على رأس فارح - يعنى أطمه - فقلت : والله إن هذه لسلاح ما هم بسلاح العرب ، كأنها إنما تهوى إلى حمزة ولا أدرى ، لكن أسمعنى بعض قولها أكفكموها ؟ قال : فأنشده عمر بن الخطاب بعض ما قالت ، فقال حسان بن ثابت :

أشرت لكاع وكان عادتها أوما إذا أشرت مع الكفر (٣)

قال ابن هشام : وهذا البيت فى أبيات له تركناها ، وأبياتا أيضا له على الدال : وأبياتا أخر على الذال ، لأنه أقذع فيها .

قال ابن إسحاق : وقد كان الحليس بن زبان ، أخو بنو الحارث بن عبد مناة ، وهو يومئذ سيد الأحابيش ، قد مر بأبى سفيان ، وهو يضرب فى شدة حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح ويقول ذق : عقق ؛ فقال الحليس : يا بنى كنانة ، هذا سيد قریش يصنع بآبى عمه ماترون لما (٤) ؟ فقال : ويحك ! اكتمها عنى ، فإنها كانت زلة .

(١) شيب : أرادت شيبة فرختها بغير نداء وهو قليل لضرورة الشعر . ضواحي النحر :

ما ظهر من أعلى الصدر (٢) الشؤبوب : الدنعة الشديدة من المطر .

(٣) لكاع جعله اسماً لها فى غير النداء ، وذلك جائز ، وإن كان فى النداء أكثر نحو يا غدار

ويا فاسق ، وكذلك لكع ، قد استعمل فى غير النداء (٤) أى ميتا لا يستطيع الدفاع عن نفسه .

أبوسفیان يشمت بالمسلمين : ثم إن أبوسفیان بن حرب ، حين أراد الانصراف ، أشرف على الجبل ، ثم صرخ بأعلى صوته فقال أنعمت فعال^(١) ، وإن الحرب سجال يوم بيوم ، أعل هبل ، أى أظهر دينك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا عمر فأجبه ، فقال الله أعل وأجل ، لاسواء^(٢) ، قتلانا في الجنة ، وقتلاكم في النار . فلما أجاب عمر أبوسفیان ، قال له أبوسفیان : هلم إلى يا عمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : انته فانظر ماشأته ، فجاء ، فقال له أبوسفیان : أشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمدا ؟ قال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن ، قال : أنت أصدق عندي من ابن قننه وأبر ؛ لقول ابن قننه لم : إني قد قتلت محمدا .

قال ابن هشام : واسم ابن قننه عبدالله .

قال ابن إسحاق : ثم نادى أبوسفیان : إنه قد كان في قتلاكم مثل ؛ والله مارضيت ، وما سخطت ، وما نهيت ، وما أمرت .

ولما انصرف أبوسفیان ومن معه ، نادى : إن موعدكم بدر للعام القابل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قل : نعم ، هو بيتنا وبيتكم موعد .

عل يخرج في آثار قريش : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ، فقال : اخرج في آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون فإن كانوا قد جنبوا الخيل^(٣) . وامتطوا الإبل ، فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل ، فإنهم يريدون المدينة ، والذي نفسى بيده ، لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ، ثم لاناجزنهم . قال على : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون ؛ فجنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، ووجهوا إلى مكة .

محمد بن الربيع : وفرغ الناس لقتلهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني محمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة المازني ، أخو بني النجار : من رجل ينظر لي ما فعل

(١) أى بالقنا في فمنا .

(٢) أى لانحن سواء ولا يجوز دخول لاعلى اسم مبتدأ معرفة إلا مع التكرار نحو لأزيد قائم ، ولا عمرو شا ج ، ولكنه - أزفي هذا الموضع ، لأن القصد فيه إلى نفي الفعل ، أى لا يستوى كما جاز لا نورك ، أى : لا ينبغي لك .

(٣) جنبوا الخيل : قادروا إلى جنبهم ليستعملوها وقت الحاجة .

سعد بن الربيع ؟ في الاحياء هو أم في الاموات ؟ فقال رجل من الانصار (١) : أنا أنظرك يا رسول الله ما فعل سعد ، فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق . قال : فقلت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر ، أفي الاحياء أنت أم في الاموات ؟ قال : أنا في الاموات ، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته ، وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خالص إلى نبيكم صلى الله عليه وسلم ومنكم عين تطرف . قال : ثم لم أبرح حتى مات ؛ قال : لجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره .

قال ابن هشام : وحدثني أبو بكر الزبيري : أن رجلاً دخل على أبي بكر الصديق ، وبنت لسعد بن الربيع جارية صغيرة على صدره يرشها ويقبلها ، فقال له الرجل : من هذه ؟ قال : هذه بنت رجل خير مني ، سعد بن الربيع ، وكان من النقباء يوم العقبة ، وشهد بدرأ ، واستشهد يوم أحد . الرسول يحزن على حمزة ويتوعد المشركين بالثأل : قال ابن إسحاق : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني ، يلتمس حمزة بن عبد المطلب ، فوجده يبطن الوادي قد بقربطه عن كبده ، ومثل به ، فجذع أنفه وأذناه .

حدثني محمد بن جعفر بن الزبير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رأى ما رأى لولا أن تحزن صفة ، ويكون سنة من بعدى لتركته ، حتى يكون في بطون السباع ، وحواصل الطير ، وأئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثان بثلاثين رجلاً منهم . فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغظه على من فعل بعمه ما فعل ، قالوا : والله لئن أظفرن الله بهم يوماً من الدهر لثألنا بهم مثله لم يمثله أحد من العرب .

قال ابن هشام : ولما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة قال لن أصاب بمثلك أبداً ! ما وقفت موقفاً قط أغيظ إلى من هذا ! ثم قال : جامن جبريل فأخبرني أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله ، وأسد رسوله .

(١) الرجل : هو محمد بن مسلبة ، ذكره الواقدي ، وذكر أنه نادى في القتلى : يا سعد بن الربيع مرة بعد مرة ، فلم يجبه أحد ، قال يا سعد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أرسلني أنظر ما صنعت ، فأجابه حيثئذ بصوت ضعيف ، وذكر الحديث ، وهذا خلاف ما ذكره أبو عمر في كتاب الصحابة ، فإنه ذكر فيه من طريق ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده أن الرجل الذي اتهم سعداً في القتلى هو : أبي بن كعب .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمة وأبو سلمة بن عبد الأسد ، إخوة من الرضاعة ، أرضعتهما مولاة لآبي لهب^(١) .

قال ابن إسحاق : وحدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، وحدثني من لا أتهم ، عن ابن عباس : أن الله عز وجل أنزل في ذلك ، من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقول أصحابه : « وإن عاقبتهم فمقابوا بمنزل ما عوقبتهم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك إلا بالله ، ولا تحزن عليهم ، ولا تلك في ضيق مما تمكرون » ، فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصبر ونهى عن المثلة .

قال ابن إسحاق : وحدثني حميد الطويل ، عن الحسن ، عن سمرة بن جندب ، قال : ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام قط ففارقه ، حتى يأمرنا بالصدقة ، وينهانا عن المثلة^(٢) .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن مقسم ، مولى عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة فسجى^(٣) بريدة ثم صلى عليه ، فكبر سبع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلي فيوضهون إلى حمزة ، فصلى عليهم وعليه معهم ، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة^(٤) .

(١) هي ثوبية .

(٢) والراوى هو حميد بن تيرويه ، ويقال : ابن نيرى يكنى أبا حميدة مولى طلحة الطلحات ، وهو حديث صحيح في النهي عن المثلة . فإن قيل . فقد مثل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالمرين فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ، وتركهم بالحرية .

قلنا : في ذلك جوابان : أحدهما : أنه فعل ذلك قصاصاً لأنهم قطعوا أيدي الرعاة وأرجلهم وسملوا أعينهم ، روى ذلك في حديث أنس ، وقيل : إن ذلك قبل تحريم المثلة . فإن قيل : فقد تركهم يستسقون فلا يسقون ، حتى ماتوا عطشاً ، قلنا عطشهم لأنهم عطشوا أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم : تلك الليلة ، روى في حديث مرفوع أنه عليه السلام لما بقى وأهله تلك الليلة بلا لبن ، قال : اللهم عطش من عطش أهل بيت نبيك . وقع هذا في شرح ابن بطال ، وقد خرجه النسوى .

(٣) سجى : غطى .

(٤) لم يأخذ بهذا الحديث فقهاء الحجاز ولا الأوزاعى لوجهين : أحدهما ضعف إسناد هذا الحديث ، فإن ابن إسحاق قال : حدثني من لا أتهم ، يعني : الحسن بن عمار — فيما —

قال ابن إسحاق : وقد أقبأت فيما بلغني ، صفية بنت عبد المطلب لتبظر إليه ، وكان أخاها لأبيها وأمنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام : القها فأرجعها ، لا ترى ما بأخيها ، فقال لها : يا أمه ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر أن ترجعي ، قالت : ولم ؟ وقد بلغني أن قد مثل بأخي ، وذلك في الله ، فإرضانا بما كان من ذلك لأحسنين ولا صبرن إن شاء الله . فلما جاء الزبير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، قال : خل سبيلها ، فأتته ، فظفرت إليه ، فصلت عليه ، واسترجعت^(١) ، واستغفرت له ، ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن .

دفن الشهداء : قال : نزع من آل عبيد الله بن جحش — وكان لأميمة بنت عبد المطلب ، حزة خاله ، وقد كان مثل به كما مثل بحمزة ، إلا أنه لم يقرعن كبده — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفنه مع حزة في قبره ، ولم أسمع ذلك إلا عن أهله .

== ذكروا — ولا خلاف في ضعف الحسن بن عمار عند أهل الحديث ، وأكثرهم لا يروونه شيئاً ، وإن كان الذي قال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم غير الحسن ، فهو مجهول ، والجهل يوبقه . والوجه الثاني : أنه حديث لم يصحبه العمل ، ولا يروى عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه صلى على شهيد في شيء من مغازيه إلا هذه الرواية في غزوة أحد ، وكذلك في مدة الخلفين إلا أن يكون الشهيد مرتين من المعركة وأما ترك غسله ، فقد أجمعوا عليه ، وإن اختلفوا في الصلاة إلا رواية شاذة عند بعض التابعين ، والمعنى في ذلك — والله أعلم — تحقيق حياة الشهداء وتصديق قوله سبحانه . « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً » الآية مع أن في ترك غسله معنى آخر ، وهو أن دمه أثر عبادة ، وهو يحمي يوم القيامة وجرحه يشعب دماً ويربحه ريح المسك ، فكيف يطهر منه وهو طيب وأثر عبادة ، ومن هذا الأصل انتزع بعض العلماء كراهية تجفيف الوجه من ماء الوضوء ، وهو قول الزهري ، قال الزهري : وبلغني أنه يوزن ، ومن هذا الأصل انتزع كراهية السواك بالعشي للصائم لئلا يذهب خلوف فيه ، وهو أثر عبادة ؛ وجاء فيه ما جاء في دم الشهداء أنه أطيب عند الله من ريح المسك ، ويروى أطيب يوم القيامة من ريح المسك . رواه مسلم باللغة جميعاً ، والمعنى واحد ، وجاءت الكراهية للسواك بالعشي للصائم عن علي وأبي هريرة ، ذكر ذلك الدارقطني .

(١) استرجعت : قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فهو فعل منحوت من الجملة ؟ مثل : وقل وبسم الله واستعاذ إلى آخر هذه الأفعال المنحوتة .

قال ابن إسحاق : وكان قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة ، فدفنهم بها ، ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك . وقال : أدفنهم حيث صرعوا .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صميم العذري ، حليف بني زهرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على القتلى يوم أحد ، قال : أنا شهيد على هؤلاء ، إنه ما من جريح يجرح في الله ، إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه ، اللون لون دم والريح ريح مسك ، أنظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن ؛ فاجعلوه أمام أصحابه في القبر — وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد .

قال : وحدثني عمي موسى بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول : قال أبو التاسم صلى الله عليه وسلم : ما من جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمى ، اللون لون دم ، والريح ريح مسك .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن أشياخ من بني سلمة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يومئذ ، حين أمر بدفن القتلى : انظروا إلى عمرو بن الجوح ، وعبد الله بن عمرو بن حرام ، فإنهما كانا متصافيين في الدنيا ، فاجعلوهما في قبر واحد .

قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة ، فأتته حمزة بنت جحش ، كما ذكر لي ، فلما لقيت الناس نعى إليها أخوها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير ، فصاحت وولولت ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن زوج المرأة منها لمكان ! لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها .

قال ابن إسحاق : ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظفر ، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم ، فذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى ، ثم قال : لكن حمزة لا بواكي له ! فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بني عبد الأشهل أمر نساءهم أن يتحزمن ، ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : حدثني حكيم بن حكيم عن عباد بن حذيف ، عن بعض رجال بني عبد الأشهل ، قال : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده يبكين عليه ، فقال : أرجعن يرحمكن الله ، فقد آسيتن^(١) بأنفسكن .

(١) آسيتن : علونتن .

قال ابن هشام : ونهى يومئذ عن التوح .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بكاهن ، قال : رحم الله الأنصار ! فإن المواساة منهم ما عتمت لقديمة ، مروهن فليصبرن .

المرأة الدينارية : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الواحد بن أبي عون ، عن إسماعيل بن محمد ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني ديار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نعوها ، قالت فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : كل مصيبة بعدك جلل أتريد صغيرة .

قال ابن هشام : الجلال : يكون من القليل ، ومن الكثير ، وهو هاهنا من القليل . قال امرؤ القيس في الجلال القليل :

لقتل بني أسند ربههم ألا كل شيء سواه جلل^(٢)

قال ابن هشام أي صغير قليل : قال ابن هشام : والجلال أيضاً العظيم : قال الشاعر ، وهو الحارث بن وعلة الجرمي :

ولئن عفوت لأعفون جللا ولئن سطوت لأوهن عظمي

حمل السيوف : قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة ، فقال : اغسلي عن هذا دمه يابنية ، فوالله لقد صدقتي اليوم ، وناولها علي بن أبي طالب سيفه ، فقال : وهذا أيضاً ، فاغسلي عنه دمه ، فوالله لقد صدقتي اليوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف وأبو دجاجة .

قال ابن هشام : وكان يقال لسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذو الفقار .

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم ، أن ابن أبي نعيم قال : نادى مناد يوم أحد : لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتي إلا علي

قال ابن هشام : وحدثني بعض أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب : لا يصيب المشركون منا مثلاً حتى يفتح الله علينا .

قال ابن إسحاق : وكان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال .

غزوة حمراء الأسد

قال : فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال ، أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطالب العدو ، فأذن مؤذنه أن لا يخرج من معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس . فكلّمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ؛ فقال : يا رسول الله ، إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع ، وقال : يا بني ، إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، ولست بالذي أوترك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي ، فتخلف على أخواتك ؛ فتخلفت عليهن . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج معه . ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو ، وليياهم أنه خرج في طلبهم ، ليظنوا به قوة ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن خزيمة بن زيد بن ثابت ، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان : أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من بني عبد الأشهل كان شهد أحدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : شهدت أحدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا وأخ لي ، فرجعنا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو ، قلت لأخي أو قال لي : أنفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله ما لنا من دابة نركبها ، وما لنا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت أيسر جرحا ، فكان إذا غلب حملته عقبة ، ومشى عقبة ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهي من المدينة على ثمانية أميال ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام :

قال ابن إسحاق : فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

قال : وقد مر به كما حدثني عبد الله بن أبي بكر ، معبد بن أبي معبد الخزاعي ، وكانت خزاعة ، مسلمهم ومشرکهم عيبة نصح^(١) لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بتهامة ، صفقتهم^(٢) معه ، لا يخفون عنه شيئا كان بها ، ومعبد يومئذ مشرك ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد عز علينا ما أصابك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم ، ثم خرج ورسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء

(٢) صفقتهم : انتفاقهم .

(١) عيبة نصح الرجل : مكن سره .

الأسد، حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء، وقد أجروا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وقالوا: أجبنا حد أصحابه وأشرافهم وقادتهم، ثم فرجع قبل أن نستأصلهم، لنكرن على بقيتهم، فلنفرغن منهم. فلما رأى أبو سفيان معبداً، قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم تحرقاً، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم، وندموا على ما صنعوا، فيهم من الخنق عليكم شيء لم أر مثله قط؛ قال: ويحك! ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترتحل حتى أرى نواصي الخيل؛ قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم، لنستأصل بقيتهم، قال فإني أنهارك عن ذلك؛ قال: والله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتاً من شعر؛ قال: وما قلت؟ قال: قلت:

كادت تُهد من الأصوات راحلتى	إذا سالت الأرض بالجرى الأبايل (١)
تردى بأسد كرام لا تنابلة	عند اللقاء ولا ميل معازيل (٢)
فظلت عدوا أظن الأرض مائلة	لما سموا برئيس غير مخدول
فقلت: ويل ابن حرب من لقائكم	إذا تغطمطت البطحاء بالجبل (٣)
إني نذير لأهل البسل ضاحية	لكل ذى إربة منهم ومعقول (٤)
من جيش أحمد لا وخش تنابلة	وليس يوصف ما أئذرت بالقيـل (٥)

فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه .

ومر به ركب من عبد القيس، فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة؟ قال: ولم؟ قالوا: نريد الميرة؛ قال: فهل أنتم مبلغون عنى محمداً رسالة أرسلكم بها إليه، وأحمل لكم هذه غداً زيبيا بمعاظ إذا وافيتموها؟ قالوا نعم؛ قال: فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم، فمراكب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمحمره الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان؛ فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل .

-
- (١) الجرد: العناق من الخيل. والأبايل: الجماعات .
 (٢) تردى: تسرع. والتنابلة: القصار. والميل: الذين لارماخ معهم. والمعازيل: العزل من السلاح .
 (٣) تغطمطت: اهتزت. والجبل: الصنف من الناس .
 (٤) أهل البسل: قريش. والضاحية: الظاهرة للشمس. والإربة: العقل .
 (٥) الوخش: رذلة الناس .

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة : أن أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد ، أراذ الرجوع إلى المدينة ، ليستأصل بقية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم صفوان ابن أمية بن خلف : لا تفعلوا ، فإن القوم قد حربوا (١) ، وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذي كان ، فارجعوا ، فارجعوا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو بحمراء الأسد ، حين بلغه أنهم هموا بالرجعة : والذي نفسى بيده ، لقد سوّمت (٢) لهم حجارة ، لو صبّحوا بها لكانوا كأمس الذاهب .

قال أبو عبيدة : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في جهة ذلك ، قبل رجوعه إلى المدينة معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، وهو جد عبد الملك بن مروان ، أبو أمه عائشة بنت معاوية ، وأبا عزة الجحى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسره بيد ، ثم من عليه ؛ فقال : يا رسول الله ، ألقني ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدما تقول : خدعت محمداً مرتين ، اضرب عنقه يازبير . فضرب عنقه .

قال ابن هشام : وبلغني عن سعيد بن المسيب أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين . اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت ، فضرب عنقه .

قال ابن هشام : ويقال : إن زيد بن حارثة وعمار بن ياسر قتلا معاوية بن المغيرة بعد حمراء الأسد ، كان لجأ إلى عثمان بن عفان فاستأمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه ، على أنه وجد بعد ثلاث قتل ، فأقام بعد ثلاث وتوارى فبعثهما النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا ، فوجداه فقتلاه .

شأن عبد الله بن أبي بعد غزوة أحد : قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان عبد الله بن أبي بن سلول ، كما حدثني ابن شهاب الزهري ، له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر ، شرفاً له في نفسه وفي قومه ، وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس ، قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم ، أكرمكم الله وأعزكم به ، فانصروه وعزروه ، واسمعوا له وأطيعوا ، ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ، ورجع بالناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المسلمون بشيابه من نواحيه ، وقالوا : اجلس ، أي عدو الله ، لست لذلك بأهل ، وقد صنعت ما صنعت ، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنما قلت بهراً (٣) أن قت أشدد أمره . فلقى رجل من الانصار بباب المسجد ، فقال : مالك ؟ ويلك ! قال : قت

(١) حربوا : غضبوا . (٢) سوّمت : علبت . (٣) البجر : الأمر العظيم .

أشد أمره ، فوثب على رجال من أصحابه يجذبونني ويعتفونني ، لكأنما قلت بجرأ أن قت أشدد أمره ؛ قال : ويلك ! ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : والله ما أبتغي أن يستغفر لي .

ثم حيص المؤمنين يوم أحد : قال ابن إسحاق : كان يوم بلاء ومصيبة وتمحيص ، اختبر الله به المؤمنين ، ومحن به المنافقين ، ممن كان يظهر الإيمان بلسانه ، وهو مستخف بالكفر في قلبه ، ويوما أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته .

ذكر ما أنزل الله في أحد من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطالي ، قال : فكان لما أنزل الله تبارك وتعالى في يوم أحد من القرآن ستون آية من آل عمران ، فيها صفة ما كان في يومهم ذلك ومعاتبه من عاتب منهم ، يقول الله تبارك وتعالى لئنبي صلى الله عليه وسلم : « ولأذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنين مقامد للقتال ، والله سميع عليم » .

قال ابن هشام : تبوء المؤمنين : تتخذ لهم مقاعد ومنازل . قال الكميت بن زيد :

ليتنى كنت قبله قد تبوأتم مضجعا

وهذا البيت في أبيات له .

أى سميع بما تقولون ، عليم بما تخفون .

« ولأذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » : أى تتخاذلا ، والطائفتان : بنو سلة بن جشم بن الخزرج ، وبنو حارثة بن النبيت من الأوس ، وهما الجناحان يقول الله تعالى : « والله وليهما » ؛ أى المدافع عنهما ما همتا به من نشامهما ، وذلك أنه لما كان ذلك منهما عن ضعف ووهن أصابهما غير شك في دينهما ، فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائده ، حتى سلما من وهنهما وضعفهما ، ولحقنا بنبهما صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : حدثني رجل من الأسد من أدل العلم ، قال : قالت الطائفتان . ما نحب أنالمنهم بما همنا به ، لتولى الله إيانا في ذلك .

قال ابن إسحاق : يقول الله تعالى : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » : أى من كان به ضعف من المؤمنين فليتوكل على ، وليستعن به ، أعنه على أمره ، وأدافع عنه ، حتى أبلغ عنه ، وأقويه على نبيه . « ولقد نصركم الله بيدر وأتم أذلة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون » : أى فاتقوني ، فإنه شكر نعمتي . « ولقد نصركم الله بيدر ، وأتم أقل عدداً وأضعف قوة » إذ تقول للدومنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » : أى إن تصبروا لعدوى ، وتطيعوا أمرى ، ويأتوكم من وحيهم هذا ، أمدكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين .

قال ابن هشام : مسومين : معللين . بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه قال : أعلوا على أذئاب خيلهم ونواصيها بصوف أبيض . فأما ابن إسحاق فقال : كانت سيماهم يوم بدر عمائم بيضا . وقد ذكرت ذلك فى حديث بدر . والسيما : العلامة . وفى كتاب الله عز وجل : « سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » : أى علامتهم . و « حجارة من سجيل منضود مسومة » يقول : مملعة . بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه قال : عليها علامة ، أنها ليست من حجارة الدنيا ، وأنها من حجارة العذاب . قال ربيعة بن العجاج :

فالآن تبلى بن الجياد السهم ولا تجاربنى إذا ما سوّموا (١)

وشخصت أبصارهم وأجذموا (٢)

وهذه الأبيات فى أرجوزة له . والمسومة أيضاً : المرعية ، وفى كتاب الله تعالى : « والخيول المسومة » و « شجر فيه تسيمون » . تقول العرب : سوم خيله وإبله ، وأسامها : إذا رعاها . قال الكميث بن زيد :

راعيا كان مسجحا ففقدنا . وفقد المسيم هلك السوام

قال ابن هشام : مسجحا : سلس السياسة عحسن إلى الغنم . وهذا البيت فى قصيدة له .

« وما جعله الله إلا بشرى لكم ، ولتطمئن قلوبكم به ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » : أى ما سميت لكم من سميت من جنود ملائكتى إلا بشرى لكم ، ولتطمئن قلوبكم به ، لما أعرف من ضعفكم ، وما النصر إلا من عندى ، لسلطاني وقدرتي ، وذلك أن العزيز

(١) الجياد : الخيل العتاق . والسهم : العابسة .

(٢) أجذموا : أسرعوا .

والحكم إلى ، لا إلى أحد من خلقى . ثم قال : « ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين » : أى ليقطع طرفا من المشركين بقتل ينتقم به منهم ، أو يردم خائبين : أى ويرجع من بقى منهم فلا خائبين ، لم ينالوا شيئاً مما كانوا يأملون .

قال ابن هشام : يكبتهم : يغمهم أشد الغم ، ويغمهم ما أرادوا . قال ذو الرمة :
 ما أنس من شجن لأنس موقفتنا فى حيرة بين مسرور ومكبوت

ويكبتهم أيضاً : يصرعهم لوجوههم .

قال ابن إسحاق : ثم قال لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس لك من الأمر شيء ، أو يتوب عليهم ، أو يعذبهم فإنهم ظالمون » : أى ليس لك من الحكم شيء فى عبادى ، إلا ما أمرتك به فيهم ، أو أتوب عليهم برحمتى ، فإن شئت فعلت ، أو أعذبهم بذنوبهم فبحقنى « فإنهم ظالمون » . أى قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم لإيائى « والله غفور رحيم » : أى يغفر الذنب ويرحم العباد ، على ما فيهم (١) .

ثم قال : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة » : أى لا تأكلوا فى الإسلام ، إذ هذا كم الله به ما كنتم تأكلون إذ أنتم على غيره ، مما لا يحل لكم فى دينكم « واثقوا الله لعلكم تفلحون » ، أى فأطيعوا الله لعلكم تنجون مما حذركم الله من عذابه ، وتدركون ما رغبكم الله فيه من ثوابه ، « واثقوا النار التى أعدت للكافرين » ، أى التى جعلت داراً لمن كفر بى .

(١) وفى الترمذى حديث مرفوع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — كان يدعو على أبى سفيان والحارث بن هشام وعمرو بن العاصى ، حتى أنزل الله تعالى : « ليس لك من الأمر شيء » ، أو يتوب عليهم ، قال : فتأبوا وأسلموا ، وحسن إسلامهم ، وهذا حديث ثابت فى حسن إسلام أبى سفيان خلافاً لمن زعم غير ذلك ، وأما الحارث بن هشام فلا خلاف فى حسن إسلامه وفى موته شهيداً بالشام ، وأما عمرو بن العاصى ، فقد قال فيه النبى عليه السلام : أسلم الناس وآمن عمرو ، وقال فى حديث جرى ، ما كانت هجرته للبال ، وإنما كانت لله ورسوله ، فقال له النبى — صلى الله عليه وسلم — نعماً بالمال الصالح للرجل الصالح ، فسماه : رجلاً صالحاً والحديث الذى جرى : أنه كان قال له لئن أريد أن أبغىك وجهاً يسلك الله فيه ، ويغنمك ، وأزعب لك زعبة من المال .

ثم قال : « وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون » ، معاتباً للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمرهم بما أمرهم به في ذلك اليوم وفي غيره . ثم قال : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » : أى داراً لمن أطاع وأطاع رسولاً . « الذين ينفقون في السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين » : أى وذلك هو الإحسان ، وأنا أحب من عمل به ، « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم » ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » : أى إن أتوا فاحشة ، أو ظلموا أنفسهم بمعصية ذكروا الله عنها ، وما حرم عليهم ، فاستغفروه لها ، وعرفوا أنه لا يغفر الذنوب إلا هو . « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » : أى لم يقيموا على معصيتي كفعل من أشرك بي فيما غلوا به في كفرهم ، وهم يعلمون ما حرمت عليهم من عبادة غيري . « أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر العالمين » : أى ثواب المطيعين .

ثم استقبل ذكر المصيبة التي نزلت بهم ، والبلاء الذي أصابهم ، والتمحيص لما كان فيهم ، واتخاذهم الشهداء منهم ، فقال : تعزية لهم ، وتعريفاً لهم فيما صنعوا ، وفيما هو صانع بهم : « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » : أى قد مضت منى وقائع تقمة في أهل التكذيب لرسلي والشرك بي : عاد وحمود وقوم لوط وأصحاب مدين ، فأروا مثلاً قد مضت منى فيهم ، ولن هو على مثل ما هم عليه من ذلك منى ، فإني أملت لهم : أى لئلا يظنوا أن تقمى انقطعت عن عدوكم وعدوى ، للدولة التي أدلتهم بها عليكم ، ليتليكم بذلك ، ليعلمكم ما عندكم .

ثم قال تعالى : « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » : أى هذا تفسير للناس إن قبلوا الهدى وهدى وموعظة ، أى نور وأدب للمتقين ، أى لمن أطاعني وعرف أمرى . « ولا تنهوا ولا تحزنوا » : أى لا تضعفوا ولا تبسوا على ما أصابكم ، « وأنتم الأعلون » : أى لكم تكون العاقبة والظهور وإن كنتم مؤمنين ، « أى إن كنتم صدقتم نبيي بما جاءكم به عنى » . « إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » : أى جراح مثلها ، « وتلك الأيام نداولها بين الناس » : أى نصرفها بين الناس للبلاء والتمحيص « ويعلم الله الذين آمنوا » ، ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين ، « أى ليميز بين المؤمنين والمنافقين نبيي وليكرم من أكرم من أهل الإيمان بالشهادة ، والله لا يحب الظالمين » : أى المنافقين الذين يظهرون الطاعة وقلوبهم مصرة على المعصية « وليمحص الله الذين آمنوا » : أى يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبلاء الذي نزل بهم ، وكيف صبرهم وبقينهم « ويمحق الكافرين » : أى يطل من المنافقين قلوبهم بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، حتى يظهر منهم كفرهم الذي يسترون به .

ثم قال تعالى : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » : أى حسبتم أن تدخلوا الجنة ، فتصيبوا من ثواب الكرامة ، ولم أختبركم بالشدة ، وأبتليكم بالمسكاره ، حتى أعلم صدق ذلك منكم بالإيمان بى ، والصبر على ما أصابكم فى ، ولقد كنتم تمنون الشهادة على الذى أتم عليه من الحق قبل أن تلقوا عدوكم ، يعنى الذين استنصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خروجه بهم إلى عدوهم ، لما فاتهم من حضور اليوم الذى كان قبله يدر ، ورغبة فى الشهادة التى فاتتهم بها ، فقال : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه » ، يقول : « فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » ، أى الموت بالسيف فى أيدي الرجال قد خلى بينكم وبينهم وأنتم تنظرون إليهم ، ثم صدم عنكم . « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » ، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزي الله الشاكرين » : أى لقول الناس : قتل محمد صلى الله عليه وسلم ، وانهمزاهم عند ذلك ، وانصرفهم عن عدوهم « أفان مات أو قتل » رجعتهم عن دينكم كفارا كما كنتم ، وتركتم جهاد عدوكم ، وكتاب الله . وما خلف نبيه صلى الله عليه وسلم من دينه معكم وعندكم ، وقد بين لكم فيها جامكم به عنى أنه ميت ومفارقكم ، « ومن ينقلب على عقبيه » : أى يرجع عن دينه « فلن يضر الله شيئا » : أى ليس ينقص ذلك عز الله تعالى ولا ملكه ولا سلطانه ولا قدرته ، « وسيجزي الله الشاكرين » : أى من أطاعه وعمل بأمره (١) .

ثم قال : « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا » : أى أن لمحمد صلى الله عليه وسلم أجل هو بالغه ، فإذا أذن الله عز وجل فى ذلك كان . « ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها » ، وسنجزي الشاكرين : أى من كان منكم يريد الدنيا ، ليست له رغبة فى الآخرة ، نؤته منها ما قسم له من رزق ، ولا يعدوه فيها ، وليس له فى الآخرة من حظ « ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها » ما وعده ، مع ما يجزى عليه من رزقه فى دنياه وذلك جزاء الشاكرين ، أى المتقين .

(١) ظهر تأويل هذه الآية حين انقلب أهل الردة على أعقابهم ، فلم يضر ذلك دين الله ، ولا أمة نبيه ، وكان أبو بكر يسمى : أمير الشاكرين لذلك ، وفى هذه الآية دليل على صحة خلافته ، لأنه الذى قاتل المنقلبين على أعقابهم حين ردهم إلى الدين الذى خرجوا منه ، وكان فى قوله سبحانه : « وسيجزي الله الشاكرين » دليل على أنهم سيظفرون بمن ارتدوا وتكمل عليهم النعمة ، فيشكرون ، فتحريضه إياهم على الشكر — والشكر لا يكون إلا على نعمة — دليل على أن بلاء الردة لا يطول ، وأن الظفر بهم سريع ، كما كان .

« يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعتابكم فتنتقلبوا لحاسرين » : أى من عدوكم ، فتذهب دنياكم وآخرتكم « بل الله مولاكم وهو خير الناصرين » ، فإن كان ما تقولون بالسنتكم صدقا فى قلوبكم فاعتصموا به ، ولا تستنصروا بغيره ، ولا ترجعوا على أعتابكم مرتدين عن دينه . فسنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب » : أى الذى به كنت أنصركم عليهم بما أشركوا بى ما لم أجعل لهم من حجة ، أى فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر ولا ظهور عليكم ما اعتصمتم بى ، واتبعتم أمرى ، للمصيبة التى أصابتكم منهم بذنوب قدمتموها لأنفسكم ، خالفتهم بها أمرى للمصيبة ، وعصيتهم بها النبى صلى الله عليه وسلم . « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه ، حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر ، وعصيتهم من بعد ما أراكم ماتحبون ، منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة (١) » ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضل على المؤمنين ، أى وقد وفيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوكم ، إذ تحسونهم بالسيوف ، أى القتل ، بإذنى وتسليطى أيديكم عليهم ، وكفى أيديهم عنكم .

قال ابن هشام : الحس الاستئصال : يقال : حسست الشيء : أى استأصلته بالسيف وغيره قال جرير :

تحسم السيوف كما تسامى حريق النار فى الأجم الحصيد (٢)

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال رؤبة بن العجاج :

إذا شكونا سنة حسوسا

تأكل بعد الأخضر اليبسا

وهذان البيتان فى أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : « حتى إذا فشلتم » : أى تناذلتهم « وتنازعتم فى الأمر » ، أى اختلفتم فى

(١) وقوله « ومنكم من يريد الآخرة » ، قال ابن عباس : هو عبد الله بن جبير الذى كان أميرا على الرماة ، وكان أمرهم أن يلزموا مكانهم ، وألا يخالفوا أمر نبيهم ، فثبت معه طائفة ، فاستشهد ، واستشهدوا ، وهم الذين أرادوا الآخرة ، وأقبلت طائفة على المغنم ، وأخذ السلب ، ففكر عليهم العدو ، وكانت المصيبة ، انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ٣ ص ١٩٤

(٢) تسامى : ارتفع . والأجم : جمع أجمة . الشجر الكنهد الملتف .

أمرى ، أى تركتم أمر نبيكم وما عهد إليكم ، يعنى الرماة « وعميتم من بعد ما أراكم ماتحبون » :
أى الفتح ، لاشك فيه ، وهزيمة القوم عن نسايتهم وأموالهم ، « منكم من يريد الدنيا » : أى
الذين أرادوا النهب فى الدنيا وترك ما أمروا به من الطاعة التى عليها ثواب الآخرة « ومنكم
يريد الآخرة » : أى الذين جاهدوا فى الله ، ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه ، لعرض من الدنيا ،
رغبة فيها ، رجاء ما عند الله من حسن ثوابه فى الآخرة : أى الذين جاهدوا فى الدين ولم يخالفوا
إلى ما نهوا عنه ، لعرض من الدنيا ، ليختبركم ، وذلك ببعض ذنوبكم ، ولقد عفا الله عن عظيم
ذلك ، أن لا يهلككم بما أتيتهم من معصية نبيكم ، ولكى عدت بفضل علىكم ، وكذلك « من »
الله على المؤمنين ، أن عاقب ببعض الذنوب فى عاجل الدنيا أدبا وموعظة ، فإنه غير مستأصل
لكل ما فيه من الحق له عليهم ، بما أصابوا من معصيته ، رحمة لهم ، وعائدة عليهم ، لما
فيه من الإيمان .

ثم أنهم بالفزار عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وهم يدعون ليعطفون عليه لدعائه إياهم ،
نقال : « إذ تصعدون ولا تلوون على أحد » والرسول يدعوكم فى أخراكم ، فأنا بكم غما بغم ،
لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم : أى كريا بعد كرب ، بقتل من قتل من إخوانكم ،
وعلو عدوكم عليكم ، وبما وقع فى أنفسكم من قول من قال : قتل نبيكم ، فكان ذلك مما تتابع
عليكم غما بغم : لكيلا تحزنوا على ما فاتكم : من ظهوركم على عدوكم ، بعد أن رأيتموه بأعينكم
ولا ما أصابكم من قتل إخوانكم ، حتى فرجت ذلك الكرب عنكم « والله خبير بما تعملون » .
وكان الذى فرج الله به عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغم الذى أصابهم ، أن الله عز وجل
رد عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيهم صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيّاً بين أظهرهم ، هان عليهم ما فاتهم من القوم بعد الظهور عليهم ، والمصيبة التى أصابتهم فى
إخوانهم ، حين صرف الله القتل عن نبيهم صلى الله عليه وسلم . « ثم أنزل عليكم من بعد الغم
أمنة ناعسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ،
يقولون هل لنا من الأمر من شيء ، قل إن الأمر كله لله ، يخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك ،
يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما اقتتلنا هاهنا ، قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم
القتل إلى مضاجعهم ، وليبتلى الله ما فى صدوركم ، وليحص ما فى قلوبكم ، والله عليم بذات
الصدور » ، فأنزل الله الناس أمنة منه على أهل اليقين به ، فهم نيام لا يخافون ، وأهل النفاق
قد أهمتهم أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، تخوف القتل ، وذلك أنهم لا يرجون
عاقبة ، فذكر الله عز وجل تلاومهم وحسرتهم على ما أصابهم . ثم قال الله سبحانه لنبيه صلى

الله عليه وسلم : « قل لو كنتم في بيوتكم ، لم تحصروا هذا الوطن الذي أظهر الله فيه منكم ما أظهر من سرائركم » لبرز « لخرج » الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم « إلى موطن غيره يصرعون فيه ، حتى يبتلى به مافي صدورهم » ولیمحص مافي قلوبكم ، والله عليم بذات الصدور : « أى لا يخفى عليه مافي صدورهم مما استخفوا به منكم .

ثم قال : « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزوى ، لو كانوا عندنا ماتوا وماقتلوا ، ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ، والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير » : « أى لا تكونوا كالمنافقين الذين يأنسون إخوانهم عن الجهاد في سبيل الله ، والضرب في الأرض في طاعة الله عز وجل ، وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقولون إذا ماتوا أو قتلوا : لو أطلعونا ماتوا وماقتلوا ، ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم » لقلة اليقين بربهم ، « والله يحيي ويميت » : « أى يجعل ما يشاء ويؤخر ما يشاء من ذلك من آجالهم بقدرته ، قال تعالى : « ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون » : « أى إن الموت لكائن لابد منه ، فموت في سبيل الله ، أو قتل ، خير لو علموا وأيقنوا بما يجمعون من الدنيا التي لها يتأخرون عن الجهاد ، تخوف الموت والقتل لما جمعوا من زهرة الدنيا زهادة في الآخرة ، ولئن متم أو قتلتم ، أى ذلك كان ولإلى الله تحشرون » : « أى أن إلى الله المرجع ، فلا تغرنكم الدنيا ، ولا تغتروا بها ، وليكن الجهاد ومارغبكم الله فيه من ثوابه أثر عندكم منها .

ثم قال تبارك وتعالى : « فبإرحمة من الله لنت لهم ، ولو كنتم فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » : « أى لتركرك » فاعف عنهم : « أى فتجاوز عنهم » واستغفر لهم ، وشاروهم في الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين ، فذكر لنبيه صلى الله عليه وسلم لينه لهم ، وصبره عليهم ، وقله صبرهم على الغلظة لو كانت منه عليهم في كل ما عالفوا عنه بما افترض عليهم من طاعة نبيهم صلى الله عليه وسلم . ثم قال تبارك وتعالى : « فاعف عنهم » : « أى تجاوز عنهم » ، واستغفر لهم ، ذنوبهم ، من قارف^(١) من أهل الإيمان منهم « وشاروهم في الأمر » : « أى لترهم أنك تسمع منهم ، وتستعين بهم ، وإن كنت غنيا عنهم ، تألفا لهم بذلك على دينهم » فإذا عزمت ، : « أى على أمر جاءك مني وأمر من دينك في جهاد عدوك لا يصلحك ولا يصلحهم إلا ذلك ، فامض على ما أمرت به ، على خلاف من عالفك ، وموافقة من وافقك ،

(١) قارف الذنب : دخل فيه .

« وتوكل على الله » ، أى ارض به من العباد ، « لأن الله يحب المتوكلين . إن ينصركم الله فلا غالب لكم ، وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده » : أى لئلا تترك أمرى للناس ، وارفض أمر الناس إلى أمرى . وعلى الله لاعلى الناس ، فليتوكل المؤمنون .

ثم قال : « وما كان لى أن يغفل ، ومن يغفل يأت بما ذل يوم القيامة » ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظنون : « أى ما كان لى أن يكتم الناس ما بعثه الله به إليهم ، عن رهبة من الناس ولا رغبة ، ومن يفعل ذلك يأت يوم القيامة » ، ثم يجرى بكسبه ؛ غير مظلوم ولا معتدى عليه . « أفن اتبع رضوان الله ، على ما أحب الناس أو سخطوا ؟ كن بآء بسخط من الله ، لرضا الناس أو لسخطهم . يقول : أفن كان على طاعتي فتوا به الجنة ورضوان من الله كن بآء بسخط من الله راستوح بسخطه ، فكان « مأواه جهنم وبئس المصير » أسواء المثلان ! فاعرفوا . « هم درجات عند الله ، والله بصير بما يعملون » لكل درجات بما عملوا فى الجنة والنار : أى إن الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته .

ثم قال : « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » ، وإن كانوا من قبل لى ضلال مبين : « أى لقد من الله عليكم يا أهل الإيمان ، إذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياته فيما أهدتكم ، وفيما عملتم فيعلمكم الخير والشر ، لتعرفوا الخير فتعملوا به والشر فتستقوه ، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطمعتم . فستكثروا من طاعته وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته ، ولستخلصوا بذلك من نقمته ، وتذكروا بذلك ثوابه من جنته » وإن كنتم من قبل لى ضلال مبين : « أى لى عمياء من الجاهلية ، أى لا تعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيئة صم عن الخير ، بكتم عن الحق ، عمى عن الهدى .

ثم ذكر المصيبة التى أصابتهم ، فقال : « أولمّا أصابكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم : أنسى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم ، إن الله على كل شىء قدير » : أى إن تلك أصابكم مصيبة فى إخوانكم بذنوبكم فقد أصبتم ما بها قبل من عدوكم ، فى اليوم الذى كان قبله بيدر ، قتلا وأسرا ونسيتم معصيتكم وخلافكم عما أمركم به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، أنتم أحللتهم ذلك بأنفسكم « إن الله على كل شىء قدير » : أى إن الله على ما أراد بعباده من نعمة أو عفو قدير « وما أصابكم يوم التقى الجمعان فيأذن الله ، وليعلم المؤمنين » : أى ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوكم فيأذننى ، كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نصرى ، وصدقتم وعدى ، ليين بين المؤمنين والمنافقين « وليعلم الذين نافقوا ، منكم : أى ليظهر ما فيهم . « وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا »

يعنى عبد الله بن أبي وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى عدوه من المشركين بأحد، وقولهم: لو نعلم أنكم تقتلون لسرنا معكم، ولدفعنا عنكم، ولكننا لا نظن أنه يكون قتال. فأظهر منهم ما كانوا يخفون في أنفسهم. يقول الله عز وجل: «هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان»، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، أى يظهر من ذلك الإيمان وليس في قلوبهم. والله أعلم بما يكتمون: «أى ما يخفون» الذين قالوا لإخوانهم، الذين أصيبوا معكم من عشائركم وقومهم: «لو أطاعونا ما قتلوا، قل فادرموا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين»: «أى أنه لا بد من الموت، فإن استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا وذلك أنهم إنما نافقوا وتركوا الجهاد في سبيل الله، حرصا على البقاء في الدنيا. وفراراً من الموت».

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم، يرغب المؤمنين في الجهاد، ويهون عليهم القتل: «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون». فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون، أى لا تظنن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً: «أى قد أحييتهم، فهم عندى يرزقون في روح الجنة وفضلها، مسرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم: «أى ويسرون بلحق من لحقهم من إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم، ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم، قد أذهب الله عنهم الحوف والحزن». يقول الله تعالى: «يستبشرون بنعمة من الله وفضل، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين، لما عاينوا من وفاء الموعود، وعظيم الثواب».

مصير قتلى أحد: قال ابن إسحاق: وحدثني إسماعيل بن أمية، عن أبي الزبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب، في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم، وحسن مقيلمهم، قالوا: ياليت إخواننا يعلون ما صنع الله بنا، لئلا يزهّدوا في الجهاد، ولا ينكأوا عن الحرب، فقال الله تعالى: فأنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الآيات: «ولا تحسبن...».

قال ابن إسحاق: وحدثني الحارث بن الفضيل، عن محمود بن لبيد الانصارى عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الشهداء على بارق نهر يباب الجنة، في قبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا.

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن هؤلاء الآيات:

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فقال : أما إننا قد سألنا عنها فقيل لنا إنه لما أصيب لإخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد في أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فيطلع الله عز وجل عليهم اطلالة فيقول : يا عبادي ، ماتشتون فأزيدكم ؟ قال : فيقولون ربنا لافوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا ! قال : ثم يطلع الله عليهم اطلالة ، فيقول : يا عبادي ، ماتشتون ، فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لافوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا ! قال : ثم يطلع الله عليهم اطلالة ، فيقول : يا عبادي ، ماتشتون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لافوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا ! إلا أنا نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا ، ثم نرد إلى الدنيا ، فنقاتل فيك ، حتى تقتل مرة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال : سمعت جابر ابن عبد الله يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أبشرك يا جابر ؟ قال قلت : بلى يا نبي الله ، قال : إن أباك حيث أصيب بأحد أحياء الله عز وجل ، ثم قال له : ماتحببنا عبد الله بن عمر وأن أفعل بك ؟ قال : أي رب ، أحب أن تردني إلى الدنيا فأقاتل فيك ، فأقتل مرة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده ، مامن مؤمن يفارق الدنيا يحب أن يرجع إليها ساعة من نهار ، وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد ، فإنه يحب أن يرد إلى الدنيا ، فيقاتل في سبيل الله ، فيقتل مرة أخرى .

من خرجوا مع الرسول إلى حمراء الأسد : قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ، أي الجراح ، وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم أحد إلى حمراء الأسد على ما بهم من ألم الجراح : « للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم . الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً ، وقللوا حسبتنا الله ونعم الوكيل ، ، والناس الذين قالوا لهم ما قالوا ، النفر من عبد القيس ، الذين قال لهم أبو سفيان ما قال ؟ قالوا إن أبا سفيان ومن معه راجعون إليكم . يقول الله عز وجل : « فاقبلوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم ، ، لا صرف الله عنهم من لقاء عدوهم ، إنما ذلكم الشيطان ، أي لأولئك الرهط وما ألقى الشيطان على أفواههم « يخوف أوليائه ، : أي يرهبك بأوليائه ، « فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين . ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ، : أي المنافقون « لأنهم لن يضروا الله شيئاً ، يريد الله ألا يجعل لهم حظاً في الآخرة ، ولهم عذاب عظيم . إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضررا الله شيئاً ولهم عذاب أليم ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيراً

لأنفسهم ، إنما نعلي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين . ما كان الله لينذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ، : أى المنافقين « وما كان الله ليطلعكم على الغيب » : أى فيما يريد أن يتبليكم به ، لتحذروا ما يدخل عليكم فيه ، ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ، أى يله ذلك « فآمنوا بالله ورسله ، وإن تؤمنوا وتتقوا » : أى ترجعوا وتوبوا ، فلکم أجر عظيم »

ذكر من استشهد بأحد من المهاجرين

قال ابن إسحاق : واستشهد من المسلمين يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش ، ثم من بنى هاشم بن عبد مناف : حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، رضى الله عنه ، قتله وحشى ، غلام جبير بن مطعم .

ومن بنى أمية بن عبد شمس : عبد الله بن جحش ، حليف لهم من بنى أسد بن خزيمه .
ومن بنى عبد الدار بن قصي : مصعب بن عمير ، قتله ابن قتيبة الليثي .
ومن بنى مخزوم بن يقظة : شماس بن عثمان . أربعة نفر :

ذكر من استشهد بأحده من الأنصار : ومن الأنصار ، ثم من بنى عبد الأشهل : عمرو بن معاذ بن النعمان ، والحارث بن أنس ابن رافع ، وعماره بن زياد بن السكن .

قال ابن هشام : السكن : ابن رافع بن امرئ القيس ، ويقال : السكن .
قال ابن إسحاق : وسلمة بن ثابت بن وقش ، وعمرو بن ثابت بن وقش ، رجلان .
قال ابن إسحاق : وقد زعم لي عاصم بن عمر بن قتادة : أن أباهما ثابتاً قتل يومئذ . ورفاعة ابن وقش . وحسيل بن جابر ، أبو حذيفة وهو اليان ، أصابه المسلمون في المعركة ولا يدرون ، تصدق حذيفة بديته على من أصابه ، وصيني بن قيطي . وحباب بن قيطي . وعباد بن سهل ، والحارث بن أوس بن معاذ . اثنا عشر رجلاً

ومن أهل راتج : إياس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن حوراء بن جشم ابن عبد الأشهل ، وعبيد بن النسيان .

قال ابن هشام : ويقال : عتيك بن النسيان .
وحبيب بن يزيد بن تميم . ثلاثة نفر .

ومن بنى ظفر : يزيد بن خاطب بن أمية بن رافع . رجل .

ومن بنى عمرو بن عوف ، ثم من بنى ضبيعة بن زيد : أبو سفيان بن الحارث بن قيس

ابن زيد ، وحظلة بن أبي عامر بن صبيح بن نعمان بن مالك بن أمة ، وهو غسيل الملائكة ، قتله شداد بن الأسود بن شعوب الليثي . رجلان .

قال ابن هشام : قيس : ابن زيد بن ضبيعة ، ومالك : ابن أمة بن ضبيعة .

قال ابن إسحاق : ومن بني عبيد بن زيد : أنيس بن قتادة . رجل .

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف : أبو حبة ، وهو أخو سعد بن خيثمة لأمه .

قال ابن هشام : أبو حبة : ابن عمرو بن ثابت .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن جبير بن النعمان ، وهو أمير الرماة . رجلان .

ومن بني السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس : خيثمة أبو سعد بن خيثمة . رجل .

ومن حلفائهم من بني العجلان : عبد الله بن سلبة . رجل .

ومن بني معاوية بن مالك : مسيع بن حاطب بن الحارث بن قيس بن هيشة . رجل .

قال ابن هشام : ويقال : سويق بن الحارث بن حاطب بن هيشة .

قال ابن إسحاق : ومن بني النجار : ثم من بني سواد بن مالك بن غنى : عمرو بن قيس ، وابنه قيس بن عمرو .

قال ابن إسحاق : وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر بن غلدة . أربعة نفر .

ومن بني مبدول : أبو هيرة بن الحارث بن علقمة بن عمرو بن ثقف بن مالك بن مبدول ، وعمرو بن مطرف بن علقمة بن عمرو . رجلان .

ومن بني عمرو بن مالك : أوس بن ثابت بن المنذر . رجل .

قال ابن هشام : أوس بن ثابت ، أخو حسان بن ثابت .

قال ابن إسحاق : ومن بني عدى بن النجار . أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن سحرام ابن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار . رجل .

قال ابن هشام : أنس بن النضر ، عم أنس بن مالك : خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بني مازن بن النجار : قيس بن غلدة ، وكيسان ، عبد لهم . رجلان .

ومن بني دينار بن النجار : سليم بن الحارث ، ونعمان بن عبد عمرو . رجلان .

ومن بني الحارث بن الخزرج : خارجة بن زيد بن أبي زهير ، وسعد بن الربيع بن عمرو ابن أبي زهير ، دفنا في قبر واحد ، وأوس بن الأرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك ابن ثعلبة بن كعب . ثلاثة نفر .

ومن بني الأبحر ، وهم بنو خدره : مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبحر .
وهو أبو أبي سعيد الخدري .

قال ابن هشام : اسم أبي سعيد الخدري : سنان ؛ ويقال سعد .

قال ابن إسحاق : وسعيد بن مسويد بن قيس بن عامر بن عباد بن الأبحر ؛ وعتبة ، بن ربيع ،
ابن رافع ؛ بن معاوية ، بن عبيد ، بن ثعلبة ، بن عبيد ، بن الأبحر ثلاثة نفر .

ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج : ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة
ابن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ؛ وثقف بن فروة بن البدي . رجلان .

ومن بني طريف ، رهط سعد بن عبادة : عبد الله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة بن وقش
ابن ثعلبة بن طريف ؛ وضمرة ، حليف لهم من بني جينة . رجلان .

ومن بني عوف بن الخزرج ، ثم من بني سالم ، ثم من بني مالك بن العجلان بن زيد بن
غهم بن سالم : نوفل بن عبد الله ؛ وعباس بن عبادة بن فضلة بن مالك بن العجلان ؛ ونعمان بن
مالك بن ثعلبة بن فهر بن غهم بن سالم ؛ والمجدر بن زياد ، حليف لهم من بني ؛ وعبادة بن الحساس .
دفن النعمان بن مالك ، والمجدر ، وعبادة في قبر واحد . خمسة نفر .

ومن بني الحبلى : رفاعة بن عمرو . رجل .

ومن بني سلة ، ثم من بني حرام : عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام ؛ وعمرو
ابن الجوح بن زيد بن حرام ، دفنا في قبر واحد ؛ وخلاد بن عمرو بن الجوح بن زيد بن حرام ،
وأبو أيمن ، مولى عمرو بن الجوح . أربعة نفر .

ومن بني سواد بن غهم : سليم بن عمرو بن حديدة ، ومولاه عثرة ، وسهل بن قيس بن
أبي كعب بن القين . ثلاثة نفر .

ومن بني زريق بن عامر : ذكوان بن عبد قيس ، وعبيد بن الملى بن لوزان . رجلان .

قال ابن هشام : عبيد بن الملى ، من بني حبيب .

قال ابن إسحاق : لجميع من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من
المهاجرين والأنصار . خمسة وستون رجلا .

قال ابن هشام : ومن لم يذكر ابن إسحاق من السبعين الشهداء الذين ذكرنا ، من الأوس ،
ثم من بني معاوية بن مالك : مالك بن نائلة ، حليف لهم من مزينة .

ومن بنى خطمة — واسم خطمة : عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس — الحارث بن عدي بن خرشة بن أمية بن عامر بن خطمة .

ومن الخزرج ، ثم من بنى سواد بن مالك بن مالك : إياس .

ومن بنى عمرو بن مالك بن التجار : إياس بن عدي .

ومن بنى سالم بن عوف : عمرو بن إياس .

ذكر من قتل من المشركين يوم أحد

قال ابن إسحاق : وقتل من المشركين يوم أحد من قریش ، ثم من بنى عبد الدار بن قصي من أصحاب اللواء : طلحة بن أبي طلحة ، واسم أبي طلحة : عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، قتله على بن أبي طالب ، وأبو سعيد بن أبي طلحة ، قتله سعد بن أبي وقاص .

قال ابن هشام : ويقال : قتله على بن أبي طالب .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن أبي طلحة ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، ومسافع بن طلحة ، والجلال بن طلحة ، قتلهما عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح . وكلاب بن طلحة . والحارث بن طلحة ، قتلهما قزمان ، حليف لبني ظفر .

قال ابن هشام : ويقال : قتل كلابا عبد الرحمن بن عوف .

قال ابن إسحاق : وأرطاة بن عبد شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قتله حمزة ابن عبد المطلب ، وأبو زيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قزمان : وصواب غلام له حبشي قتله قزمان .

قال ابن هشام : ويقال : قتله على بن أبي طالب ، ويقال : سعد بن أبي وقاص . ويقال أبو دجاجة .

قال ابن إسحاق : والقاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قزمان . أحد عشر رجلا .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصي : عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد . قتله على بن أبي طالب . رجل .

ومن بنى زهرة بن كلاب : أبو الحكم بن الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ،
خليف لهم ، قتله علي بن أبي طالب ، وسباع بن عبد العزى — واسم عبد العزى : عمرو بن
فضلة بن غبشان بن ساييم بن ملكان بن أنصى — حليف لهم من خزاعة ، قتله حمزة بن
عبد المطلب . رجلا .

ومن بنى عجزوم بن يقظة ، هشام بن أبي أمية بن المغيرة ، قتله قزمان : والوليد بن العاص .
ابن هشام بن المغيرة ، قتله قزمان : وأبو أمية بن أبي جذيفة بن المغيرة ، قتله علي بن أبي طالب ،
وخالد بن الأعلم ، حليف لهم ، قتله قزمان . أربعة نفر .

ومن بنى جمح بن عمرو : عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة بن جمح ، وهو
أبو عزة ، قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبراً ، وأبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ،
قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده . رجلا .

ومن بنى عامر بن لوى : عبيدة بن جابر ؛ وشيبة بن مالك بن المضرب ، قتلها
قزمان . رجلا .

قال ابن هشام : ويقال : قتل عبيدة بن جابر عبد الله بن مسعود .

قال ابن إسحاق : فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أحد من المشركين ، اثنان
وعشرون رجلا .

ذكر ما قيل من الشعر يوم أحد

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر في يوم أحد ، قول هيرة بن أبي وهب بن
عمرو بن عائذ بن عبد عمران بن عجزوم — قال ابن هشام : عائذ : ابن عمران بن عجزوم .

ما بال هم عبيد بات يطرقي	بالود من هند إذ تعدو عواديها ^(١)
بانت تعاذلني هند وتعذلني	والحرب قد شغلت عني موالها
مهلا فلا تعذليني إن من خلقي	ما قد علمت وما إن لست أخفيها
مساعف لبني كعب بما كلفوا	حال عيب وأثقال أعانيها
وقد حملت سلاحى فوق مشرف	ساط سبوح إذا تجرى ياربيها ^(٢)

(١) العبيد : شديد الحزن . والعوادي : الشواغل .

(٢) مشرف : بفتح الراء اسم مفعول . أى فرس تنظر الناس إليه لحسته .

كانه إذ جرى عَير بفدفة مكدم لاحق بالعون يحميا (١)
من آل أعوج برتاح الندى له كجذع شعراء مستمل مراقيا (٢)
أصدته ورقاق الحد متحلا ومارنا الخطوب قد ألقيا (٣)
هذا وبيضاء مثل التهنى عكمة نيطت على فبا تبدو مساويا (٤)
سقتنا كنانة من أطراف ذى يمن عرض البلاد على ما كان يزجيا (٥)
قالت كنانة : أننى تذهبون بنا ؟ قلنا : النخيل ، فأموها ومن فيها (٦)
نحن الفوارس يوم الجر من أمحد هابت معد قتلنا نحن نأثيا (٧)
هابوا ضرابا وطعنا صادقا خدما بمايرون وقد ضُمت بقواصيا (٨)
نمت رحننا كأننا عارض برد وقام هام بنى التجار يكيها (٩)
كان هامهم عند الوغى فلق من قبض رُبد نفته عن أداحيا (١٠)
أوحظل ذعذعته الرمح فى غصن بال تعاورة منها سوافيا (١١)
قد نبذل المال سحا لأحساب له ونظعن الخيل شزرا فى مآقيا (١٢)

- (١) يشبه حصانه بحمار وحشى وهو العير . والفدفة : الصحراء والمكدم : المعوض والعون : القطيع من حمر الوحش .
- (٢) الأعوج اسم فرس مشهور فى العرب ومنه الأعوجيات أى الخيل الجيدة . والندى المجلس من القوم والشعراء : نخلة كثيرة الأغصان .
- (٣) رفاق الحد : السيوف والمتحل : المتخير : والمارن هنا : الرمح اللين .
- (٤) البيضاء : الدرع ، والنهى : الغدير . ونيطت عقلت .
- (٥) عرض البلاد : سعتها . ويزجيا : يسوقها .
- (٦) يريد بالنخيل : المدينة المنورة . (٧) الجر : أصل الجبل .
- (٨) الخدم : المذل .
- (٩) العارض : السحاب والهام جمع هامة وهى ما تزعم العرب أنها طائر يخرج من رأس القنبل يصبح اسقوفى حتى يؤخذ بنار القنبل .
- (١٠) الفلق : القطع . والقبيض : قشر البيض والربض : النعام . والأداحى : أماكن تبيض فيها النعام .
- (١١) تعاورة : تداولة . السوافى الرياح التى تحمل التراب والرمل .
- (١٢) نبذل المال سحا : نهود كثيرا . والشزر : الطعن عن يمن وشمال .

وليلة يصطلي بالفرث جازرها يختص بالقرى المثرين داعيها (١)
وليلة من جمادى ذات أندية سحريا جمادية قد بت أسريها (٢)
لا ينبج الكلب فيها غير واحدة من القريس ولا تسرى أفاعيها (٣)
أوقدت فيها لذي الضراء جاحمة كالبرق ذاكبة الأركان أحبيها (٤)
أورثني ذاكم عمرو ووالده من قبله كان بالمتنى يغاليها (٥)
كانوا ييارون أنواء النجوم فإ دنت عن السورة العليا مساعيها (٦)

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت ، فقال :

سقتهم كثانة جهلا من سفاهتهم إلى الرسول لجند الله مخزبها
أوردتموها حياض الموت ضاحية فالتار موعدها ، والقتل لاقبها
جمعتنوها أحابيشا بلا حسب أئمة الكفر غرتكم طواغيبها
ألا اعتبرتم بخيل الله إذ قتلت أهل القلب ومن ألقينه فيها
كم من أسير فككتاه بلا ثمن وجرو ناصية — كنا موالها

قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك :

قال ابن هشام : وبنت هيرة بن أبي وهب الذي يقول فيه :

وليلة يصطلي بالفرث جازرها يختص بالقرى المثرين داعيها
يروى لجنوب ، أخت عمرو ذى الكلب الهذلي ، في أبيات لها في غير يوم أحد .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يجيب هيرة بن أبي وهب أيضا :

ألا هل أتى غسان عنا ودونهم من الأرض خرق سيره متنع (٧)
صحار وأعلام كأن قتاماها من البعد تقع هامد متقطع (٨)

(١) النقرى : دعوة قوم دون قوم وضدها الجفلى قال الشاعر :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لأنرى الأدب فينا ينتقر

(٢) أندية : جمع ندى وهو المجلس . وجريا : شديدة البرودة وجمادية نسبة إلى جماد وقد
سمى بهذا الاسم إذ صادف بجيئه وقت تجمد المياه .

(٣) القريس : البرد مع العقيق . (٤) الجاحمة : الملتبة .

(٥) المتنى : المرة بعد الأخرى . (٦) دنت : قصرت . السورة : المذلة .

(٧) الخرق : القفلة . والمتنع : المضطرب .

(٨) الأعلام : الجبال . والقمام : ما اسود من الأشياء . والنقع : الفبار .

تظل به البزل العراميس رزحا
به جيف الحسرى يلويح صليها
به العين والآرام يمشين خلفه
بجالدنا عن ديانا كل نخمة
وكل صموت في الصوان كأنها
ولكن يدر سائلوا من لقيتم
ولما بأرض الخوف لو كان أهلها
إذا جاء منا راكب كان قوله
فهما بهم الناس عما يكيدنا
فلو غيرنا كانت جميعا تكيدها
نجمالد لا تبقى علينا قبيلة
ولما ابتنوا بالعرض قال سراتنا
وفينا رسول الله تتبع أمره
تدلى عليه الروح من عند ربه
نشاوره فيما نريد وقصرنا
وقال رسول الله لما بدروا لنا
وكونوا كمن يشرى الحياة تقريا
ولكن خذوا أسياضكم وتوكلوا

ويخلو به غيث الستين فيمرع^(١)
كما لاح كنان التجار الموضع^(٢)
وبيض نعام قيضه يتقلع^(٣)
مدربة فيها القوانس تلمع^(٤)
إذا لمبست تهي من الماء ممترع^(٥)
من الناس والأنباء بالغيب تنفع
سوانا لقد أجلوا بليل فأقشعوا^(٦)
أعدوا لما يزرجي ابن حرب ويجمع^(٧)
فتحن له من سائر الناس أوسع
برية قد أعطوا يدا وتوزعوا^(٨)
من الناس إلا أن يهابوا ويفظعوا
علام إذا لم تمنع العرض نزرع؟^(٩)
إذا قال فينا القول لا تنظلع^(١٠)
ينزل من جو السماء ويرفع
إذا ما اشهى أنا نطيع ونسمع^(١١)
ذروا عنكم هول المنيات واطمئنا
إلى ملك يحيا لديه ويرجع
على الله إن الأمر لله أجمع

- (١) البزل : الإبل القوية . العراميس : الشديدة . ويمرع : يمحصب .
(٢) الصليب هنا : دسم الشحم واللحم . والموضع : المحلى بالنقوش .
(٣) العين : بقر الوحش . والآرام : بيض البطون سمر الظهور . وخلفة . جماعة وراه
جماعة . والقيض : قشر البيض . ويتقلع : يتشقق .
(٤) الفخمة : الكتبية الضخمة . القوانس : رهوس بيض السلاح .
(٥) الصموت : الدرع التي أحكم صنعها . والصوان : ما يصاب فيه الشيء . والنهى : الغدير .
(٦) أقشعوا : فروا .
(٧) يزرجي : يسوق .
(٨) توزعوا : تفرقوا .
(٩) ابتنوا : ضربوا أبنيتهم . والعرض : قرى المدينة .
(١٠) لا تنظلع : لا تنيل .
(١١) قصرنا : غايتنا .

فسرنا إليهم جهرة في رحالهم
بلمومة فيها الدستور والقنا
لجئنا إلى موج من البحر وسطه
ثلاثة آلاف ونحن نصية
نغارهم تهمري المنية بآتنا
تهادى قسى النبع فينا وفيهم
ومنجوفة حرمة صاعدية
تصوب بأبدان الرجال ونارة
وخيل تراها بالفضاء كأنها
فلما تلاقينا ودارت بنا الرحي
ضربناهم حتى تركنا سراتهم
لدى غدوة حتى استفتنا عشية
وراحوا سراعا موجفين كأنهم
ورحنا وأخرانا بطاء كأننا
فلننا ونال القوم منا وربما
ودارت رحانا واستدارت رحاهم
ونحن أناس لا نرى القتل سبة
جلاد على ريب الحوادث لا نرى

مضحيا علينا البيض لا تتخضع
إذا ضربوا أقدامها لا تورع^(١)
أحابيش منهم حاسر ومقنع
ثلاث مئين إن كثرنا وأربع^(٢)
نشارصهم حوض المنايا ونشرع^(٣)
وما هو إلا اليتيم المقطع^(٤)
يذر عليها السم ساعة تصنع^(٥)
تمر بأعراض البصار تقمع^(٦)
حراد صبا في قرة يتربع^(٧)
وليس لأمره الله مدفع
كأنهم بالقاع خشب مصرع
كان ذكانا حر نار تلفع^(٨)
جهام هراقت ماءه الريح مقلع^(٩)
أسود على لحم بيشة ظلع^(١٠)
فعلنا ولكن ما لدى الله أوسع
وقد جعلوا كل من الشر يشيع
على كل من يحمي الزمار ويمنع
على هالك عينا لنا الدهر تدمع

- (١) الملمومة : السكتية المجتمة ، والسثور : السلاح
(٢) النصية : خيار القوم .
(٣) نغارهم : نداولهم . نشارصهم : نشاربهم
(٤) النبع شجر تتخذ منه القسي . واليتيم : الأوتار .
(٥) المنجوفة : السهام . والحرمة : نسبة إلى الحرم . والصاعدية : منسوبة إلى صاعد . وهو
رجل مشهور بصنعها .
(٦) البصار : حجارة . تقمع : تصوت .
(٧) القرة : البرد . والتريع : الجبي والذهاب . (٨) ذكانا : التهاينا . تلفع : يصيب
حرما من قرب منها .
(٩) الجهام : سحاب رقيق ليس فيه ماء . (١٠) بيشة مكان تنسب إليه . الأسود وظلع :
أي امتلات بنا الأرض لكثرتنا .

بنو الحرب لا نعيأ بشيء نقوله
بنو الحرب إن نظفر فلسنا بفحش
وكنا شهابا يتقى الناس حشره
غفرت على ابن الزبيرى وقد سرى .
فصل عنك في عمليا معد وغيرها
ومن هو لم تترك له الحرب مفخرا
شددنا بحول الله والتصر شدة
تكر الثنا فيكم كأن فروغها
عمدنا إلى أهل اللواء ومن يطر
فخافوا وقد أعطوا يدا وتخاذلوا

قال ابن هشام : وكان كعب بن مالك قد قال :

بجالدنا عن جدمنا كل نعمة^(١)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيا صلح أن تقول : بجالدنا عن ديننا ؟ فقال كعب :
نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهو أحسن ؛ فقال كعب بجالدنا عن ديننا .

قال ابن إسحاق وقال عبد الله بن الزبيرى في يوم أحد :

يا غراب البين اسمعت فقل
إن للخير وللشر مسدى
والعطيات خساس بينهم
كل عيش ونعيم زائل
أبلغن حسان عنى آية
كم ترى بالجر من جمجمة
وسرايل حسان سريت

إنما تنطق شيئا قد فُعل
وكلا ذلك وجه وقبل^(٢)
وسواء قبر مثر ومقـل
وبنات الدهر يلعبن بكل
فقريض الشعر يشفى ذا الغل
وأكف قد أترت ورجل^(٣)
عن كفاة أهل كروا في المذتل^(٤)

(١) يسفع : يحرق . (٢) الأضرع : الدليل .

(٣) الفروغ : جمع فرغ : الطعنة الواسعة التي يسيل دما . والعزالي : جمع عزلاء وهي فـ
المزادة . ويتهرع : يسرع في سيلانه . (٤) جدمها : أصلها .

(٥) القبل : ما يستقبل الإنسان من الأيام . (٦) الجر : أصل الجبل . أترت : قطعت

(٧) السرايل : الدروع . سريت : جردت والمذتل : موضع الثزال .

ماجد الجدين تقدم بهال	كم قتلنا من كريم سيد
غير ملثا لدى وقع الأسل (١)	صادق النجدة قهرم بارع
بين أقحاف وهام كالحسجل (٢)	فسل المهراس من ساكنه ؟
جزع الخرج من وقع الأسل (٣)	ليت أشياخي يسدر شهدوا
واستحر القتل في عبد الأشل (٤)	حين جكيت بقاء بركها
رقص الحفان يعلو في الجبل (٥)	ثم يحفوا عند ذاكم رقصا
وعدننا ميل بدر فاعتدل	فقتلنا الضعف من أشرافهم
لو كررنا لفعلنا القتل	لا ألوم النفس إلا أتمنا
عللا تعلمهم بعد نهل (٦)	ببيوف الهند تعلم هامهم

فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري رضى الله عنه ، قال :

كان منا الفضل فيها لو عدل	ذهبت يابن الزبرى وقعة
وكذاك الحرب أحيانا نؤل	ولقد نلتهم وثلثا منكم
حيث نهوى عللا بعد نهل	نضع الأسياف في أكتافكم
كسلاح الثيب يأكان العسل (٧)	نخرج الأصبع من أستاذكم
هربا في الشعب أشباه الرسل (٨)	إذ تولون على أعقابكم
فأجأناكم إلى سفح الجبل (٩)	إذ شددنا شدة صادقة
من يلاقوه من الناس نهل (١٠)	بخناطيل كأمداق الملا

- (١) القرم : الفحل . اللثا : الضعيف . وقع الأثل : وقع الرماح .
(٢) الأقحاف : جمع قحف ، ما انفصل من البجمة . الهام : الرموس . الحجل : طائر أحمر
المقار والرجلين .
(٣) الأسل : الرماح .
(٤) البرك : الصدر . عبد الأشل يريد بن عبد الأشل . حذف الماء لإقامة الوزن .
(٥) الرقص : ضرب من المشى السريع . الحفان : الثمام الصغير .
(٦) العلل : الشرب الثاني والتهل الشرب الأول ، يريد معاودة الضرب .
(٧) الثيب : الثوب المسنة . والفصل : نبات تأكله الإبل فيخرج أحمر مع فضلاتها .
(٨) الرسل : الإبل المرسل .
(٩) أجأناكم : ألقأناكم .
(١٠) الخناطيل : الجماعات . والامذاق : أخلاط الناس . والملا : ما اتسع من الأرض .
ويهل : يفزع ويرتاع .

صاق عنا الشعب إذ نجزعه	وملأنا الفرط منه والرجل ^(١)
رجال لستم أمثالهم	أيدوا جبريل نصراً فنزل ^(٢)
وعلونا يوم بدر بالتق	طاعة الله وتصديق الرسل
وقتلنا كل رأس منهم	وقتلنا كل جحججاح رِفْل ^(٣)
وتركنا في قريش عورة	يوم بدر وأحاديث المثل
ورسول الله حقاً شاهد	يوم بدر والتنايل الهل ^(٤)
في قريش من جموع جمعوا	مثل ما يجمع في الحصب الحمل ^(٥)
نحن لا أمثالكم ولد استها	نحضر الناس إذا البأس نزل

قال ابن هشام : وأنشدني أبو زيد الأنصاري : « وأحاديث المثل ، والبيت الذي قبله .
وقوله : « في قريش من جموع جمعوا » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يبيكي حمزة بن عبد المطلب وقتل أحد من المسلمين :

نفجت وهل لك من منشج	وكت متى تذكر تلجج ^(٦)
تذكر - قوم أتاني لم	أحاديث في الزمن الأعوج
فقلبك من ذكرهم خافق	من الشوق والحزن المنضج
وقتلهم في جنان النعيم	كرام المداخل والخرج
بما صبروا تحت ظل اللواء	لواء الرسول بذى الأضوج ^(٧)
غداة أجابت بأسياها	جميعاً بنو الأوس والخزرج
وأشباع أحد إذ شايعوا	على الحق ذى النور والمنهج ^(٨)

(١) نجزع : نقطع عرضاً . الفرط . الأرض العالية . والرجل : ما اطمان من الأرض .

(٢) أيدوا جبريل : أى أيدوا بجبريل حذف حرف الجار وعدى الفعل .

(٣) الجحجج : السيد العظيم . والرفل : من يجر ثوبه خيلاء .

(٤) التنايل : القصار . الهل : ضخم الأجسام .

(٥) الحمل : الإبل المهلة المتروكة بلا راع .

(٦) تلجج : تهادى .

(٧) الأضوج : اسم مكان . (٨) المنهج : الواضح .

فما برحوا يضربون البكاء
كذلك حتى دعاهم عليك
فكلهم مات مكر البلاء
كحمزة لما وفى صادقاً
فلاقاه عبد بن نوفل
فأوجره حرية كالشهاب
ونعمان أوفى بميثاقه
عن الحق حتى غدت روحه
أولئك لا من ثوى منكم

ويعضون في التسطل المريج (١)
إلى جنة دوحة المولج (٢)
على ملة الله لم يخرج
بذى هبة صارم سلجج (٣)
يبربر كالجمل الأدعج (٤)
تلهب في اللهب الموهج (٥)
وحظلة الخير لم يخرج (٦)
إلى منزل فاخر الزبرج (٧)
من النار في الدرك المرتج

فأجابه ضرار بن الخطاب الفهري ، فقال :

أيجمع كعب لأشياعه
عجيج المذكي رأى لافه
فراح الروايا وغادره
فقولا لكعب يثنى البكا
لمصرع لإخوانه في مكره
فياليت عمرا وأشياعه

ويكي من الزمن الأعرج
تروح في صادر مخنج (٨)
يعجج قسرا ولم يحدج (٩)
وللى من لحه ينضج
من الخيل ذى قسطل مريج (١٠)
وعتبه في جعنا السورج (١١)

- (١) التسطل : الغبار . المريج : العالي في الجو .
(٢) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة : المولج : المدخل .
(٣) بذى هبة : أى بسيف ذى هبة . والهبة : الوقوع في العظم . سلجج : مرهف .
(٤) عبد بن نوفل . هو وحشى . يبربر : يصيح والأدعج : الأسود .
(٥) أوجره : طعنه في صدره .
(٦) لم يخرج : لم يمل عن وجهه .
(٧) الزبرج : الزينة من الوثنى أو الجوهر .
(٨) العجيج : الصياح . ويريد بالمذكي هنا : المسن من الإبل : الصادر : الراجع عن الماء :
مخنج : مصروف عن وجهه .
(٩) لم يحدج : لم يميل عليه الحدج وهو مركب النساء .
(١٠) التسطل : الغبار . المريج : المرتفع (١١) السورج : المنقذ .

فيشفوا النفوس بأوتارها بقتلى أصيبت من الخرج
وقتل من الأوس في معرك أصيبوا جميعاً بذى الأضوج
ومقتل حمزة تحت اللواء بمطرد، مارن ، غلج (١)
وحيث انتهى مصعب ثاويًا بضربة ذى هبة سلجج
بأحد وأسيافنا فيهم تلب كالب الموهج
غداة لقيناسكم في الحديد كأسد البراح فلم تمنج (٢)
بكل مجلحة كالعقاب وأجرد ذى تميمة ممرج (٣)
فدسناهم ثم حتى انتوا سوى زاهق النفس أو محرج

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر يتكرها لضراز . وقول كعب :

« ذى النور والمنهج ، عن أبي زيد الأنصاري .

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبير في يوم أحد ، يبكي القتلى :

ألا ذرفت من مقاتيك دموع وقد بان من جبل الشباب قتلوع
وشط بمن تهوى المزار وفرقت نوى الحى دار بالحبيب فجوع
وليس لما ولى على ذى حرارة وإن طال تذراف الدموع رجوع
فذر ذا ولكن هل أتى أم مالك أحاديث قوى والحديث يشيع
ومجنبتنا جرداً إلى أهل يثرب عناجيج منها مستلد ونزيع (٤)
عشية سرنا في همام يقودنا ضرور الأعادى للصدى نفوع
تشد علينا كل زغف كأنها غدير بضوج الوادين تقيع (٥)
فلما رأونا خالطتهم مهابة وعانينهم أمر هناك نظيع
وودوا لو أن الأرض ينشق ظهرها بهم وصبور القوم ثم جزوع
وقد عريت يعض كأن وميضها حريق ترقى في الآباء سريع (٦)

(١) المطرد : الذى يهتز ، والمراد به هنا البرح . المارن : اللين .

(٢) تمنج : تكف (٣) المجلحة : المتقدمة ويريد بها فرسا . والاجرذ الفرس العتيق .
والميمة : النشاط .

(٤) مجنبتنا : سوقنا للخيل . العناجيج : الحسان . المتلد : ما ولد عندك . والنزيع : الغريب

(٥) الزغف : الدروع اللينة . والضوج : جانب الوادى . والتقيع : المبلو به الماء .

(٦) الآباء : الأجمة المشتكة الأغصان .

بأيامنا نعلو بها كل هامة
فغادرن قتلى الأوس غاصبة بهم
وجمع بنو التجار في كل تلمة
ولولا علو الشعب غادرن أحداً
كما غادرت في الكر حزة ثاويًا
ونعمان قد غادرن تحت لوائه
بأحد وأرماع السكاة يُردنهم
فأجابه حسان بن ثابت ، فقال :

أشأفك من أم الوليد ربوع
عفاهن صبيُّ الرياح وواكف
فلم يبق إلا موقد النار حوله
فدع ذكر دار بددت بين أهلها
وقل إن يكن يوم بأحد يعدّه
فقد صابرت فيه بنو الأوس كلهم
وحامى بنو التجار فيه وصابروا
أمام رسول الله لا يخذلونه
وفسوا إذ كفرتم يا سخين بربكم
بأيديهم يبض إذا حشش الوغى
كما غادرت في النقع عتبة ثاويًا

بلاقع ما من أهلن جميع
من الدلو رجاف السحاب مروع^(٧)
رواكذ أمثال الحمام كنوع^(٨)
نوى لمتينات الحبال قطوع
سفيه فإن الحق سوف يشيع
وكان لهم ذكر هناك رفيع
وما كان منهم في اللقاء جزوع
لهم ناصر من ربههم وشفيع
ولا يستوى عبد وفي ومضيع^(٩)
فلا بد أن يردى لمن صريع
وسعداً صريعاً والوشيع شروع^(١٠)

- (١) ذريع : من يقتل سريعاً . (٢) نجيع : دم .
(٣) الشعب : الطريق في الجبل . السمهرى : الرماح . شروع مهيئة للطن .
(٤) الشبابة : الحد . وقيع : محدد . (٥) يجفن : يطلبن ما في جوفه .
(٦) غال : أهلك . الأشيطان : الحبال . والنزوع : جذب الدلو من البئر .
(٧) الواكف : المطر المنهر . والدلو : برج في السماء معروف . رجاف : مصوت .
وسوع : سائل . (٨) كنوع : لاصقة بالأرض .
(٩) ياسخين : أراد ياسخينة وهو لقب لقريش لاكلها إياها وهي طعام يصنع من الدقيق .
(١٠) الوشيع : الرماح .

وقد غادرت تحت العجاجة مسنداً أيأ وقد بل التميمص نجيع (١)
يكف رسول الله حيث تنصبت على القوم عما قد يثرن تقوع
أولئك قوم سادة من فروعكم وفي كل قوم سادة وفروع
بينهم رافة حتى يعزنا وإن كان أمر يأسخين نظيع
فلا تذكروا قتلى حمزة فيهم قتيل ثوى لله وهو مطيع
فإن جنان الحسد منزلة له وأمر الذي يقضى الأمور سريع
وقتلناكم في النار أفضل رزقهم حميم معا في جوفها وضريع (٢)

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان وابن الزبير ، وقوله : « ماضى
الشياة ، وطير يحفن ، عن غير ابن إسحاق .

وقال ابن إسحاق وقال عمرو بن العاصى فى يوم أحد :

خرجنا من الفيفا عليهم كأننا مع الصبح من رضى الحبيك المنطق (٣)
تمت بنو التجار جهلا لقاءنا لدى كجنب سلع والأمانى تصدق (٤)
فأراهم بالشر إلا لجاءة كراديس خيل فى الأزقة تمرق
أرادوا لكما يستيحوا قبائنا ودون التباب اليوم ضرب محرق
وكانت قبائنا أئومت قبل ماترى إذ رامها قوم أيبحوا وأحتقوا
كان رموس الخزر جبين غدوة وأيمانهم بالمشرفة برقوق (٥)

فأجابه كعب بن مالك ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

ألا أبلنا قهراً على تأى دارها وعندهم من علنا اليوم مصدق
بأننا غداة الفصح من بطن يثرب صبرنا ورايات المنية تخنق
صبرنا لهم والصبر منا بحجة إذا طارت الأبرام نسو وزرق (٦)
على عادة تلحم جريتنا بصبرنا وقدمنا لدى العايات نهجرى فنسبق
لنا حومة لا نستطاع يقودها نبى أتى بالحق عف مصدق

(١) العجاجة : الغبرة . التميمص : التميم . (٢) الضريع : ما يطرحه البحر من النبات .

(٣) رضى : اسم جبل . الحبيك : ما فيه طرايق . المنطق : الحزم .

(٤) سلع : اسم جبل خارج المدينة . (٥) بروق : نوع من النبات له رؤوس تشبه البصل .

(٦) الأبرام : القمام . فرق : نسد ونصلح .

ألا هل أتى أنباء فهر بن مالك مقطع أطراف وهام مفلق (١)
قال ابن إسحاق : وقال ضرار بن الخطاب :

إني وجدك لولا مُتَقَدِّمِي فرسى	إذا جالت الخيل بين الجزع والقاع (٢)
ما زال منكم يحجب الجزع من أحد	أصواب هام تراق أمرها شاعى (٣)
وفارس قد أصاب السيف مفرقه	أفلاق هامة كفروة الراعى
إني وجدك لا أنفك متطقا	بصارم مثل لون الملح قطاع (٤)
على رحالة ملواح مثابة	نحو الصريح إذا ما ثوب الداعى (٥)
وما انتهيت إلى خور ولا كشف	ولا لئام غداة البأس أوراغ (٦)
بل ضاربين حيك البيض إذ لحقوا	شم العرائين عند الموت لذاع (٧)
ثم بهاليل مسترخ حائلهم	يسعون للموت سعيًا غير دداع (٨)

وقال ضرار بن الخطاب أيضا :

لما أتت من بنى كعب مزية	والخزرجية فيها البيض تألق
وجردوا مشرفيات منهدة	وراية كجتاح النسر تحنق
قلقت يوم بأيام ومعركة	تنبي لما خلفها ماهرز الورق (٩)
قد معودوا كل يوم أن تكون لهم	ريح القتال وأسلاب الذين لقوا
خيرت نفسى على ما كان من وجل	منها وأيقنت أن المجد مستبق

-
- (١) الأبناء : المختلط . والهام : الرموس .
(٢) الجزع : ما انعطف من الوادى . القاع : ما انخفض من الأرض .
(٣) الهام : جمع هامة وهى ما يزعم العرب أن طائرا يخرج من رأس القنبل يصبح اسقونى اسقونى حتى يؤخذ بثأره . تراق : تصيح : شاعى : أراد شائع .
(٤) المتطق : المحترم .
(٥) الرحالة : السرج . الملواح : الفرس القوية : ثوب : كرر الدعاء .
(٦) كشف من لا أذراع لهم فى الحرب . الأوراغ : الجبناء .
(٧) الحيك : الطراق . (٨) البهاليل : السادة . الدداع : الضعيف .
(٩) هزمو : حرك .

أكرهت مهرى حتى خاض غمرتهم وبله من نجميع عانك طلق^(١)
 فظل مهرى وسر بالى جسدهما نفخ العروق رشاش الطعن والورق^(٢)
 أيقنت أنى مقيم فى ديارهم حتى يفارق ما فى جوفه الحندق
 لا تجزعوا يا بنى مخزوم إن لكم مثل المغيرة فيكم ما به زهق^(٣)
 صبراً فدى لكم أمى وما ولدت تعاوروا الضرب حتى يدبر الشفق

وقال عمرو بن العاصى :

لما رأيت الحرب يذ زو سرها بالرضف نزوا^(٤)
 وتناولت شهباء تلد حو الناس بالضراء لحوا^(٥)
 أيقنت أن الموت حق والحياة تكون لقوا
 حملت أثوابى على عتد يند الخيل رهوا^(٦)
 سلس إذا تكبن فى اليب داء يملو الطرف علوا
 وإذا تنزل ماؤه من عطفه يزداد زهوا^(٧)
 ربت كيعفور الصرب مة راعه الرامون دحوا^(٨)
 شنج نساء ضابط للخيل إرخاء وعدوا^(٩)
 ففدى لهم أمى غداً الروع إذ يمشون قطوا^(١٠)
 سيراً إلى كبش الكتي به إذ جلته الشمس جلوا

-
- (١) غمرتهم : جماعتهم . النجميع : الدم . عانك : أحر . طلق : اسم من أسماء الدم .
 (٢) جسدهما : صبيغما : نفخ العروق . ما ترى به من الدم . الورق : ما انقطع من الدم
 (٣) الزهق : العيب .
 (٤) الرضف : الحجارة المحماة .
 (٥) شهباء : يقصد الكتيبة الكثيرة للسلاح . تلحو : تضعف .
 (٦) العتد : الفرس الشديد . والرهو : الساكن .
 (٧) ماؤه : عرقه .
 (٨) الربذ : السريح . اليعفور : ولد الظبية : والصبرية الرمال المنقطعة . الدحو : الانبساط
 (٩) شنج : منقبض . والنساء : عرق يمتد من الورك إلى الكعب ولا يقال عرق النساء لأن
 الشيء لا يضاف إلى نفسه . ضابط بمسك (١٠) القطو : ضرب من المشي فيه خلاء

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعمره :

قال ابن إسحاق : فأجابهما كعب بن مالك ، فقال :

أبلغ قریشا وخیر القول أصدقہ والصديق عند ذوی الالباب مقبول
أن قد قتلنا بقتلنا سراتکم أهل اللواء ففیما یکثر الفیل
ویوم بدر لقیناکم لنا مدد فيه مع النصر میكال وجبریل
إن تقتلونا فمدین الحق فطرتا والقتل فی الحق عند الله تفضیل
وإن تروا أمرنا فی رأیکم سفها فرأى من خالف الإسلام تضلیل
فلا تمنوا لقاح الحرب واقتعدوا إن أخوا الحرب أصدی اللون مشغول
إن لکم ضعدنا ضربا ترأح له عُرِج الضباع له خندم رعایل (١)
إننا بنو الحرب نمریها وننتجها وضعدنا لذوی الاضغان تنکیل (٢)
إن ینج منها ابن حرب بعدما بلغت منه التراقی وأمر الله مفعول (٣)
فقد أفادت له حلما وموعظة لمن یکون له لب ومعقول
ولو هبطتم بیطن السیل کالحکم ضرب بشاکلة البطحاء ترعیل (٤)
تلقاکم عُصب حول النبی لهم مما یعدون للیجا سرایل
من جندم غسان مسترخ حائلهم لاجبناء ولا میل معازیل (٥)
یمشون تحت عمايات القتال کما تمشی المصاعبة الأدم المراسیل (٦)
أو مثل مشی أسود الظل ألثقا یوم رذاذ من الجوزاء مشمول
فی کل سابعة کالنهی محکمة قیاما فلیج کالسيف بهلول (٧)
ترد حد قرام التبل عامشة ويرجع السیف عنها وهو مفلول
ولو قدنتم بسلع عن ظهورکم وللحیة ودفع الموت تأجیل (٨)

(١) ترأح : تتهز . خزم : قطع اللحم . الرعایل : المنقطعة .

(٢) نمریها : نستدرها (٣) التراقی : عظام الصدر .

(٤) شاکلة : طرف . الترعیل : الضرب السريع .

(٥) الجندم : الأصل . الميل : الذین لاتفوس لهم . والمعازیل . الذین لارماح لهم

(٦) العمايات : الظلمات . المصاعبة : لحول الإبل .

(٧) سابعة : درع كاملة : النبی : غدیر الماء . البهلول : الأبيض .

(٨) سلع : اسم جبل .

ما زال في القوم وتر منكم أبدأ تغفو السلام عليه وهو مطلول (١)
عبد وحر كريم موثق قنصاً شطر المدينة مأسور ومفتول (٢)
كنا نؤمل أخراكم فأعجلكم منا فوارس لا عزل ولا ميل
إذا جنى فيهم الجاني فقد علوا حقاً بأن الذي قد جر محمول
ما نحن لآنحن من لائم مجاهرة ولا ملوم ولا في الغرم مخدول

وقال حسان بن ثابت ، يذكر عدة أصحاب اللواء يوم أحد :

— قال ابن هشام : هذه أحسن ما قيل —

منع النوم بالعشاء الهوم وخيال إذا تغور التجوم
من حبيب أضاف قلبك منه سقم فهو داخل مكتوم (٣)
يا لقوى هل يقتل المرء مثلي واهن البطش والعظام سؤوم
لو يدب الحولي من ولد النذر عليها لاندبها الكلوم (٤)
شأنها العطر والفراش ويعلو ها تلحين ولؤلؤ منظوم
لم تفتها شمس النهار بشيء غير أن الشباب ليس يدوم
إن خالى خطيب جاية الجو لان عند النعمان حين يقوم (٥)
وأنا الصقر عند باب ابن سلمى يوم نعمان في الكبول سقيم
وأبي وواقد أطلقا لي يوم راحا وكبلهم غظوم (٦)
ورعت اليدى عنهم جميعا كل كف جزء لها مقسوم
وسطت نسبتي الذوائب منهم كل دار فيها أب لي عظيم (٧)
وأبي في سميحة القائل الفا صل يوم التقت عليه الخصوم (٨)
تلك أفعالنا وفعل الزبهرى خامل في صديقه مدموم

(١) السلام : الحجارة . مطلول : غير مأخوذ بثأره .

(٢) القنص : الصيد (٣) أضاف : زار .

(٤) الحول : الصغير . أندبها : أثرت فيها . الكلوم : الجروح .

(٥) الجاية : الحوض . والجلولان : موضع بسوريا

(٦) غظوم : مكسور .

(٧) السطة : الوسط ويكون الوسط غاية المدح إذا ذكر في الانساب . الذوائب : الأعالى .

(٨) أبي : ثابت بن المنذر وسميحة بئر في المدينة احتكم إليه فيها الأوس والخزرج .

رب . حلم أضاعه عدم المسا
لافتة في فلست بسبي
ما أبالي أنب بالحزن تيس
ولى البأس منكم إذ رحلتكم
تسعة تحمل اللواء وطارت
وأقاموا حتى أبيضوا جميعا
بدم عانك وكان حفاظا
وأقاموا حتى أزيروا شعوبا
وقريش تفر منا لوأذا
لم تطلق حمله العواتق منهم

ل وجهل غطى عليه التعميم
إن سبي من الرجال الكريم
أم لحاني بظهر غيب لئيم
أسرة من بنى قصى صميم
في رعا ع من القنا مغزوم
في مقام وكلهم مذموم
أن يقيموا إن الكريم كريم^(١)
والقنا في نحورهم محطوم^(٢)
أن يقيموا وخف منها الحلوم^(٣)
لنما يحمل اللواء النجوم^(٤)

قال ابن هشام : قال حسان هذه القصيدة :

منع النوم بالشاء المغموم

ليلا ، فدعا قومه ، فقال لهم : خشيت أن يدركني أجلى قبل أن أصبح ، فلا ترووها عني .
قال ابن هشام : أنشدني أبو عبيدة للحجاج بن علاط السلمي يمدح أبا الحسن أمير المؤمنين
على بن أبي طالب ، ويذكر قتله طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، صاحب
لواء المشركين يوم أحد :

لله أى مذنب عن حرمة
سبقت يدك له بعاجل طعنة
وشددت شدة باسل فكشفهم

أعنى ابن فاطمة المغم المخولا^(٥)
تركت طليحة للجبين مجذلا
بالجر إذ يهون أخول أخولا^(٦)

(١) عانك : أحمر . (٢) الشعوب : اسم من أسماء الموت .

(٣) لوأذا : مستترين .

(٤) العواتق : جمع عاتق ، ما بين المنكب والعنق ، والنجوم : مشاهير الناس .

(٥) المذنب : الحامى . الحرمة : ما يجب على الإنسان أن يدافع عنه . ابن فاطمة : هو

الإمام على كرم الله وجهه وفاطمة بنت أسد بن هاشم وهى أمه رضى الله عنه . والمغم المخول :
كريم الأعمام والأخوال .

(٦) الجر : أصل الجبل . أخول أخولا : واحدا بعد واحد .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يبيح حمزة بن عبد المطلب ومن أصيب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد :

يا مـي* قومي فاندبن	بسـحيرة شجو النوائح
كالhamلات الرقر بال	ثقل الملحات الدوالح ^(١)
للعولات للخامشا	ت وجوه حرات صحائح ^(٢)
وكان سيل دموعها الـ	أنصاب تخشب بالذبايح
ينقضن أشعاراً لمن	هناك بادية المسائح ^(٣)
وكانها أذئاب خـ	ل بالضحن شمس روامح ^(٤)
من بين مشزور وبـ	زور يذعنع بالبوارح ^(٥)
يكنين شجوا مسلـ	ت كدحتهن الكوادح
ولقد أصاب قلوبها	بجل له جلب قوارح ^(٦)
إذ أقصد الحدثان من	كنا نرجى إذ نشائح ^(٧)
أصحاب أحد غالمـ	دهر ألم له جوارح
من كان فارمنا وعـ	ميننا إذا بعث المسالح ^(٨)
ياحمر ، لا والله لا	أنساك ماصر اللقائح ^(٩)
لنناخ أيتام وأضيا	ف وأرملة تلامح (١٠)

(١) الملحات : الثابتات . الدوالح : التي تحمل ثقلاً .

(٢) الخامشات : الخادشات .

(٣) المسائح : ذوائب الشعر .

(٤) الشمس : النافرة (٥) يذعنع : يفرق . البوارح : الرياح الشديدة .

(٦) البجل : الجرح . جلب : قشور الجروح . القوارح : المؤلة .

(٧) أقصد : أصاب . نشائح : نحذر .

(٨) المسالح : من يحملون السلاح .

(٩) صر : ربط . اللقائح : النوق التي لها لبن .

(١٠) المناخ : مكان النزول . تلامح : تنظر مرمعاً .

ولما ينوب الدهر في	حرب للحرب وهي لاقح ^(١)
يا فارسا يا مدرها	يا حمز قد كت المصامح ^(٢)
عنا شديداً الخطو	ب إذا ينوب لمن قاذح
ذكرتني أسد الرسو	ل ، وذاك مدرها المنافع
عنا وكان يُعد إذ	عد الشريفون الجحاجح ^(٣)
يملو القاقم جهرة	سبط اليمين أغر واضح ^(٤)
لاطائش رخش ولا	ذو علة بالمل آنج ^(٥)
بحر فليس يغب جا	رأ منه سيب أو منادح ^(٦)
أودى شباب أولى الحف	انظر الثقلون المراجع ^(٧)
المطعمون إذا المشا	تي ما يصفقن ناضح ^(٨)
لحم الجلاذ وفوقه	من شحمه مشطب شرائح ^(٩)
ليدافموا عن جارم	مارام ذو الضغن المكاشح
لحن لشبان رزنام	كأنهم المصايح
شم ، بطارقة ، غطا	رقة ، خضارمة ، مسامح ^(١٠)
المشترون الحمد بال	أموال إن الحمد رابع

(١) لاقح : زائد شرها .

(٢) المدرة : المدافع . المصامح : شديد الدفع .

(٣) الجحاجح : السادة . (٤) القاقم : السادة .

(٥) آنج : ثقل في مشيه .

(٦) السيب : العطاء . المنادح : جمع مندحة ، وهي السعة .

(٧) المراجع : ذوو الحلم .

(٨) يصفقن : يحلبن . الناضح : من شرب دون أن يرتوى .

(٩) الشطب : طرائق السيف .

(١٠) الشم : الأعراء والبطارقة في الأصل الرؤساء الدينون عند المسيحيين ، ويقصد بها

هنا الرؤساء مطلقاً . والبطارقة : السادة . والخضارمة : من يكترون العطاء .

والجامزون بلجمهم يوما إذا ما صاح صائح^(١)
 من كان يرى بالتوا قر من زمان غير صالح
 ما إن تزال ركابه يرسم في غير صحاصح^(٢)
 راحت تبارى وهو في ركب صدورهم رواشح^(٣)
 حتى تثوب له المعال لى ليس من فوز السفايح^(٤)
 يا حمز قد أوحدتى كالعود شذبه الكوافح^(٥)
 أشكو إليك وفوقك التراب المكور والصفائح
 من جندل نلقيه فو قك إذ أجاد الضرح ضارح^(٦)
 فى واسع يحشونه بالتراب سواه الماسح
 فعزلونا أنا تقو ل وقولنا برح بوارح^(٧)
 من كان أمسى وهو غما أوقع الخلدان جانح
 فليأتنا فلتبك عيب سناه لهلكانا التوافح^(٨)
 القائلين الفاعلين ذوى الساحة والملاح
 من لا يزال تدى يديده له طوال الدهر مائح^(٩)

قال ابن هشام : وأكثر أدل العلم بالشعر ينكرها لحسان ، وبيته : « المطعمون إذا المشاق ،
 وبيته : « الجامزون بلجمهم » ، وبيته : « من كان يرى بالنواقر » ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يبكى حمزة بن عبد المطلب :

(١) الجامزون : الواثيون .

(٢) يرسم : من الرسم ، وهو نوع من السير . الصحاصح : الأرض المستوية .

(٣) رواشح : ترشح العرق . (٤) السفايح : الجوالق .

(٥) الكوافح : القاطعون للعود .

(٦) الضرح : القبر . (٧) البرح : الشاق .

(٨) التوافح : من يعطون المعروف .

(٩) المائح : من ينزل إلى البر ليسقى بالذلو .

أتعرف الدار عفا رسمها بمدك صوب المسبل الماطل^(١)
 بين السرايخ فأدمانة فدفع الروحاء في حائل^(٢)
 ساءلتها عن ذاك فاستجعت لم تدر ما مرجوعة السائل^(٣)
 دع عنك داراً قد عفا رسمها وابلك على حمزة ذى النائل
 المالى الشيزى إذا أخصفت غبراء في ذى الشيم الماحل^(٤)
 والتارك القرن لدى لبدة يعثر في ذى الخرص الذابل^(٥)
 واللابس الخيل إذ أجحمت كالليث في غايته الباسل^(٦)
 أبيض في الذروة من هاشم لم يمر دون الحق بالباطل^(٧)
 مال شهيداً بين أسيافكم شلت يداً وحشى من قاتل
 أى امرئ غادر في ألة مطرورة مارة العامل^(٨)
 أظلمت الأرض لفقدانه واسود نور القمر الناصل^(٩)
 صلى عليه الله في جنة عالية 'مكرمة' الداخِل
 كنا نرى حمزة حرزاً لنا في كل أمر نابنا نازل
 وكان في الإسلام ذا 'تدراً' يكفيك فقد القاعد الخاذل^(١٠)

(١) الصوب : المطر . والمسبل : السائل

(٢) السرايخ : الوديان . وأدمانة : مكان . والمدفع : حيث اندفاع الماء . والروحاء بلد .
 وحائل : وادى

(٣) المرجوعة : الرد .

(٤) الشيزى : جفان من خشب الأبنوس . الغبراء : الريح . والشيم في الأصل الماء البارد
 ويقصد بها هنا أيام الزمهرير (٥) ذو الخرص : ذو السنان وهو الريح : الذابل : الرقيق

(٦) أجحمت : أحجمت . (٧) لم يمر : لم يجادل .

(٨) الإلة : الحربة . مطرورة : محدة . مارة : لينة . العامل : أعلى الريح .

(٩) الناصل : الخارج من بين السحاب .

(١٠) ذا تدراً : أى صاحب مدافعة ومناخة .

لا تفرحى يا هند واستطلي دما وأذرى عبدة الثاقل
وابكى على عتبة إذ قطع بالسيف تحت الرهج الجائل^(١)
إذا خرفى مشيخة منكم من كل عات قلته جاهل
أردام حمزة فى أسرة يمشون تحت الحلق الفاضل
غداة جبريل وزير له نعم وزير الفارس الخامل

وقال كعب بن مالك يبكى حمزة بن عبد المطلب :

طرقت مومك فالرقاد مسهد وجزعت أن سلخ الشباب الأغيد
ودعت فؤادك للهوى ضميرية فهوأك غورى وصحوك متجد^(٢)
فدبح التماذى فى والغواية سادراً قد كنت فى طلب الغواية مُتفند
ولقد أنى لك أن تنامى طائما أو تستفيق إذا نهاك المرشد
ولقد مُددت لفقد حمزة هدة ظلت بنات الجوف منها ترعد^(٣)
ولو انه لجعت حراء يمثله لرأيت راسى صخرها يتبدد
قمر تمكن فى ذوابة هاشم حيث النبوة والندى والسود
والعافر الكوم الجلاد إذا غدت ريح يكاد الماء منها يجمد^(٤)
والتارك القرن الكمى مجدلا يوم الكرية والقنا يتقصد
وتراه يرفل فى الحديد كأنه ذو لبدة شثن البرائن أربد^(٥)
عم النبي محمد وصفيته ورد الحمام فطاب ذاك المورد
وأتى الثنية معلما فى أسرة نصرُوا النبي ومنهم المستشهد

(١) قط : قطع . الرهج : الغبار . الجائل : المتحرك .

(٢) ضميرية : منسوبة إلى قبيلة ضمرة . (٣) بنات الجوف : القلب وما اتصل به من الأحشاء .

(٤) الكوم : عظيمة السنام من الإبل .

(٥) ذو لبدة : الأسد . والشثن : الغليظ : البرائن : مخالب الأسد . الأربد : الأغبر .

ولقد إخال بذاك هنداً مبشرت لتعيت داخل غصبة لا تبرد
 بما صبحنا بالعنقل قومها يوما تغيب فيه عنها الأسعد^(١)
 ويستر بدر إذ يرد وجوههم جبريل تحت لوائنا ومحمد
 حتى رأيت لدى النبي سراهم قسمين : يقتل من نشاء ويطرد
 فأقام بالعطن المعطن منهم سبعون : عتبه منهم والأسود^(٢)
 وابن المغيرة قد ضربنا ضربة فوق الوريد لها رشاش مزبد
 وأمية الجمحي قـوم ميله غضب بأيدى المؤمنين مهند
 فأناك قتل المشركين كأنهم والخيـل تشفهم نعام مُسرَد^(٣)
 شتان من هو في جهنم ثاويـا أبداً ومن هو في الجنان مخلد

وقال كعب أيضاً يبكي حمزة :

صفية قومي ولا تعجزى وبكى النساء على حمزة
 ولا تسأى أن تطلى البكا على أسد الله في الحزة
 فقد كان عزاً لأيتامنا وليك الملاحم في البرة^(٤)
 يريد بذاك رضا أحمد ورضوان ذي العرش والعزة

وقال كعب أيضاً في أحد :

إنك عمر أهلك الكرى م أن تسأل عنك من يجتدينا^(٥)
 فإن تسأل ثم لا تكذبني يخبرك من قد سألت اليقينا

(١) العنقل : كتيب الرمل . (٢) المعطن : مبرك الإبل .

(٣) تشفهم : تطردهم . (٤) البرة : السلاح .

(٥) يجتدينا : يطلب معروفنا .

بأنا لبال ذات العظا م كنا ثمالا لمن يعترينا^(١)
 تلوذ البجود بأذرائنا من الضر في أزمت السينا^(٢)
 يمدوى نضول أوى ووجدنا وبالصبر والبذل في المعدمينا
 وأبقت لنا جلبات الحرو ب من نوازي لدن أن بُرنا^(٣)
 معاطن تهوى إليها الحقو ق يحسبها من رآها الفتينا^(٤)
 تخييس فيها عتاق الجا ل صحما دواجن حمرأ وجونا^(٥)
 ودفاع رَجَل كوج الفرا ت يقدم جأواء جولا طحونا^(٦)
 ترى لونها مثل لون التجو م رجراجة تبرق الناظرينا
 فإن كنت عن شأتنا جاهلا فسل عنه ذا العلم من يلينا
 بنا كيف نفعل إن قلصت عوانا ضر وساعضوا حجونا^(٧)
 ألسنا نشد عليها العصا ب حق تدر وحق تالينا
 ويوم له وهج دائم شديد التهاول حامى الأرينا^(٨)

(١) ذات العظام : يقصد هنا ذات الجوع الشديد حتى إن العظام ليعاد طبخها .
 والثمال : الغياث . (٢) البجود : جماعات الناس . الأذراء : الأكناف .

(٣) جلبات : جمع جلبة وهو القطع . برنا : خلقنا .

(٤) المعاطن في الأصل : أما كن برك الإبل ، ويريد بها هنا الإبل بعينها . والفتين الأرض
 بها الحجارة السوداء .

(٥) تخييس : تذلل . الصحم : السود . دواجن : مقيمة . الجون : يريد بها هنا البيض .

(٦) الدفاع : ما يندفع من السيل . رجل : رجال . الجأواء كناية سوداء لكثرة ما عليها
 من السلاح . الجول : الكنية العظيمة . والطحون : التي تطحن ما تمر به أى تهلكه لقوتها .

(٧) قلصت : ارتفعت . أى ارتفعت نيران الحرب . العوان : الحرب المستمرة . والضروس :

القوية . العضوض : كثيرة العض . الحجون : التي لا يعرف لها نهاية

(٨) الأرين : جمع إرة : وهى مستوقد النار .

طويل شديد أوار القتا ل تنقى قواجره المقرفينا^(١)
 تمخال الككة بأعراضه ثمالا على لذة منزفينا^(٢)
 تعاور أيمانهم بينهم كئوس المنايا بحمد الظينا
 شهدنا ككنا أولى بأسه وتحت العماية والمعلينا
 بخرس الحسيس حسان رواء وبصرية قد أجن الجفونا^(٣)
 فما ينفالن وما ينحنين وما يتمين إذا ما نهينا
 كبرق الخريف بأيدى الككة يفجعن بالظل هاما سكونا^(٤)
 وعلنا الضرب آباؤنا وسوف نعلم أيضا بنينا
 جلاد الككة، وبذل التلا د، عن جل أحسابنا مابقينا
 إذا مر قرن كفى نسله وأورثه بعده آخرينا
 تشب وتملك آباؤنا وبيننا نرى بنينا فنينا
 سألت بك ابن الزبعرى فلم أنباك فى القوم إلا هجينا
 خيثا تطيف بك المنديات مقيا على اللؤم حيننا فحيننا
 تبجست تهجو رسول اللئ لك قاتلك الله جلغلا لعينا
 تقول الخنا ثم ترمى به تقى الثياب تقيا أمينا

قال ابن هشام : أنشدنى بيته : « بنا كيف نفعل » ، والبيت الذى يليه ، والبيت الثالث منه ،
 وصدر الرابع منه ، وقوله « تشب وتملك آباؤنا » ، والبيت الذى يليه ، والبيت الثالث منه ،
 أبو زيد الأنصارى .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك أيضا ، فى يوم أحد :
 سائل قريشا غداة السفح من أحد ماذا لقينا وما لاقوا من الحرب
 كنا الأسود وكانوا النمر إذ زحفوا ما إن نراقب من آل ولا نسب

(١) القواجر : القلق . المقرفون . جمع مقرف . النذل الدنيء .

(٢) أعراضه : جوانبه . المتزف : من ذهبت الخربله .

(٣) خرس الحسيس : السيوف الصامته . أجن : ملن . الجفون : أعناد السيوف .

(٤) الظل : خلال السيوف . الملام : الرموس . السكون : الساكن .

فكم تركنا بها من سيد بطل
 فينا الرسول شهاب ثم يتبعه
 الحق منطلقه والعدل سيرته
 نحمد الملقم ، ماضى الهم ، معتم
 يمضى ويذمرنا عن غير معصية
 بدا لنا فاتبعناه نصدقه
 جالوا وجلنا لما قاموا وما رجعوا
 ليسا سواء وشق بين أمرهما
 حامى النمار كريم الجد والحسب
 نور مضى له فضل على الشهب
 فمن يحبه إليه ينح من تب
 حين القلوب على رجف من الرعب
 كأنه البدر لم يطبع على الكذب
 وكذبوه فكنا أسعد العرب
 ونحن تثقنهم لم نأل في الطلب
 حزب الإله وأهل الشرك والذنب

قال ابن هشام : أنشدني من قوله : ويمضى ويذمرنا ، إلى آخرها ، أبو زيد الأنصاري .
 قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن رواحة يريكي حمزة بن عبد المطلب : قال ابن هشام
 أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك :

بكت عني وحق لها بكاءها
 على أسد الإله غداة قالوا
 أصيب المسلمون به جميعا
 أبا يعلى لك الأركان هُدت
 عليك سلام ربك في جنان
 ألا يا هاشم الأخيار صبرا
 رسول الله مصطبر كريم
 ألا من مبلغ عني لؤيا
 وقبل اليوم ما عرفوا وذاقوا
 نسيتم ضربنا بقلب بدر
 غداة ثوى أبو جهل صريما
 وعتبة وابنه خرا جيما
 ومتركنا أمية مجلبغا
 وما يُغنى البكاء ولا العويل
 أحزة ذا كم الرجل القتل
 هناك وقد أصيب به الرسول
 وأنت المساجد البر الوصول
 مخالطها نعيم لا يزول
 فكل فعالكم حسن جميل
 بأمر الله ينطق إذ يقول
 فبعد اليوم دائلة تدول^(١)
 وقائنا بها يُشفى الغليل
 غداة أتاكم الموت العجيل
 عليه الطير حائمة تجمول
 وشية عضه السيف الصقيل
 وفي حيزومه لدن نيل^(٢)

(١) الدائلة : يقصد بها الحرب .

(٢) مجلبغا : ممتدا على الأرض . الحيزوم : أسفل الصدر . اللدن النيل : الرمح العظيم .

وهام بن ربيعة سألوهما ففى أسياتنا منها فلول
ألا يا هند فابكى لا تملى فأنت الواله العبرى الهبول^(١)
ألا يا هند لا تهدي شياتنا بحمزة إن عزكم ذليل
قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك :

أبلغ قريشا على نأيا أنفخر منا بما لم يتلى
نحترم بقتلى أصابتهم فواضل من نعم المفضل
خلوا جنانا وأبقوا لكم أسوداً تحامى عن الأشبل
تقاتل عن دينها ، وسطها نبى عن الحق لم ينكل
رمته معد بمرور الكلام ونبل العداوة لا تأتلى^(٢)

قال ابن هشام : أنشدنى قوله : « لم تلى » ، وقوله : « من نعم المفضل » أبو زيد الأنصارى
قال ابن إسحاق : وقال ضرار بن الخطاب فى يوم أحد :

ما بال عينك قد أزرى بها الشهد كأنما جال فى أجفانها الرمد
أمن فراق حبيب كنت تألفه قد حال من دونه الأعداء والبعد
أم ذاك من شغب قوم لاجدء بهم إذ الحروب تظلت نارها تقد
ما يتهون عن الفى الذى ركبوا وما لهم من لؤى ويهمهم عضد
وقد نشدناهم بالله قاطبة فما تردهم الأرحام والأشد^(٣)
حتى إذا ما أبوا إلا محاربة واستحصدت بيننا الأضغان والحقد
سرنا إليهم بجيش فى جوانبه قوانس البيض والمحبوكه السرد^(٤)
والجرد ترفل بالأبطال شازبة كأنها حدأ فى سيرها تؤد^(٥)
جيش يقودهم صخر ويرأسهم كأنه ليك غاب ماصر سحر^(٦)

(١) الهبول : الفاقدة .

(٢) لا تأتلى : لا تقصر .

(٣) النشد : الإيمان .

(٤) القوانس ماعلابيض السلاح . المحبوكه : جيدة الصنع .

والسرد . النسج ، ويريد بها هنا الدروع .

(٥) الجرد : عناق الخيل . شازبة : ضامرة . (٦) ماصر : كاسر . حرد : غاضب .

فأبرز الحيين قوما من مناوئهم فكان منا ومنهم ملتقى أجد
فغودرت منهم قتلى مجدلة كالمز أصرده بالصرح البرد (١)
قتلى كرام بنو التجار وسطهم ومصعب من قنانا حوله قصد (٢)
وجزة القرم مصروع تطيف به ثكلى وقد حزمته الاتف والكبد (٣)
كانه حين يكبر في جديته تحت العجاج وفيه ثعلب جسد (٤)
محوار ناب وقد ولي صحابته كما تولى النعام الهارب الشرد (٥)
مجاهدين ولا يلوون قد ملئوا رعبا ، فنتجهم العوصاء والكؤود (٦)
تبكى عليهم نساء لا يعول لها من كل سائلة أثوابها قدد (٧)
وقد تركناهم للطير ملحمة وللضباع إلى أجسادهم تفد

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار :

قال ابن إسحاق : وقال أبو زعنة بن عبد الله بن عمرو بن عتبة ، أخو بني جشم بن الخزرج
يوم أحد :

أنا أبو زعنة يعذر بي المهزم لم تمنع الخزاة إلا بالالم (٨)

يحصى الذمار خزرجي من جشم -

وقال ابن إسحاق : وقال علي بن أبي طالب — قال ابن هشام : قال رجل من المسلمين يوم
أحد غير علي ، فيما ذكر لي بعض أهل العلم بالشعر ، ولم أر أحدا منهم يعرفها علي :

(١) أصرده برده . الصردح : المكان الصاب . (٢) قصد : قطع .

(٣) القرم : السيد

(٤) الجدية : الدم السائل . الثعلب : الجزء الداخل من الرمح في السنان . جسد : الدم الجامد .

(٥) الحوار : ولد الناقة . الناب : المسنة من الإبل .

(٦) مجاهدين : مصممين . العوصاء : العقبة الشديدة الصعبة . الكؤود جمع كؤود : عقبة صعبة المرتقى

أو صعبة المصعد .

(٧) السالبة : اللابسة للسلاب وهو لباس الحزن . قدد : قطع .

(٨) المهزم : اسم فرس .

لأهم إن الحارث بن الصمة كان وقيا وبنا ذا ذمه
أقبل في مهامه مهمة كليلة ظلماء مدلمه^(١)
بين سيوف ورماح جمه يبغى رسول الله فيما ثمه

قال ابن هشام : قوله : « كليلة » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال عكرمة بن أبي جهل في يوم أحد :

كلهم يزجره أرحب هلا ولن يروه اليوم إلا مقبلا^(٢)
يحمل رمحا ورئيسا جفلا

وقال الأعشى بن زرارة بن التباش التيمي - قال ابن هشام : ثم أحد بن أسد بن عمرو بن
تميم - يبكي قتلى بني عبد الدار يوم أحد :

محيي من حى على نأيمهم بنو أبي طلحة لا تصرف^(٣)
يمر ساقيم عليهم بها وكل ساق لهم يعرف
لا جارهم يشكو ولا ضيفهم من دونه باب لهم يصرف
وقال عبد الله بن الزبيري يوم أحد :

قتلنا ابن جحش فاعتبطنا بقتله وحزة في فرسانه وابن قوقل
وأفلتنا منهم رجال فأسرعوا فليتهم عاجسوا ولم تعجل
أقاموا لنا حتى تمض سيوفنا سراتهم وكلنا غير عزل
وحق يكون القتل فينا وفيهم ويلقوا صبحا شره غير منجلي

قال ابن هشام : وقوله : « وكلنا » وقوله : « ويلقوا صبحا » : عن غير ابن إسحاق .
قال ابن إسحاق : وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة بن عبد المطلب :

أسائلة أصحاب أحمد مخافة بنات أبي من أعجم وخير
فقال الخبير إن حمزة قد ثوى وزير رسول الله خير وزير
دعاه إله الحق ذو العرش دعوة إلى جنة يحيا بها وسرور
فذلك ما كنا نرجى وترجى لحزة يوم الحشر خير مصير

(١) الملامة : القفار . (٢) أرحب هلا : كلمة تزجر بها الخيل .

(٣) لا تصرف : لا ترد

فوالله لا أنساك ما هبت الصبا
على أسد الله الذي كان مدرها
فيا ليت شلوى عند ذاك وأعظمي
أقول وقد أعلى التسمي عشيرتي
بكاه وحرنا محضرى ومسيرى
يذود عن الإسلام كل كفوز^(١)
لدى أضيع تعادنى ونسور^(٢)
جزى الله خيراً من أخ ونصير

قال ابن إسحاق : وقالت نعم ، امرأة شماس بن عثمان ، تبكى شماسا ، وقد أصيب يوم أحد :

يا عين جودي بفيض غير إباس
صعب البديهة ميمون تقيته
أقول لما أتى الناعى له جزعا
وقلت لما خلت منه مجالسه
على كريم من الفتيان إباس^(٣)
حمال ألوية ركاب أفراس
أودى الجواد وأودى المطم الكاسى
لا يبعد الله عنا قرب شماس

فأجابها أخوها ، وهو أبو الحكم بن سعيد بن يربوع ، يعزيها ، فقال :
لما قى حياءك فى ستر وفى كرم
لا تقتلى النفس إذ حانت منيته
قد كان حمزة ليث الله فاصطبرى
فإنما كان شماس من الناس
فى طاعة الله يوم الروع والباس
فذاق يومئذ من كأس شماس

وقالت هند بنت عتبة ، حين انصرف المشركون عن أحد :

رجعت وفى نفسى بلابل جمة
من اصحاب بدر من قریش وغيرهم
ولكننى قد نلت شيئا ولم يكن
وقد فاتنى بعض الذى كان مطلبى^(٤)
بنى هاشم منهم ومن أهل يثرب
كما كنت أرجو فى مسيرى ومركبى

قال ابن هشام : وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قولها :

وقد فاتنى بعض الذى كان مطلبى

وبعضهم يتكرها لهند ، والله أعلم .

- (١) المدرة : من يدافع عن القوم .
(٢) الشلو : بقية الفريسة .
(٣) الإباس فى الأصل : مسح دروع الناقة والقول لما بس بس ليدر ، فالإباس فيه تكلف .
وغير الإباس : أى بغير تكلف . والإباس : الشديد .
(٤) البلابل : الأحزان

ذكر يوم الرجيع

في سنة ثلاث

مقتل خبيب وأصحابه : قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المظلي ، قال : حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عضل والقارة .

قال ابن هشام : عضل والقارة ، من الهسؤن بن خزيمه بن مدركة .

قال ابن هشام : ويقال : الهسؤن ، بضم الهاء .

قال ابن إسحاق : فقالوا : يا رسول الله ، إن فينا إسلاما ، فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهونا في الدين ، ويقرئونا القرآن ، ويعلمونا شرائع الإسلام . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرا ستة ^(١) من أصحابه ، وهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، حليف حمزة بن عبد المطلب وخالد بن البكير اللثي ، حليف بني عدى بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، أخو بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس : وخبيب بن عدى ، أخو بني جحجحي بن كلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدثنة بن معاوية أخو بني بياضة بن عمرو بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج ؛ وعبد الله بن طارق حليف بني ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم مرثد بن أبي مرثد الغنوي فخرج مع القوم . حتى إذا كانوا على الرجيع ، ماء لهذيل بناحية الحجاز ، على صدور الهداة ^(٢) غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هذила ، فلم يرع القوم ، وهم في رحالهم ، إلا الرجال بأيديهم السيوف ، قد غشوم ؛ فأخذوا أسياهم ليقاتلوه فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم ، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم .

فأما مرثد بن أبي مرثد . وخالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت فقالوا : والله لا تقبل من مشرك عهدا ولا عقدا أبدا ؛ فقال عاصم بن ثابت :

(١) ذكر البخاري أنهم كانوا عشرة . . . ستة من المهاجرين وأربعة من الأنصار .

(٢) الهداة : موضع بين عسفان ومكة ، كما ذكر البخاري في صحيحه .

ما على وأنا جلد نابل والقوس فيها وتر عنابل^(١)
تزل عن صفحتها المعابل الموت حق والحياة باطل^(٢)
وكل ما حم الإله نازل بالمرء والمرء إليه آئل^(٣)
إن لم أقاتلكم فأى هابل

قال ابن هشام : هابل : ناكل .

وقال عاصم بن ثابت أيضا :

أبو سليمان وريش المقعد وضالة مثل الجحيم الموقد^(٤)
إذا التواجي افترشت لم أرعد وُجناً من جلد نور أجرد^(٥)

ومؤمن بما على محمد

وقال عاصم بن ثابت أيضا :

أبو سليمان ومثلي رامي وكان قومي معشراً كراما

وكان عاصم بن ثابت يكنى : أبا سليمان . ثم قاتل القوم حتى قتل وقتل صاحبه .

فلما قتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه ، ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد ، وكانت قد بذرت حين أصاب ابنها يزم أحد : لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر ، فنهه الدبر^(٦) ، فلما حالت بينه وبينهم قالوا : دعوه يمسى فتذهب عنه ، فنأخذه . فبعث الله الوادي ، فاحتل عاصما ، فذهب به . وقد كان عاصم قد أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك ، ولا يمس مشركا أبدا ، تنجسا ؛ فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : حين بلغه أن الدبر منعه : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نذراً أن لا يمسه مشرك ، ولا يمس مشركا أبدا في حياته ، فنهه الله بعد وفاته ، كما امتنع منه في حياته .

(١) النابل : صاحب النبل . والعنابل الشديد .

(٢) المعابل : الأنصال العريضة . (٣) آئل : صائر .

(٤) المقعد : رجل يريش النبل . الضالة : يريد بها القوس . وهى فى الأصل شجرة تصنع

منها القسي . (٥) التواجي : الإبل السريعة . افترشت : عمرت . المجنأ : الترس لاحديد فيه

(٦) الدبر : الزناير .

وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدى ، وعبد الله بن طارق ، فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة فأعطوا بأيديهم ، فأسروهم ، ثم خرجوا إلى مكة ، ليبيعهم بها ، حتى إذا كانوا بالظهران (١) ، انزع عبد الله بن طارق يده من القران (٢) ، ثم أخذ سيفه ، واستأخر عنه القوم ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبّره ، رحمه الله ، بالظهران ؛ وأما خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة .

قال ابن هشام : فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانوا بمكة .

قال ابن إسحاق : فابتاع خبيبا مُحَجِّير بن أبي إمام التيمي ، حليف بني نوفل ، لعقبه بن الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أبو إهاب أخا الحارث بن عامر لأمه فقتله بأبيه .

قال ابن هشام : الحارث بن عامر ، خال أبي إهاب ، وإبو إهاب ، أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم ؛ ويقال : أحد بني عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، من بني تميم .

قال ابن إسحاق : وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقبله بأبيه ، أمية بن خلف ، وبعث به صفوان بن أمية مع مولى له ، يقال له نسطاس ، إلى التميم (٣) ، وأخرجوه من الحرام ليقتلوه . واجتمع رهط من قريش ، فيهم أبو سفيان بن حرب ؛ فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك الله يا زيد ، أحب أن محمداً دتدنا الآن في مكاتك تضرب عنقه ، وأنك في أهلك ؟ قال : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه ، وأنا جالس في أهلي . قال ؛ يقول أبو سفيان : ما رأيت في الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً ؛ ثم قتله نسطاس ، رحمه الله .

وأما خبيب بن عدى ، لحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، أنه حدث عن ماوية ، مولاة مُحَجِّير ابن أبي إهاب ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان خبيب عندي ، حبس في بيتي ، فلقد اطلعت عليه يوماً ، وإن في يده لقطفاً من عنب ، مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي نجيح جميعاً أنها قالت : قال لي حين حضره القتل : ابغى لي بحديدة أتطهر بها للقتل ، قالت : فأعطيت غلاماً من الحمى

(١) الظهران : واد قريب من مكة .

(٢) القران : الحبل الذي يربط به الأسير .

(٣) موضع خارج مكة في الحل .

الموسى ؛ فقلت : ادخل بها على هذا الرجل البيت ، قالت : فوالله ما هو إلا أن ولي الغلام بها إليه ؛ فقلت : ماذا صنعت ؟ أصاب والله الرجل فأره بقتل هذا الغلام ، فيكون رجلا برجل ، فلما ناوله الحديد أخذها من يده ثم قال : لعمرك ، ماخافت أملك غدري حين بعثتك بهذه الحديد إلى ، ثم خلى سبيله .

قال ابن هشام : ويقال : إن الغلام ابنها .

قال ابن إسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا بخبيب ، حتى إذا جاءوا به إلى التميم ليصلبوه ، قال لهم : إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دوزك فاركع . فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أني إنما طولت جزعا من القتل لا سكترت من الصلاة . قال : فكان خبيب بن عدى أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين ^(١) . قال : ثم رفعوه على خشبة ، فلما أوثقوه ، قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ^(٢) ، ولا تغادر منهم أحداً . ثم قتلوه رحمه الله .

فكان معاوية بن أبي سفيان يقول : حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان ، فلقد رأيته يلقيني إلى الأرض فرقا من دعوة خبيب ، وكانوا يقولون : إن الرجل إذا دعى عليه ، فاضطجع لجنبه زالت عنه .

قال ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عقبة بن الحارث ، قال سمعته يقول : ما أنا والله قتلت خبيبا ، لأنني كنت أصغر من ذلك ، ولكن أبا ميسرة ، أخا بني عبد الدار ، أخذ الحربة لجعلها في يدي ثم أخذ بيدي بالحربة ، ثم طعنه بها حتى قتله .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أصحابنا ، قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل سعيد بن عامر بن حذيم الجحفي على بعض الشام ، فكانت تصيبه غشية ، وهو بين ظهري القوم ، فذكر ذلك لعمر بن الخطاب ، وقيل : إن الرجل مصاب ، فسأله عمر في قدمه قدمها عليه ، فقال : ياسعيد ، ما هذا الذي يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما من بأس ، ولكنني كنت فيمن حضر خبيب بن عدى حين قتل ، وسمعت دعوته ، فوالله ما خطرت على قلبي وأنا في مجلس قط إلا غشى على ، فزادته عند عمر خيرا .

(١) وقد صار فعل خبيب سنة وإن كانت السنة إنما هي أقوال أو أفعال من النبي صلى الله عليه وسلم . وهي أيضا إقرار وقد حدثت في حياته فلم يشكر فالصلاة هي خير ما يختم بها العبد حياته .
(٢) بددا : متفرقين .

قال ابن هشام : أقام خبيب في أيديهم حتى انتفضت الأشهر الحرم ، ثم قتلوه .
ما نزل في سرية الرجيع من القرآن : قال ابن إسحاق : وكان مما نزل من القرآن في تلك السرية ، كما حدثني مولى لآل زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، أو عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس .

قال : قال ابن عباس : لما أصيبت السرية التي كان فيها مرثد وعاصم بالرجيع ، قال رجال من المنافقين : يا وحي هؤلاء المفتونين الذين هلكوا لآم قعدوا في أهلهم ، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم ! فأمر الله تعالى في ذلك من قول المنافقين ، وما أصاب أولئك نفر من الخير بالذي أصابهم . فقال سبحانه ، « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا » : أي لما يظهر من الإسلام بلسانه ، « ويشهد الله على ما في قلبه » ، وهو يخالف لما يقول بلسانه ، وهو ألد الخصام » : أي ذو جدال إذا كلمك واجهك .

قال ابن هشام : الألد : الذي يشغب ، فتشبد خصومته ، وجمعه : لُدد ، وفي كتاب الله عز وجل : وتذرب به قوما لدا . وقال المهمل بن ربيعة التغلبي ، واسمه امرؤ القيس ، ويقال : عدى (١) ابن ربيعة :

إن تحت الأحجار حداً ولينا وخصيماً ألد ذا معلاق

ويروى : ذا مغلاق ، فيما قال ابن هشام . وهذا البيت في قصيدة له ، وهو الألتد .

قال الطرماح بن حكيم الطائي يصف الحرياء :

يوفي على رجذم الجنود كأنه خصم أبر على الخصوم ألتد (٢)

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : قال تعالى : « وإذا تولي ، أي خرج من عندك دسعي في الأرض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد » أي لا يحب عمله ولا يرضاه . « وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبس المهاد . ومن الناس من يشري »

(١) هو عدى حقيقة ، فقد صرح مهمل باسمه في القصيدة فقال :

ضربت صدرها إلى وقالت ياعديا لقد وقتك الأواني

(٢) يوفي : يشرف . الجنم : القطعة . الجنود : الأهل .

(٧ — السيرة النبوية ، ج ٢)

نفسه ابتغاء مرضات الله ، والله رءوف بالعباد ، : أى قد شروا أنفسكم من الله بالجهاد فى سبيله والقيام بحقه ، حتى ملكوا على ذلك ، يعنى تلك السرية .

قال ابن هشام : يشرى نفسه : يبيع نفسه ؛ وشروا : باعوا . قال يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحيرى :

وشريت برداً ليتنى من بعد برد كنت هامة
برد : غلام له باعه . وهذا البيت فى قصيدة له . وشرى أيضاً : اشترى .
قال الشاعر :

فقلت لها لا تجزعى أم مالك على ابنك إن عبدك لثم شراهما
قال ابن إسحاق : وكان عما قيل فى ذلك من الشعر ، قول خبيب بن عدى ، حين بلغه أن القوم قد اجتمعوا لصلبه .

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له .

لقد جمع الأحزاب حولى وألبوا
وكلهم مبدى العداوة جاهد
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم
إلى الله أشكو غربى ثم كرتى
فذا العرش ، صبرنى على ما يراد بى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ
وقد خيرونى الكفر والموت دونه
وما بى حذار الموت ، إني لميت
فوالله ما أرجو إذا مت مسلماً
فلست بمبدى للعدو تخشعاً
وقال حسان بن ثابت يبكى خبيبا :

ما بال عينك لا ترقا مدامها
سحا على الصدر مثل اللؤلؤ التلقى (١)

(١) ياس : ياس . (٢) الشلو : بقية الشيء .

(٣) الملقع : المشتعل . (٤) التلقى : المتحرك .

على خبيب فتى الفتيان قد علوا
فاذهب خبيب جزاك الله طيبة
ماذا تقولون إن قال النبي لكم
فيم قتلتم شهيد الله في رجل
لا فشل حين تلقاه ولا نزع
وجنة الخلد عند الجور في الرفق (١)
حين الملائكة الأبرار تنفي الافر
طاغ قد أوعث في البلدان والرفق (٢)

قال ابن هشام : و يروى : الطرق . وتركنا ما بقي منها ، لأنه أقذع فيها .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يبكى خبيبا :

يا عين جردى بدمع منك منسكب
صقراً توسط في الأنصار منصبه
قد هاج عيني على علات عبرتها
يا أيها الراكب الغادى لطيفه
بنى كهيبة أن الحرب قد لقحت
فيها أسود بنى التجار تقدمهم
وابكى خبيبا مع الفتيان لم يؤب
سمح السجية محضاً غير مؤتشب (٣)
إذ قيل نضض إلى جذع من الخشب (٤)
أبلغ لديك وعيداً ليس بالكذب (٥)
محلوبها الصاب إذ تمرى لمحتب (٦)
شهب الأسنه في معصوب لب (٧)

قال ابن هشام : وهذه القصيدة مثل التي قبلها ، وبعض أهل العلم بالشعر ينكرهما لحسان ، وقد تركنا أشياء قالها حسان في أمر خبيب لما ذكرت .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا :

(١) الرفق : جمع رفيق (٢) أوعث : أفسد . (٣) المحض : الخالص . وغير
مؤتشب : غير مختلط (٤) نص : رفع . (٥) الملية : ما تنطوى عليه النية .
(٦) جعل كهيبة كأنه اسم علم لأمهم ، وهذا كما يقال : بنى ضوطرى وبنى الغبراء وبنى درزة
قال الشاعر :

أولاد درزة أسلوبك وطاروا

وهذا كله اسم لمن يُسب ، وعبارة عن السفلة من الناس ، وكهيبة من الكهبة وهى العبرة ،
وهذا كما قالوا : بنى الغبراء ، وأكثر أشعار حسان فى هذه القصيدة ، قال فيها : من هذيل ،
لأنهم إخوة التارة ، والمشاركون لهم فى الغدر بخبيب وأصحابه ، وهذيل وخزيمة أبناء مدركة
ابن الياس وعمنل والقارة من بنى خزيمه . عن الروض .

ولقحت : زاد شرها . الصاب : العلقم . تمرى : تمسح .

(٧) المعصوب : الجيش الكبير .

لو كان في الدار قمر ما جد بطل ألوى من القوم صقر خاله أنس^(١)
 إذن وجدت خبيبا مجلسا فسحا ولم يشد عليك السجن والحرس
 ولم تسلك إلى التعميم زعنفه من القبائل منهم من نفت عدس^(٢)
 دلوك غدرا وهم فيها أولو مخلف وأنت ضميم لها في الدار محتبس^(٣)

قال ابن هشام: أنس: الأصم السلي: خال مطغم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف . وقوله :
 « من نفت عدس » يعني حجير بن أبي إهاب : ويقال الأعشى بن زرارة بن النباش الأسدي
 وكان حليفا لبني نوفل بن عبد مناف .

قال ابن إسحاق : وكان الذين أجلبوا على خبيب في قتله حين قتل من قريش : عكرمة بن
 أبي جهل ، وسعيد بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود ، والأخلس بن شريق الثقفي ، حليف بني
 زهرة ، وعبيدة بن حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلي ، حليف بني أمية بن عبد شمس ،
 وأمية بن أبي عتبة ، وبني الحضرمي .

وقال حسان أيضا يهجو هذيل فيما صنعوا بخبيب بن عدى :

أبلغ بني عمرو بأن أخاهم شراه امرؤ قد كان للغدر لازما^(٤)
 شراه زهير بن الأغر وجامع وكانا جميعا يركبان المحارما
 أجرتم فلما أن أجرتم غدرتم وكنتم بأكتاف الرجيع لهاذما^(٥)
 فليت خبيبا لم تحته أمانة وليت خبيبا كان بالقوم عالما
 قال ابن هشام : زهير بن الأغر وجامع : الهذليان اللذان باعا خبيبا .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا :

إن سرك الغدر صرفا لا مزاج له فأنت الرجيع فصل عن دار الحيان
 قوم توأصوا بأكل الجار بينهم فالكلب والقرود والإنسان مثلان
 لو ينطق التيس يوما قام يخطبهم وكان ذا شرف فيهم وذا شان

قال ابن هشام : وأنشدني أبو زيد الأنصاري قوله :

لو ينطق التيس يوما قال يخطبهم وكان ذا شرف فيهم وذا شان

(١) ألوى : شديد الخصومة .

(٢) الزعنفه : الذين ليسوا خلصا في القبائل بل المتنمين إليها . وعدس : اسم قبيلة .

(٣) دلوك : غروك . (٤) شراه : باعه . (٥) الهازم : السيوف الفاطمية .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو هذيل :

سالت هذيل رسول الله فاحشة
سألو رسولهم ما ليس معطيهم
ولن ترى لهذيل داعيا أبدا
لقد أرادوا خلال الفحش ويحهم

وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو هذيل :

لعمري لقد شانت هذيل بن مدرك
أحاديث لحيان صلوا بقييحا
أناس هم من قومهم في صميمهم
هم غدروا يوم الرجيع وأسلت
رسول رسول الله غدرا ولم تكن
فسوف يزون النصر يوما عليهم
أبايل دبر شمس دون لحمه
لعل هذيل أن يروا بمصابه
ونوقع فيهم وقعة ذات صولة
بأمر رسول الله إن رسوله
قبيلة ليس الوفاء بهم
إذا الناس حلوا بالقضاء رأيهم
محلم دار البوار ورأيهم
وقال حسان بن ثابت يهجو هذيل :

لحي الله لحياننا فليست دماؤهم لنا من قتلى غدرة بوفاء

(١) سألت : لغة في سألت .

(٢) صلوا بقييحا : أصحابهم شرها . جرامون . كسابون .

(٣) الزمعان . جمع زمعة : شجرة مدلاة في مؤخر رجل الشاة أو غيرها . والدبر : الخلف .

(٤) يريد عاصم بن الأفلح فقد حتمه الزناهر .

(٥) يريد : لما تم . (٦) المخارم : مسابيل الماء .

همو قتلوا يوم الرجيع ابن حرة
 نلو قتلوا يوم الرجيع بأسرهم
 قتيل حته الدبر بين بيوتهم
 فقد قتلت لحيان أكرم منهم
 فاف للحيان على كل حالة
 قَبِيلَة باللوم والغدر. تغتري
 فلو قتلوا لم توف منه دماؤهم
 فألا أمت أذعر هذيلًا بغارة
 بأمر رسول الله والأمر أمره
 يصبح قوما بالرجيع كأنهم
 أبا ثقة في وده وصفاء
 بذى الدبر ما كانوا له بكفاء (١)
 لدى أهل كفر ظاهر وجفاء
 وباعوا خبييا ويلهم بأحقاء (٢)
 على ذكرهم في الذكر كل عفاء (٣)
 فلم تمس يخفى لومها بخفاء (٤)
 بلى إن قتل القاتليه شفائي
 كغادى الجهام المغتدى بإفاء (٥)
 بيت للحيان الحنا بفناء
 جداء شتاء بتن غير دفاء (٦)

وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو هذيل :

فلا والله ما تدري هذيل
 ولا لهم إذا اعتمروا وحجوا
 ولكن الرجيع لهم محل
 كأنهم لدى الكنان أصلا
 هم غرروا بدمتهم خبييا
 أصاف ماء زمزم أم مشوب
 من الحجرين والسعى نصيب
 به اللوم المبين والعيوب
 تيوس بالحجاز لها نيب (٧)
 فبئس العهد عدهم الكذوب

قال ابن هشام : آخرها بيتا عن أبي زيد الأنصاري .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يكي خبييا وأصحابه :

صلى الإله على الذين تتابعوا
 رأس السرية مرثد وأميرهم
 يوم الرجيع فأكرموا وأنيبوا
 وابن الكبير إمامهم وخيب

(١) ذو الدبر : هو عاصم بن الأقلح .

(٢) اللفاء : الشيء الحقيق . (٣) العفاء : التغير .

(٤) تغتري : يغرى بعضها بعضا .

(٥) الغادى : المبكر . الجهام : السحاب القليل . والإفاء : الغنمية .

(٦) جداء : جمع جدى . (٧) الكنان : جمع كنة . الأصل : جمع أصيل ،

وهو العشى . التيب : الصوت .

وابن لطارق وابن دثنة منهم وافاه ثم حماته المكتوب
والعاصم المقتول عند رجيعهم كسب المعالي إنه لكسوب
منع المقادة أن ينالوا ظهرة حتى يجالد إنه لتجيب
قال ابن هشام : ويروى : حتى يجدل إنه لتجيب .
قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .

حديث بئر معونة

في صفر سنة أربع

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة — وولى تلك الحجة المشركون والمحرم — ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب بئر معونة في صفر، على رأس أربعة أشهر من أحد . .

وكان من حديثهم ، كما حدثني أبي إسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وغيره من أدل العلم ، قالوا : قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة^(١) على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام ، وقال : يا محمد ، لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أدل نجد ، فدعوم إلى أمرك ، رجوت أن يستجيبيوا لك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أخشى عليهم أدل نجد ، قال أبو براء : أنا لهم جار ، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك .

نبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو ، أخا بني ساعدة ، المعنق ليموت^(٢)

(١) وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن صعصعة ، سمي ملاعب الأسنة في يوم سوبان ، وهو يوم كانت فيه وقعة في أيام جبلة ، وهي أيام حرب كانت بين قيس وتميم ، وجيله اسم لهضبة عالية . وكان سبب تسميته في يوم سوبان ملاعب الأسنة أن أخاه الذي يقال له فارس قرزل ، وهو طفيل بن مالك ، كان أسله في ذلك اليوم ، وفر فقال عمر :

فررت وأسلمت ابن أمك عامراً يلعب أطراف الوشيج المززع

(٢) لقب لقب به لأنه أسرع إلى الموت .

في أربعين رجلاً^(١) من أصحابه ، من خيار المسلمين ، منهم : الحارث بن الصمة ، وحرام بن ملحان أخو بني عدي بن النجار ، وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي ، ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي ؛ وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق ، في رجال مسمين من خيار المسلمين . فساروا حتى نزلوا بيثر مونة ، وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم ، كلا البلدين منها قريب ، وهي إلى حرّة بني سليم أقرب .

فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله عامر أن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بني عامر ، فأبوا أن يجيبوه إلى مادعاهم إليه ، وقالوا : لن نخفر^(٢) أباً براء ، وقد عقد لهم عقداً وجوازاً ، فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم من مصبة ورعل وذكوان ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ، ثم قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم ، يرحمهم الله ، إلا كعب بن زيد ، أخا بني دينار بن النجار ، فإنهم تركوه وبه رمق ، فارتث^(٣) من بين القتلى ، فعاث حتى قتل يوم الحندق شهيداً ، رحمه الله .

وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ، ورجل من الانصار ، أحد بني عمرو ابن عوف .

قال ابن هشام : هو المتذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح .

قال ابن إسحاق : فلم ينبتهما ؛ صاب أصحابهما إلا الطائر تحوم على العسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطائر لشأناً ، فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم في دماثهم ، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة . فقال الانصاري لعمرو بن أمية : ما ترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنخبره الخبر ، فقال الانصاري : لكنني ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المتذر بن عمرو ، وما كنت لتخبرني عنه الرجال ، ثم قاتل القوم حتى قتل ؛ وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مضر ، أطلقه عامر بن الطفيل ، وجز ناصيته ، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه .

(١) الصحيح أنهم كانوا سبعين كما وقع في البخاري ومسلم .

(٢) الإخفار : تقض المهد .

(٣) أى رفع من بين القتلى وفيه رمق .

فخرج عمرو بن أمية ، حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة^(١) ، أقبل رجلان من بني هاجر .

قال ابن هشام : ثم من بني كلاب ، وذكر أبو عمرو المدني أنهما من بني سليم .

قال ابن إسحاق : حتى نزلا معه في ظل هو فيه . وكان مع العامريين عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار ، لم يعلم به عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا ، عن أتيا ؟ فقالا : من بني عامر ، فأملهما ، حتى إذا ناما ، عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثورة من بني عامر ، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد قتلت قتيلين ، لأدبتهما !

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عمل أبي براء ، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً . فبلغ ذلك أبا براء ، فشق عليه لإخفار عامر إياه ، وما أصاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره ، وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة .

قال ابن إسحاق : لحدثني هشام بن عروة ، عن أبيه : أن عامر بن الطفيل كان يقول : من رجل منهم لما قتل رأيته رفع بين السماء والأرض ، حتى رأيت السماء من دونه ؟ قالوا : هو عامر بن فهيرة^(٢) .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض بني جبار بن سلمى بن مالك بن جعفر ، قال — وكان جبار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسلم — قال فكان يقول : إن عاهداني إلى الإسلام أني طعنت رجلاً منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعتة يقول : فزت والله ! فقلت في نفسي : ما فاز ! ألسنت قد قتلت الرجل ! قال : حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : للشهادة ، فقلت : فاز لعمرو الله .

(١) مكان قريب من المدينة .

(٢) هذه رواية البكائي عن ابن إسحاق ، وروى يونس بن بكير عنه بهذا الإسناد أن عامر بن الطفيل قدم المدينة بعد ذلك ، وقال للنبي عليه السلام : من رجل يا محمد لما طعنته رفع إلى السماء ؟ فقال : هو عامر بن فهيرة ، وروى عبد الرزاق وابن المبارك أن عامر بن فهيرة اتهم في القتل ، ففقد ، فيرون أن الملائكة رفعت أودفته .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يحرض بني براء على عامر بن الطفيل :
 بني أم البنين ألم يرعكم وأتتم من ذوائب أهل نجد^(١)
 تهكم عامر بأبي براء ليخفره وما خطأ كعمد
 ألا أبلغ ربيعة ذا المساعي فما أحدثت في الحدثان بعدى
 أبوك أبو الحروب أبو براء وخالك ماجد حكم بن سعد
 قال ابن هشام : حكم بن سعد : من القين بن جسر ، وأم البنين : بنت عمرو بن ربيعة بن
 عامر بن صعصعة ، وهى أم أبي براء .
 قال ابن إسحاق : لحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل ؛ نطعنه بالرمح ، فوقع

(١) أم البنين : هى ليلي بنت عامر التى يذكرها ليلى فى قوله :

نحن بني أم البنين الأربعة

ولم يكونوا أربعة بل كانوا إخوة خمسة : طفيل فارس قرزل ، وعامر ملاعب الأسرة ،
 وربيعة المقترين وهو والد ليلى ، وعبيدة الوضاح ، ومعاوية معوذ الحكماء وهو الذى يقول :

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

وفى هذا الشعر يقول :

يعوذ مثلها الحكماء بعدى إذا ما الأمر فى الحدثان نابا

وبهذا البيت سمي معوذ الحكماء .

وإياهم عنى ليلى حين قال بين يدي النعمان بن المنذر :

نحن بني أم البنين الأربعة المطعمون الجفنة المددعه

والضاريون الهام تحت الخيصعة يارب هيجاهى خير من دعة

ولما قال : الأربعة ، وهم خمسة ، لأن أباه ربيعة قد كان مات قبل ذلك ، لا كما قال بعض
 النحويين أنه قال إنما قال أربعة ، ولم يقل خمسة من أجل القوافي ، فيقال له : لا يجوز للشاعر
 أن يلحن لإقامة وزن الشعر ، فكيف بأن يكذب لإقامة الوزن ، وأعجب من هذا أنه استشهد
 به على تأويل فاسد تأوله فى قوله سبحانه : « ولمن خاف مقام ربه جنتان ، وقال : أراد جنة
 واحدة ، وجاء بلفظ التثنية ، لتتفق رءوس الآى .

في فخذيه، فأشواه، ووقع عن فرسه، فقال: هذا عمل أبي براء، إن أمت فدى لعمى، فلا يتبعن به، وإن أعش فسأرى رأيي فيما أتى لى.

وقال أنس بن عباس السلمى، وكان خال طعيمة بن عدى بن نوفل، وقتل يومئذ نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى:

تركت ابن ورقاء الخزاعى ناويا بعتك تسقى عليه الأعاصر
ذكرت أبا الريان لما رأيته وأيقنت أنى عند ذلك نأثر

وأبو الريان: طعيمة بن عدى.

وقال عبدالله بن رواحة يبكى نافع بن بديل بن ورقاء:

رحم الله نافع بن بديل رحمة المبتغى ثواب الجهاد
صابر صادق وفى إذا ما أكثر القوم قال قول السداد

وقال حسان بن ثابت يبكى قتلى بئر معونة، ويخص المنذر بن عمرو:

على قتلى معونة فاستهل بدمع العين سحا غير نزر
على خيل الرسول غداة لاقوا منايهم ولاقتهم بقدر
أصابهم الفناء بعقد قوم تخون عقد حبلهم بنذر
فيا لحنى لمنذر إذ تولى وأعتق فى منيته بصبر^(١)
وكان قد أصيب غداة ذاكم من ايض ماجد من سر عمرو^(٢)

قال ابن هشام: أنشدنى آخرها يبتا أبو زيد الأنصارى.

وأنشدنى لسكب بن مالك فى يوم بئر معونة، يعير بنى جعفر بن كلاب:

تركم جاركم لبنى سليم غافة حريهم عجزاً وهونا

(١) أعتق: أسرع.

(٢) السر: الخالص.

فلو حبلا تناول من عقيل لد مجبها حبلا متينا^(١)
أو القرطاء ما إن أسلبوه وقدما ما وفوا إذ لاتفونا

قال ابن هشام : القرطاء : قبيلة من هوازن ، ويروى « من نفيل » مكان « من عقيل » ،
وهو الصحيح : لأن القرطاء من نفيل قريب .

أمر لاجد - بنى النضير

في سنة أربع

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النضير يستعينهم في دية
ذنيك القتيلين من بنى عامر ، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري ، للجوار الذي كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم عقد لهما ، كما حدثني يزيد بن رومان ، وكان بين بنى النضير وبين بنى عامر
عقد وحلف . فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم في دية ذنيك القتيلين ، قالوا
نعم ، يا أبا القاسم ، نعينك على ما أحببت ، مما استعنت بنا عليه . ثم خلا بعضهم ببعض ، فقالوا
لأنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه — ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار
من بيوتهم قاعد — فن رجل يعلو على هذا البيت ، فيلقى عليه صخرة ، فيريحنا منه ؟ فأتدب
لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ، أحدهم ، فقال : أنا لذلك ، فصعد ليلق عليه صخرة كما قال ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر وعلي ، رضوان
الله عليهم .

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعا
إلى المدينة . فلما استلبث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ، قاموا في طلبه ، فلقوا رجلا مقبلا
من المدينة ، فسألوه عنه : فقال : رأيته داخل المدينة . فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، حتى انتهوا إليه صلى الله عليه وسلم ، فأخبرهم الخبر ، بما كانت اليهود أرادت من الغدر
به ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم ، والسير إليهم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

(١) يريد بالحبل : العهد .

قال ابن إسحاق : ثم سار بالناس حتى نزل بهم .

قال ابن هشام : وذلك في شهر ربيع الأول ، لحاصرهم ست ليال ، ونزل تحريم الخمر .

قال ابن إسحاق : فتحصنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادوه : أن يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد ، وتعييه على من صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها (١) ؟

وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج ، منهم عدو الله عبد الله بن أبي بن سلول ووديعه ومالك بن أبي قوئل ، وسويد وداعر ، قد بعثوا إلى بني النضير : أن اثبتوا وتمنعوا ، فإننا لن نسلحكم ، إن قُوتلتُم قاتلتنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم ، فتربصوا ذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم ، على أن لهم ما حلت الإبل من أموالهم إلا الحلقة (٢) ، ففعل . فاحتلوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف (٣) بابه ، فيضمه على ظهر بعيره فينطلق به . فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام .

فكان أشرافهم من سار منهم إلى خيبر : سلام بن أبي الحقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وحبي بن أخطب . فلما نزلوها دان لهم أهلها .

قال ابن إسحاق : لحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث : أنهم استقلوا بالنساء والأموال ، معهم الدنوف والمزامير ، والقيان يعزفن خلفهم ، وإن فيهم لأم عمرو صاحبة عروة بن الورد العبسي ، التي ابتاعوا منه ، وكانت إحدى نساء بني غفار (٤) ، بزهاء ونحر ما رثى مثله من حى من الناس في زمانهم .

(١) قال أهل التأويل : وقع في نفوس المسلمين من هذا الكلام شيء ، حتى أنزل الله تعالى : « ما قطعتم من لينة ، أو تركتموها قائمة على أصولها ، . واللينه ألوان القر ما عدا المجرة والبرني ففي هذه الآية أن النبي — صلى الله عليه وسلم — لم يحرق من نخلم إلا ما ليس بقوت للناس وكانوا يقتاتون المجرة .

(٢) الحلقة : السلاح .

(٣) النجاف : عتبة الباب العليا .

(٤) لم يذكر اسمها في رواية البكائي عنه ، وذكره في غيرها ، وهي سلى قال الأصمعي : =

وخلوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، يضعها حيث يشاء ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأولين دون الأنصار ، إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجاجة سمالك بن خرشة ذكرا فقرا ، فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان : يامين بن عمير ، أبو كعب بن عمرو بن جحاش ، وأبو سعد بن وهب ، أسلما على أموالهما فأحرزاها .

قال ابن إسحاق — وقد حدثني بعض آل يامين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين : ألم تر مالتيت من ابن عمك ، وما هم به من شأني ؟ لجعل يامين بن عمير لرجل مجعلا على أن يقتل له عمرو بن جحاش ، فقتله فيما يزعمون .

ما نزل في بني النضير من القرآن : ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها ، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نعمته . وما سلط عليهم به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما عمل به فيهم ، فقال تعالى : « هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر » (١) ما ظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ،

اسمها . ليلي بنت شعواء ، وقال أبو الفرج : هي سلمى أم وهب امرأة من كنانة ، كانت ناكحاً في مزينة ، فأغار عليهم عروة بن الورد ، فسبها ، وذكر الحديث ، وقول أبي الفرج إنها من كنانة لا يدفع قول ابن إسحاق إنها من غفار ، لأن غفار من كنانة . غفار بن مليل بن ضمرة بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

(١) روى موسى بن عقبة أنهم قالوا له : إلى أين نخرج يا محمد ؟ قال : إلى الحشر ، يعني : أرض الحشر ، وهي الشام ، وقيل : لأنهم كانوا من بسط لم يصعبم جلاء قبلها ، فلذلك قال : لأول الحشر ، والحشر : الجلاء ، وقيل إن الحشر الثاني ، هو حشر النار التي تخرج من قعر عدن ، فتحشر الناس إلى الموقف ، تبيت معهم ، حيث باتوا ، وتقبل معهم حيث قالوا ، وتأكل من تحلف ، والآية متضمنة لهذه الأقوال كلها ، ولزائد عليها ، فإن قوله : لأول الحشر يؤذن أن ثم حشراً آخر ، فكان هذا الحشر والجلاء إلى خير ، ثم أجلاهم عمر من خير إلى تيماء وأريحا ، وذلك حين بلغه الثبوت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يبقين دينان بأرض العرب .

وقذف في قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، ، وذلك لهدمهم بيوتهم عن نجف أبوايهم إذا احتملوا . « فاعتبروا يا أولي الأبصار ، ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء ، وكان لهم من الله نعمة ، « لعذبهم في الدنيا . : أي بالسيف ، « ولهم في الآخرة عذاب النار ، مع ذلك . « ما قطعتم من لينة أو تركنموها قائمة على أصولها . « واللينه : ما خالف العجوة من النخل « فيأذن الله » : أي فبأمر الله قطعت ، لم يكن فساداً ، ولكن كان نعمة من الله « وليخزي الفاسقين » .

قال ابن هشام : اللينة : من الألوان ، وهي ما لم تكن برنية ولا عجوة من النخل ، فيما حدثنا أبو عبيدة . قال ذو الرمة :

كأن قتودي فوقها عش طائر على لينة سوقاء تهفو جنوبها^(١)

وهذا البيت في قصيدة له .

« وما أفاء الله على رسوله منهم » — قال ابن إسحاق : يعني من بني النضير — « فما أوقفتم عليه من خيل ولا ركاب ، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء ، والله على كل شيء قدير » : أى له خاصة .

قال ابن هشام : أوقفتم : حرکم وأتعبتم في السير . قال تميم بن أبي بن مقبل أحد بني عامر ابن صعصعة :

مذاويد بالبيض الحديث صقالها عن الركب أحياناً إذا الركب أوجفوا^(٢)

وهذا البيت في قصيدة له ، وهو الوجيف . وقال أبو زيد الطائي ، واسمه حرمله ابن المنذر :

مستفات كأنهن قنا الهذ ل طول الوجيف جذب المروء^(٣)

وهذا البيت في قصيدة له :

قال ابن هشام : السناف : البطان . والوجيف : وجيف القلب والكبد ، وهو الضربان .

(١) التتوذ : الزحل مع أدواته . السوقاء : عظيمة الساق . الجنوب : التواحي .

(٢) المذاويد : المدافعون عن قومهم . والبيض : السيوف .

(٣) مستفات : مشدودات بالاحزمة . والمروء : الموضع الذي يطلب فيه المرمى .

قال قيس بن الخطيم الظفري :

إنا وإن قدّموا التي طلبوا أكبادنا من ورائهم تجف
وهذا البيت في قصيدة له .

« ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول » — قال ابن إسحاق : ما يوجب عليه المسلمون بالخيال والركاب ، وفتح بالحرب غنوة فله وللرسول — « ولذى القرى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم ، وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » .. يقول : هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين ، على ما وضعه الله عليه .

ثم قال تعالى : « ألم تر إلى الذين نافقوا » يعني عبد الله بن أبي وأصحابه ، ومن كان على مثل أمرهم « يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب » : يعني بني النضير ، إلى قوله « كمثل الذين من قبلهم قريياً ذاقوا وبال أمرهم » ولهم عذاب أليم ، : يعني بني قينقاع . ثم القصة . . إلى قوله : « كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ، فلما كفر قال إني بريء منك ، إني أخاف الله رب العالمين ، فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها ، وذلك جزاء الظالمين » .

« أنزل في بني النضير من الشعر » : وكان مما قيل في بني النضير من الشعر قول ابن لقيم العبسي ، ويقال : قاله قيس بن بحر بن طريف . قال ابن هشام : قيس بن بحر الأشجعي — فقال :

أهل فداء لأمرى غير هالك أهل اليهود بالحصى المزنم^(١)

(١) يريد : أحلهم بأرض غربة ، وفي غير عشائرتهم ، والزنيم : الرجل يكون في القوم ، وليس منهم ، أى أنزلهم بمزلة الحصى ، أى المبعد الطريد ، ولما جعل الطريد الذليل حسياً لأنه عرضة للأكل ، والحصى والحسو ما يحصى من الطعام حسواً ، أى أنه لا يمتنع على آكل ، ويجوز أن يريد بالحصى معنى الغنى من الغنم ، وهو الصغير الضعيف الذى لا يستطيع الرعى ، يقول : بدلوا بالمال الدثر والإبل الكوم ، وذال المال وغذاء الغنم ، والمزمن منه ، فهذا وجه يحتتمل ، وقد أكثر البحث عن الحصى في مظاهره من اللغة فلم أجد نصاً شافياً أكثر من قول أبي علي : =

يَقِيلُونَ فِي جِمر الغُضاةِ وَبُدَلُوا أَهِيضِب غُودِي بِالُودِي الْمَكْمَمِ^(١)
فَإِنْ يَك ظَلَى صَادِقاً بِمُحَمَّد تَرَوْا خِيْلَهُ بَيْن الصَّلَا وَيَرْمَم
يَوْمَ بِهَا عَمْرُو بْنُ مَبِيْثَةَ لَانَهُمْ عَدُوٌّ وَمَا حَتَّى صَدِيقٌ كَمُحْزَم
عَلَيْهِمْ أَبْطَالُ مَسَاعِيرِ فِي الْوُغَى يَهْزُونَ أَطْرَافَ الْوُشَيْجِ الْمَقُومِ^(٢)
وَكُلُّ رَقِيقٍ الشُّفَرَتَيْنِ مَهْنَدٌ تَوَوَّرْتُمْ مِنْ أَرْزَامٍ عَادَ وَجْرَهُمْ
فَنْ مَبْلَغٍ حَتَّى قَرِيْشاً رِسَالَةً فَبَلْ بَعْدَهُمْ فِي الْمَجْدِ مِنْ مُتَكْرَم
أَنْ أَحَاكُم فَاغْلَبْ مُحَمَّدٌ تَلِيدُ الدُّدَى بَيْنَ الْحُجُوجِ وَزِمَزِمِ^(٣)
فَدِينُوا لَهُ بِالْحَقِّ تَجَسَّمُ أُمُورَكُمْ وَتَسْمُوا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ مَعْظَم
نَبِيٍّ تَلَاقَتْهُ مِنَ اللَّهِ رَحْمَةً وَلَا تَسْأَلُوهُ أَمْرَ غَيْبٍ مَرْجُمِ^(٤)
فَقَدْ كَانَ فِي بَدْرِ لَعْمَى عِبْرَةً لَكُمْ يَا قَرِيْشاً وَالْقَلْبِ الْمَلَمِ
غَدَاةٌ أَتَى فِي الْخُزُوجِيَّةِ عَامِداً إِلَيْكُمْ مَطْبِيعاً لِلْعَظِيمِ الْمَكْرَمِ
'مَعَانَا بِرُوحِ الْقُدُسِ يَنْكِي عَدُوَّهُ رَسُولاً مِنَ الرَّحْمَنِ حَقّاً بِمَعْلَمِ^(٥)
أَرَى أَمْرَهُ يَزْدَادُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ فَلَسَا أَنَارَ الْحَقِّ لَمْ يَتَلَعَّمْ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : عَمْرُو بْنُ مَبِيْثَةَ ، مِنْ غُطْفَانٍ . وَقَوْلُهُ « بِالْحَسَى الْمَزْنَمِ » ، عَنْ غَيْرِ
ابْنِ إِسْحَاقَ .

= الْحَسِيَّةُ ، وَالْحَسَى مَا يَحْسَى مِنَ الطَّعَامِ ، وَإِذَا قَدْ وَجَدْنَا الْغُذَى وَاحِدُ غَدَاةِ الْغَنَمِ ، فَالْحَسَى فِي
مَعْنَاهُ غَيْرُ مَمْتَنِعٍ أَنْ يَقَالَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَالْمَزْنَمُ أَيْضاً : صَغَارُ الْإِبِلِ - عَنْ الرُّوَضِ الْأَنْفِ .
(١) الْغُضَاةُ : الشَّجَرُ . الْأَهْيُضِبُ : الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ . غُودِي : اسْمُ مَكَانٍ . الْوُدَى الْمَكْمَمُ :

صَغَارُ النَّخْلِ الَّذِي خَرَجَ طَلْعُهُ .

(٢) الْوُشَيْجُ : الرِّمَاحُ . (٣) الْحُجُوجُ : مَوْضِعٌ فِي مَكَّةَ .

(٤) الْمَرْجُمُ : غَيْرُ الْمُتَيْقِنِ . (٥) الْمَعْلَمُ : الْمَوْضِعُ الْعَالِي .

(٦) حَمَهُ : قَدَرَهُ .

قال ابن إسحاق : وقال علي بن أبي طالب : يذكر لإجلاله بنى النضير ، وقتل كعب ابن الأشرف .

قال ابن هشام : قالها رجل من المسلمين غير علي بن أبي طالب ، فيما ذكر لي بعض أهل العلم بالشعر ، ولم أر أحدا منهم يعرفها لعل :

عرفت ومن يعتدل يعرف وأيقنت حقا ولم أصدف^(١)
 عن السلام المحكم الآى من لدى الله ذى الرأفة الأراف
 رسائل تدرس فى المؤمنين بنى اصطفى أحمد المصطفى
 فأصبح أحمد فينا عزيزاً عزيز المقامة والموقف
 فيأبها الموعدوه سفاها ولم يأت جوراً ولم يعنف
 أستم تخافون أدنى العذاب وما آمن الله كالأخوف
 وأن تصرعوا تحت أسيافه كصرع كعب أبي الأشرف
 غداة رأى الله طغيانه وأعرض كالجلجلاج^(٢)
 فأنزل جبريل فى قتله بوحي إلى عبده ملطف
 فدى الرسول رسولا له بأبيض ذى هبة مرهف^(٣)
 فبات عيون له معولات متى مئيع كعب لها تذرف
 وقلن لأحد ذرنا قليلا فإنا من النوح لم نشف
 فغلام ثم قال اظعنوا دحورا على رغم الآنف^(٤)
 وأجلى النضير إلى غربة وكانوا بدار ذوى زخرف
 إلى أذرعات رداف وهم على كل ذى دبر أعجف^(٥)

(١) أصدف : أعرض . (٢) الأجنف : المائل إلى جهة .

(٣) الأبيض : السيف . والهبة : الاعتزاز .

(٤) رغم الآنف : أى رغم أنفسكم ، أى على دوان ومذلة .

(٥) يريد على جل جريج هزيل .

فأجابه ممالك اليهودي ، فقال :

إن تفخروا فهو فخركم بقتل كعب أبي الأشرف
غداة غدوتم على حنقه ولم يأت غدرآ ولم يخلف
فعل الليالي وصرف الدهور يدين من العادل المنصف (١)
بقتل النصير وأحلافها وعقر النخيل ولم تقطف
فإن لا أمت فأنكم بالقنا وكل حسام معا مرهف
بكف كمي به يحتمي متى يلق قرنا له يتلف
مع القوم صخر وأشياعه إذا غاور القوم لم يصف
كيت بترج حمى غيله أخى غابة هاصر أجوف (٢)

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر لإجلاء بني النصير وقتل كعب بن الأشرف :

لقد خزيت بغدرتها الجبور كذاك الدهر ذو صرف يدور (٣)
وذلك أنهم كفروا برب عزيز أمره أمر كبير
وقد أوتوا معا فهما وعلمنا وجاءهم من الله النذير
نذير صادق أدى كتابا وآيات مبينة تنير
فقالوا ما أتيت بأمر صدق وأنت بمنكر منا جدير
فقال بلى لقد أديت حقا يصدقني به الفهم الخبير
فن يتبعه مهيد لكل رشد ومن يكفر به يجر الكفور

(١) يريد بالعدل المنصف محمداً صلى الله عليه وسلم وقد أراد الملعون التهمك عليه صلى الله عليه وسلم أو يكون كما قال أبو ذر في شرح الديرة أن يكون التفظ للمدح والمعنى للذم كما قال سبحانه وتعالى « ذق لأنك أنت العزيز الكريم » .

(٢) ترج : جبل بالحجاز . وغيله : جمع غيلة وهي أجمة الاسد . ولأجوف : عظيم الجوف .

(٣) الجبور : العلماء .

وحاد بهم عن الحق الثغور
وكان الله يحكم لا يجوز
وكان نصيره نعم النصير
فذلك بعد مصرعه النصير
بأيدينا مشهورة ذكور^(١)
إلى كعب أخا كعب يسير
ومحمود أخو ثقة جسور
أبارهم بما اجتمعوا المير^(٢)
رسول الله وهو بهم بصير^(٣)
على الأعداء وهو لهم وزير
وحالف أمرهم كذب وزور^(٤)
لكل ثلاثة منهم بعير
وغودر منهم نخل ودور

فلما أشربوا غدراً وكفراً
أرى الله النبي برأى صدق
فأيده وسلطه عليهم
فغودر منهم كعب صريحا
على الكافرين ثم وقد علته
بأمر محمد إذ دس ليلا
فأكروه فأنزله بمكر
فتلك بنو النصير بدار سوء
غداة أتاها في الزحف رهوا
وغسان الحماة موازروه
فقال السلم ويحكم فصدوا
فذاقوا غب أمرهم وبالا
وأجسوا حامدين لقيثاع

فأجابه سماك اليهودي ، فقال :

بابل غيرُهُ ليل قصير^(٥)
وكلم له علم خبير
به التوراة تنطق والزبور
وقدما كان يأمن من يجير
ومحمود سريره الفجور
يسل على مدارعه غير^(٦)
أصابت إذ أصيب به النصير
بكعب حولهم طير تدور

أرقت وضائقي هم كبير
أرى الأحبار تنكره جميعا
وكانوا الدارسين لكل علم
قتلهم سيد الأحبار كعبا
تدلى نحو محمود أخيه
فغادره كان دما نجيعا
فقد وأبيكم وأبي جميعا
فإن نسلم لكم نترك رجالا

(١) مشهورة : مسلوقة . ذكور : قوية .

(٢) أبارهم : أحلكم .

(٣) الرهو : المشى في تودة .

(٤) حالف : صاحب .

(٥) ضائقي : نزل بي .

(٦) الدم التجميع : الطرى . المدارع : ملابس من صوف .

والعير : الأخلاط من الطيب .

كانهم عتائر يوم عيد تذبح وهي ليس لها تكبير^(١)
بييض لا تليق لمن عظما صوافي الحد أكثرها ذكور^(٢)
كما لا قيم من بأس صخر بأحد حيث ليس لكم نصير^(٣)

وقال عباس بن مرداس أخو بني سليم يمدح رجال بني النضير :

لو أن أهل الدار لم يتصدعوا رأيت خلال الدار ملجئ وملعبا
فإنك عَمَرى هلى أريك ظعانا سلكن على ركن الشطاة فتيا^(٤)
حايهن عين من ظباء تباله أوانس يصبين الحليم المجزبا^(٥)
إذا جاء باغى الخير قلن فُجاءة له برجوه كالدنانير مرجبا
وأهلا فلا بمنوع خير طلبته ولا أفت تخشى عندنا أن تؤنبا
فلا تحسبى كنت مولى ابن مشكم سلام ولا مولى حي بن أخطبا

فأجابه خوات بن جبير ، أخو بني عمرو بن عوف ، فقال :

تبكى على قتلى يهود وقد ترى من الشجو لو تبكى أحب وأقربا
فهلا على قتلى يسطن أريق بكيت ولم تعول من الشجو مسبا^(٦)
إذا السلم دارت فى صديق رددتها وفى الدين ضدادا وفى الحرب ثعبا
عمدت إلى قدر لقومك تبتغى لهم شسبا كيا تهمز وتغلبا
فإنك لما أن كلفت تمدحا لمن كان عيبا مدحه وتكذبا
رحلت بأمر كنت أهلا لمثله ولم تلف فيهم قائلا لك مرجبا
فهلا إلى قوم ملوك مدحتهم تبوا من العز المؤئل منصبا^(٧)
إلى معشر صاروا ملوكا وكُرموا ولم يلف فيهم طالب العرف مجدبا

(١) العتائر : الذبائح . (٢) لا تليق : لا تبق ولا تذر .

(٣) صخر : يقصد به أبا سفيان بن حرب .

(٤) الظعائن : النساء فى الموادج . الشطاة وتياب : موضعان .

(٥) العين : واسعات العين . قبالة : موضع باليمن يشتهر بالظباء . ويصبين : يذهبن العقل .

(٦) المسهب : المتغير الوجه . (٧) المؤئل : القديم .

أولئك أخرى من يهود يمدحة
فأجابه عباس بن مرداس السلمي ، فقال :

هجوت صريح الكاهنين وفيكم
أولئك أخرى لو بكيت عليهم
من الشكر إن الشكر خير مغبة
فكنت كمن أمسى يقطع رأسه
فبكّ بنى هارون واذكر فعالهم
أخوات أذر الدمع بالدمع وابكهم
فإنك لو لاقيتهم في ديارهم
سراع إلى العليا كرام لدى الوغى

فأجابه كعب بن مالك ، أو عبد الله بن رواحة فيما قال ابن هشام ، فقال :

لعمري لقد حكيت رحى الحرب بعدما
بقية آل الكاهنين وعزها
نطاح سلام وابن سعية عنوة
وأجاب يبغي العز والذل يبتغى
كنارك سهل الأرض والحرن همة
وشأس وعزال وقد صليا بها
وعرف بن سلمي وابن عوف كلاهما
فبعدا وسحقا للنضير ومثلا

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدني : ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بني النضير
بني المصطلق . وسأذكر حديثهم إن شاء الله في الموضع الذي ذكره ابن إسحاق فيه .

(١) الترتب : الثابت .

(٢) الكاهنان : قريظة والنضير ، وفي الحديث : مخرج في الكاهنين رجل يدرس القرآن
درسا لم يدرسه أحد قبله ، ولا يدرسه أحد بعده ، فكانوا يرونه محمدا بن كعب القرظي وهو
محمدا بن كعب بن عطية ، والكاهن في اللغة بمعنى الكاهل ، وهو الذي يقوم بحاجة أهله ، إذا
خلف عليهم ، يقال : وهو كاهن أبيه وكاهله ، قاله الهروي ، فيحتل أن يكون سمي الكاهنان بهذا .

(٣) المغبة : العاقبة .

(٤) نكب : ابتعد

(٥) الجزن : الأرض العالية . الأكدي : الذي لم يبلغ حاجته . (٦) حان : هلك .

غزوة ذات الرقاع

في سنة أربع

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهر ربيع الآخر وبعض جهادى ، ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى ؛ ويقال : عثمان بن عفان ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : حتى نزل نخلا (١) ، وهى غزوة ذات الرقاع .

قال ابن هشام : وإنما قيل لها غزوة ذات الرقاع ، لأنهم رقعوا فيها راياتهم ، ويقال : ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع ، يقال لها : ذات الرقاع (٢) .

قال ابن إسحاق : فلقى بها جمعا عظيما من غطفان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً ، حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف ، ثم انصرف بالناس .

صلاة الخوف : قال ابن هشام : حدثنا عبد الوارث بن سعيد التورى — وكان يسكنى أبا عبيدة — قال : حدثنا يونس بن عبيد ، عن الحسن بن أبى الحسن ، عن جابر بن عبد الله فى صلاة الخوف ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة ركعتين ثم سلم ، وطائفة مقبلون على العدو قال : فجاءوا فصلى بهم ركعتين أخريين ، ثم سلم .

(١) نخل : موضع بنجد .

(٢) وذكر غيره أنها أرض فيها بقع سود ، وبقع بيض ، كأنها مرقعة برقاع مختلفة ، فسميت ذات الرقاع لذلك ، وكانوا قد نزلوا فيها فى تلك الغزاة ، وأصح من هذه الأقوال كلها ما رواه البخارى من طريق أبى موسى الأشعرى : قال : « خرجنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فى غزاة ، ونحن ستة نفر بيتنا بغير نعتبه ، فنقبت أقدامنا ، ونقبت قدمائى ، وسقطت أظفارى ، فكنا نلف على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع ، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا ، لحدث أبو موسى بهذا ، ثم كره ذلك ، فقال : ما كنت أصنع بأن أذكره : كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاء .

قال ابن هشام : وحدثنا عبد الوارث ، قال : حدثنا أيوب ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : صفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صفين ، فركع بنا جميعا ، ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد الصف الأول ، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم . ثم تأخر الصف الأول ، وتقدم الصف الآخر حتى قاموا مقامهم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ، ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم وسجد الذين يلونه معه ؛ فلما رفعوا رءوسهم سجد الآخرون بأنفسهم . فركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سجدتين .

قال ابن هشام : حدثنا عبد الوارث بن سعيد التتوري ، قال : حدثنا أيوب عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : يقوم الإمام وتقوم معه طائفة ، وطائفة بما يلي عدوهم ، فيركع بهم الإمام ويسجد بهم ، ثم يتأخرون فيكونون بما يلي العدو ، يتقدم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة ، ويسجد بهم ، ثم تصلي كل طائفة بأنفسهم ركعة ، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة ، وصلوا بأنفسهم ركعة ركعة .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله : أن رجلا من بني محارب ، يقال له : غمورث ، قال لقومه من غطفان وعارب : ألا أقتل لكم محمدا ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أقتك به . قال : فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبزه ، فقال : يا محمد ، أنظر إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم — وكان محلي بفضة ، فيما قال ابن هشام — قال : فأخذه فاستله ، ثم جعل بهزه ، وبهم فيكبه الله ؟ ثم قال : يا محمد ، أما تخافني ؟ قال : لا ، وما أخاف منك ؟ قال : أما تخافني وفي يدي السيف ؟ قال : لا ، ينعني الله منك ، ثم عمد إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فردده عليه . قال : فأمر الله : يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يسلطوا عليكم أيديهم ، فكف أيديهم عنكم ، واتقوا الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن رومان : أنها إنما أنزلت في عمرو بن جحاش ، أخى بني النضير وما هم به ، فأنه أعلم أي ذلك كان .

قال ابن إسحاق : وحدثني وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة ذات الرقاع من نخل ، على جبل لي ضيف ؛ فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال جعلت الرقاق تمضي ، وجعلت أتخلف ، حتى أدركني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مالك يا جابر ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، أبطأ بي جلي هذا ، قال أغثه . قال : فأغثته ؛ وأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أعطني هذه العضة .

من يدك ، أو اقطع لي عصا من شجرة ، قال : ففعلت . قال : فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فذخسه بها نخسات ، ثم قال : اركب ، فركبت ، فخرج ، والذى بعته بالحق ، يواحق^(١) ناقته مواهقة .

قال : وتحدثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لي : أتبيئني بملك هذا يا جابر ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، بل أهبه لك ، قال : لا ، ولكن بعنيه ، قال : قلت : فسمنيه يا رسول الله ، قال : قد أخذته بدرهم ؛ قال : قلت : لا ، إذن ، تغني يا رسول الله ؛ قال : فبدرهمين ؛ قال : قلت : لا . قال : فلم يزل يرفع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمنه حتى بلغ الأوقية . قال : فقلت : أفقدر ضييت يا رسول الله ؟ قال : نعم ؛ قلت : فهو لك ؛ قال : قد أخذته قال : ثم قال : يا جابر ، هل تزوجت بعد ؟ قال : قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أئيبا أم بكرا ؟ قال : قلت : لا ، بل ثوبا ، قال : أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك ؛ قال : قلت : يا رسول الله ، إن أبى أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعا ، فتكحت امرأة جامعة ، تجمع رهوسهن ، وتقوم حلين ؛ قال : أصبت إن شاء الله ، أما إننا لقد جئنا صرارا^(٢) أمرنا بمحزور فنحرت ، وأقنا عليها يومنا ذاك ، وسمعت بنا ، فنفضت ثمارها^(٣) . قال : قلت : والله يا رسول الله مالنا من ثمارك ؛ قال : إنها ستكون ، فإذا أنت قدمت فاعمل عملا كيسا . قال : فلما جئنا صرارا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم محزور فنحرت ، وأقنا عليها ذلك اليوم ؛ فلما مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ودخلنا ؛ قال : لحدثت المرأة الحديث ، وما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قالت : فدوئك ، فسمع وطاعة . قال : فلما أصبحت أخذت برأس الجمل ، فأقبلت به حتى أنعمته على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : ثم جلست في المسجد قريبا منه ؛ قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى الجمل ؛ فقال : ما هذا ؛ قالوا : يا رسول الله هذا جمل جاء به جابر ؛ قال : فأين جابر ؟ قال : فدعيت له ؛ قال : فقال : يان أخى خذ برأس جملك ، فهو لك ، ودعا بلالا ، فقال له : اذهب بجابر ، فأعطه أوقية . قال : فذهبت معه فأعطاني أوقية ، وزادني شيئا يسيرا . قال : فوالله ما زال ينمي عندي ، ويُرَى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيها أصيب لنا يعني يوم الحرة^(٤) .

(١) يواحق : يسابق .

(٢) صرار : موضع قريب من المدينة . (٣) الثمار كل ما يجلس عليه من الحشايا وغيرها .

(٤) يعني : وقعة الحرة التي كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يدى مسلم بن عقبة المري الذى يسميه أهل المدينة مسرف بن عقبة ، وكان - فيها - أن أهل المدينة خلغوا يزيد بن معاوية =

قال ابن إسحاق : وحدثني عمي صدقة^(١) بن يسار ، عن عتبة بن جابر ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع من نخل ، فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين ؛ فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا ، أتى زوجها وكان غائبا ، فلما أخبر الخبر حاف لا يفتن حتى يهريق في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فخرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا ، فقال : ممن رجل يكاؤنا ليلنا هذه ؟ قال : فأتدب رجل من المهاجرين ، ورجل آخر من الأنصار ، فقالا : نحن يا رسول الله ، قال : فكونا بقم الشعب . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادي ، وهما عمار بن ياسر وعباد بن بشر فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فلما أخرج الرجلان إلى قم الشعب ، قال الأنصاري للمهاجري أي الليل تحب أن أكفيك : أوله أم آخره ؟ قال : بل أكفي أوله ، قال : فاضطجع المهاجري فنام ،

= وأخرجوا مروان بن الحكم وبنى أمية ، وأمسروا عليهم عبد الله بن حنظلة الفسيل الذي غسلت أباه الملائكة يوم أحد ، ولم يوافق على الخلع أحد من أكابر الصحابة الذين كانوا فيهم ، روى البخاري أن عبد الله بن عمر لما أرجف أهل المدينة يزيد دعا بينه ومواليه ، وقال لهم : إنا قد باعنا هذا الرجل على بيعة الله وبيعة رسوله ، وإنه والله لا يبلغني عن أحد متمك أنه خلع يدا من طاعته إلا كانت الفيل بيني وبينه ، ثم لزم بيته ، ولزم أبو سعيد الخدري بيته ، فدخل عليه في تلك الأيام التي انتهت المدينة فيها ، فقيل له : من أنت أيها الشيخ ؟ فقال : أنا أبو سعيد الخدري صاحب النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا له : سمعنا خبرك ، ولتعم ما فعلت حين كففت يدك ، ولزمت بيتك ، ولكن هات المال ، فقال قد أخذت الذين دخلوا قبلكم على ، وما عندي شيء ، فقالوا كذبت وتنفوا لحيتك ، وأخذوا ما وجدوا حتى صوف القرش ، وحتى أخذوا زوجين من حمام كان صبيانهم يلعبون بهما . وأما جابر بن عبد الله الذي كنا بمساق حديثه فخرج في ذلك اليوم يطوف في أزقة المدينة والبيوت تنهب ، وهو أعمى ، وهو يعثر في القتل ، ويقول تعس من أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقال له قاتل : ومن أخاف رسول الله فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أخاف المدينة ، فقد أخاف ما بين جنبي . فعملوا عليه ليقتلوه ، فأجاره منهم مروان ، وأدخله بيته ، وقتل في ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والأنصار ألف وسبعمائة ، وقتل من أخلط الناس عشرة آلاف .

(١) ليس عمه : وإنما هو لقب لقيه به احتراماً له .

وقام الانصارى يصلى ، قال : وآتى الرجل ، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيعة^(١) القوم . قال : فرمى بسهم ، فوضعه فيه ، قال : فنزعه ووضعه ، فثبت قائماً ، قال : ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه . قال : فنزعه فوضعه ، وثبت قائماً ، ثم عادله بالثالث ، فوضعه فيه ، قال : فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ، ثم أمب صاحبه فقال : اجلس فقد أثبت^(٢) ، قال : فوثب فلما رأها الرجل عرف أن قد نذرا به ، فهرب . قال : ولما رأى المهاجرى ما بالانصارى من الدماء ، قال : سيحان الله ! أفلا أهيبتنى أول مارماك ؟ قال : كنت فى سورة أقرؤها لم أحب أن أقطعها حتى أنفد^(٣)ها ، فلما تابع على الرمي ركعت فأذنتك ، وإيم الله ، لولا أن أضيع نغرا أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها أو أنفد^(٣)ها .

قال ابن هشام : ويقال : أنفد^(٣)ها .

قال ابن إسحاق : ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة الرقاع ، أقام بها بقية مجادى الأولى وجمادى الآخرة ورجبا .

غزوة بدر الآخرة

فى شعبان سنة أربع

قال ابن إسحاق : ثم خرج فى شعبان إلى بدر ، لميعاد أبى سفيان ، حتى نزل .

قال ابن هشام واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول الانصارى .

قال ابن إسحاق : فأقام عليه ثمانى ليال ينتظر أباسفيان ، وخرج أبوسفيان فى أهل مكة حتى نزل بجنة ، من ناحية الظهران ، وبعض الناس يقول : قد بلغ عسفان ، ثم بداه فى الرجوع ، فقال : يامعشر قريش ، إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، وإن عامكم هذا عام جدد ، وإنى راجع ، فارجعوا ، فرجع الناس . فساهم أهل مكة جيش السويق ، يقولون إنما خرجتم تشربون السويق .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أباسفيان لميعاده ، فأناه غشى بن عمرو الضمرى ، وهو الذى كان وادعه على بنى ضمرة فى غزوة ودان ، فقال : يا محمد ، أجتت اللقاء

(١) الربيعة : من يحرس القوم . (٢) أثبت : جرحته جراحة بالغة .

(٣) أنفد^(٣)ها : أتم قرامتها .

قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم ، يا أخا بني ضمرة ، وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك ، ثم جالدهناك حتى يحكم الله بيننا وبينك ، قال : لا والله يا محمد ، ما لنا بذلك منك من حاجة .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أباسفيان فربى معبد بن أبي معبد الخزاعي ، فقال ، وقد رأى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاقته تهوى به (١) :

قد نفرت من رفقتي محمد وعجوة من يثرب كالمتجد (٢)
تهوى على دين أبيها الأتلد قد جعلت ماء قديد موعدي (٣)
وماء ضجنان لها ضحى الغد (٤)

وقال عبد الله بن رواحة في ذلك — قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب ابن مالك :

وعدنا أباسفيان بدرأ فلم نجد
فأقسم لو وأفيتنا فلقيتنا
تركنا به أوصال عبة وابته
عصيم رسول الله أف لدينكم
فأني وإن عنفتوني لقائل
أطعناه لم نعدله فينا بغيره
ليعاده صدقا وما كان واقيا
لأبت ذميا وانتقدت المواليا
وعمرأ أبا جهل تركناه ثاويا
وأمركم السيء الذي كان غاويا
فدى لرسول الله أهلي وماليا
شبابا لنا في ظلة الليل هاديا

وقال حسان بن ثابت في ذلك :

دعوا فليجات السأم قد حال دونها
جلاد كأفواه الخناض الأوارك (٥)

(١) تهوى به : تسرع به . (٢) المتجد : الزبيب .

(٣) الدين هنا : العادة ، الأتلد : القديم . ماء قديد : ماء قريب من مكة .

(٤) ضجنان : مكان قريب من مكة .

(٥) فليجات : جمع فليج ، وهذا الماء الجاري ، سمي فليجا ؛ لأنه قد سجد في الأرض ، وفرق بين جانبيه مأخوذ من فليج الأسنان ، أو من الفليج وهو القسم ، والفليج مكيال يقسم به ، والفليج والفليج بعير ذو سنامين ، وهو من هذا الأصل ، ورواه أبو حنيفة الدينوري بالحاء وقال : الفليجة للزرعة . والخناض : الإبل الحوامل . والأوارك : التي ترعى الأراك وهو شجر تؤخذ منه المساويك .

بأيدي رجال هاجروا نحو برهم
إذا سلبكت القور من بطن عالج
أقنا على الرس النزوع ثمانيا
بكل كُسميت جوزه نصف خلقه
تري العرفج العامي تدرى أصوله
فإن تلق في تطواننا والتماسنا
وإن تلق قيس بن امرئ القيس بعده
فأبلغ أبا سفيان عن رسالة

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب . فقال :

أحسان إنا بآبن آكلة الفغا
خرجنا وما تنجو اليعافير بيتنا
إذا ما ابتعثنا من مناخ حسبه
أقت على الرس النزوع تريدنا
على الزرع تمشي خيلنا وركابنا

- (١) القور : ما انخفض من الأرض . وعالج : مكان كثير الرمل .
(٢) الرس : البئر . النزوع : سهلة الماء . الأرعن : الجيش الجرار .
(٣) الكسيت القرس : لونهما بين الأحمر والأسود يطلق على الذكر والمؤنث . وحوزه : وسطه . قب : جمع أقب وهو الضامر . والحوارك أعلى القرس من ناحية الكتفين .
(٤) العرفج : نبات . والعامي : الذي بلغ العام : الناسم أخفاف البعير : الروالك : السرعة .
(٥) الفغا : التمر . نقتال : تقطع : الخروق : الصحراوات الواسعة .
(٦) اليعافير : أولاد الظباء . وألت : اعتصمت . اشدادادارك : الجرى المتتابع : والمعنى أنهم ملثوا السهل والجبل لكثرتهم فليس هناك مكان تهرب إليه اليعافير .
(٧) المدمن : ما تركه الركب وتركوا فيه آثارهم . والموسم : المكان الذي تجتمع فيه العرب : المتعارك : الذي يزدحم فيه القوم .
(٨) الرس النزوع : البئر السهلة الماء . المدارك : الأماكن . كن القرية .
(٩) الدكادك : الرمال اللينة .

أقننا ثلاثاً بين سلع وفارع
حسبتم جلاد القوم عند قباهم
فلا تبعث الخيل الجياد وقل لها
سعدتم بها وغيركم كان أهلها
فإنك لا في هجرة إن ذكرتها
ولا حرمت الدين أنت بتاسك

قال ابن هشام : بقيت منها أبيات تركناها ، لقبج اختلاف قوافيها . وأنشدني أبو زيد الأنصاري هذا البيت :

خرجنا وما تتجو العافير ينتنا

والبيت الذي بعده لحسان بن ثابت في قوله :

دعوا فلجات الشام قد حال دونها

وأنشدني له فيها بيته « فأبلغ أبا سفيان » .

غزوة دومة الجندل^(١)

في شهر ربيع الأول سنة خمس

قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فأقام من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها أشهراً حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهي سنة أربع ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندل .

قال ابن هشام : في شهر ربيع الأول ، واستعمل على المدينة سباع بن عرفة الغفاري .

قال ابن إسحاق : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل إليها ، ولم يلق كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سنته .

(١) سلع وفارع : جبلان . الرواتك : السرعة .

(٢) العين : الدر . الآنك : القزدير . (٣) المعصم : التماسك .

(٤) دومة الجندل بينها وبين المدينة خمس عشر ليلة وسميت بدومي بن إسماعيل عليه السلام لأنه نزلها .

غزوة الخندق (١)

في شوال سنة خمس

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق الملقب ، قال : ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس .

اليهود تعزب الأحزاب : لحدثني يزيد بن رومان مولى آل الزبير بن عروة بن الزبير ، ومن لا أنهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، ومحمد بن كعب القرظي ، والزهرى ، وعاصم ابن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد اجتمع حديثه في الحديث عن الخندق ، وبعضهم يحدث ما لا يحدث به بعض قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود ، منهم : سلام بن أبي الحقيق النضري (٢) ، وحجي بن أحطب النضري ، وكنانة بن أبي الحقيق النضري ، وهوذة بن قيس الوائلي ، وأبو عمار الوائلي ، في نفر من بني النضير ، ونفر من بني وائل ، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قدموا على قريش مكة ، فدعواهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إننا نكون معكم عليه ، حتى ننتأصله - فقالت لهم قريش : يامعشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم : ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت (٣) ، ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ،

(١) وحفر الخندق لم يكن من عادة العرب ، ولكنه من مكاييد الفرس وحروبها ، ولذلك أشار به سلمان الفارسي ، وأول من خندق الخنادق من ملوك الفرس فيما ذكر الطبري منو شهر ابن أبرج بن أفريدون وقد قيل في أفريدون : إنه ابن إسحاق عليه السلام ، وأكثرهم يقول فيه : هو ابن ألقيان ، وهو أول من اتخذ آلِه الرمي ، وإلى رأس ستين من ملكه بعث موسى عليه السلام ، والكماتان في الحروب ، أول من فعلها يختصر في قول الطبري .

(٢) ونسب ابن أبي الحقيق وما بعده إلى بني النضير فقال فيهم النضري ، وقياسه : النضري إلا أن يكون من باب قولهم ثقي وقريشي ، وهو خارج عن القياس ، وإنما يقال : فعل في النسب إلى فعلة .

(٣) الجبت : الصم المعبود . الطاغوت : الساحر . الكاهن . الشيطان . أو كل ما عبد من دون الله .

أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً : . . . إلى قوله تعالى : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » : أى النبوة ، « فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً ، فمنهم من آمن به ، ومنهم من صد عنه ، وكفى بجهنم سعيراً » .

قال : فلما قالوا ذلك لقريش ، سرهم ونشطوا لما دعواهم إليه ، من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له . ثم خرج أولئك نفر من يهود ، حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان ، فدعواهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريش قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم فيه .

خروج الأحزاب : قال ابن إسحاق : فخرجت قريش ، وقائدها أبو سفيان بن حرب : وخرجت غطفان ، وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر^(١) ، في بنى فزارة : والحارث بن عوف بن حارثة المري ، في بنى مرة : ومسر بن ربيعة بن نويرة بن طريف بن سحمة ابن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان ، فيمن تابعه من قومه من أشجع .

حضر الخندق : فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أجمعوا له من الأمر ، هرب الخندق على المدينة ، فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيباً للمسلمين في الأجر ، وعمل معه المسلمون فيه ، فدأب فيه ودأبوا . وأبطلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين في علمهم ذلك رجال من المنافقين ، وجعلوا يورون بالضعيف من العمل ويسلّلون إلى أهلهم بغير علم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا إذن . وجعل الرجل من المسلمين إذا نابه التابعة ، من الحاجة التي لا بد له منها ، يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستأذنه في الحق بحاجته ، فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله ، رغبة في الخير ، واحتساباً له .

ما نزل من القرآن في حق العامة في الخندق : فأنزل الله تعالى في أولئك من المؤمنين : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى

(١) واسم عيينة حذيفة ، وسمى : عيينة لشر كان بعينه وهو الذى قال فيه عليه السلام الاحق المطاع ، لانه كان من الجرارين ، تبعه عشرة آلاف قناة ، وهو الذى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : إن شر الناس من ودعه الناس انقاء شره ، وفي رواية أخرى : أنه قال : إني أداريه ، لأنني أخشى أن يفسد على خلقاً كثيراً ، وفي هذا بيان معنى الشر الذى اتفق منه ، وكان دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بغير إذن فلما قال له : أين الإذن ؟ قال : ما استأذنت على مضرى قبلك .

يستأذنه ، إن الدين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم ، واستغفر لهم الله ، إن الله غفور رحيم . فزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة في الخير ، والطاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال تعالى ، يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ، ويذهبون بغير إذن من النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تجعلوا دغاة الرسول بينكم كدغاة بعضكم بعضا » ، قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب أليم . قال ابن هشام : اللواذ : الاستتار بالشئ عند الهرب ، قال حسان بن ثابت :

وقريش تفر منا لواذاً أن يقيموا وخفت منها الحلو
وهذا البيت في قصيدة له ، قد ذكرت في أشعار يوم أحد .
« ألا إن الله مافى السموات والأرض قد يعلم ما أتم عليه » .
قال ابن إسحاق : من صدق أو كذب .

« ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا ، والله بكل شئ عليم » .

المسلمون يرتجزون وهم يعملون : قال ابن إسحاق : وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين ، يقال له مجعيل ، سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمرأ ، فقالوا :

سماه من بعد جميل عمرأ وكان للبائس يوماً ظهراً
فإذا مروا بد عمرأ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمرأ ، وإذا مروا بد ظهراً ،
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ظهراً (١) .

معجزات ظهرت في حفر الخندق : قال ابن إسحاق : وكان في حفر الخندق أحاديث بلغت ، فيها من الله تعالى عبرة في تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحقيق نبوته ، عين ذلك المسلمون .

فكان مما بلغني أن جابر بن عبد كان يحدث : أنه اشتدت عليهم في بعض الخندق كسدية ، فشكروها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بإناء من ماء ، ففعل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكسدية ؛ فيقول من حضرها : فوالذى بمش بالحق نيا ، لانها لحتى عادت كالكتيب لا ترد فأساً ولا مسحاة .

(١) أى يقول معهم آخر صدر البيت وآخر عجزه فقط فإنه صلى الله عليه وسلم لم يقل شعراً مطلقاً وإن كان يسمعه ويستجيده يقول الله تعالى « وما علنناه الشعر وما ينبغي له » .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن مينا أنه حدث : أن ابنة لبشير بن سعد ، أخت النعمان ابن بشير ، قالت : دعيت أمي عمرّة بنت ربيعة ، فأعطتني خفّة من تمر في ثوبي ، ثم قالت : أي بنية ، اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن ربيعة بغدائهما ، قالت : فأخذتها ، فانطلقت بها ، فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتبس أبي وخالي ؛ فقال : تعالي يا بنية ، ما هذا معك ؟ قالت : فقلت : يا رسول الله ، هذا تمر ، بعثني به أمي إلى أبي بشير بن سعد ، وخالي عبد الله بن ربيعة يتغديانه ؛ قال : هايتي ؛ قالت : فصبيتني في كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ملأتهما ، ثم أمر بثوب فبسط له ثم دحا بالتمر عليه ، فتبدد فوق الثوب ، ثم قال للإنسان عنده : اصرخ في أهل الخندق : أن هلم إلى اللغداء . فاجتمع الخندق عليه ، لجعلوا يأكلون منه ، وجعل يريد ، حتى صدر أهل الخندق عنه ، وإنه ليسقط من أطراف الثوب .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن مينا ، عن جابر بن عبد الله ، قال : علمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق ، فكانت عندي شوية ، غير جد سميّة . قال فقلت : والله لو صنعتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : فأمرت امرأتني ، فطحنّت لنا شيئا من شعير ، فصنعت لنا منه خبزاً ، وذبحت تلك الشاة ، فشويناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فلما أمسينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق — قال : وكنا نعمل فيه نهارنا ، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا — قال : قلت : يا رسول الله ، إني قد صنعت لك شوية كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئا من خبز هذا الشعير ، فأحب أن تنصرف معي إلى منزلي ، وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده . قال : فلما أن قلت له ذلك ؛ قال : نعم ، ثم أمر صارخا فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر بن عبد الله ؛ قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ؛ قال : فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل الناس معه ؛ قال لجلس وأخرجناها إليه . قال : فبرك وسمى الله ، ثم أكل ، وتواردها الناس ، كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهل الخندق عنها ،

قال ابن إسحاق : وحدثت عن سليمان الفارسي ، أنه قال : ضربت في ناحية من الخندق ، فغلظت على صخرة ؛ ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب مني ؛ فلما رأيته أضرب ورأى شدة المكان عليّ ، نزل فأخذ المعول من يدي ، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ؛ قال : ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلمعت تحته برقة أخرى . قال : ثم ضرب به الثالثة ، فلمعت تحته برقة أخرى . قال : قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : أوقد رأيت ذلك يا سليمان ؟ قال : قلت نعم ؛ قال : أما الأولى فإن الله فتح على بها اليمن ؛ وأما الثانية فإن الله فتح على بها الشام والمغرب ؛ وأما الثالثة فإن الله فتح على بها المشرق .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول - حين فتحت هذه الأمصار في زمان عمرو زمان عثمان وما بعده - افتتحوا ما بدا لكم ، فوالذي نفس أبي هريرة بيده ، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله سبحانه محمداً صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك .

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسبال من رومة ، بين الجرف وزغابة^(١) في عشرة آلاف من أحابشهم ، ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بدّنب نغمي ، إلى جانب أحد . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع^(٢) ، في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فغضب هنالك عسكره ، والخندق بينه وبين القوم .

قال : ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : وأمر بالذراري والنساء فجعلوا في الآطام^(٣) .

حيي بن أخطب يحرض كعب بن أمية : قال وخرج عدو الله حيي بن أخطب النضري ، حتى أتى كعب بن أسد القرظي ، صاحب عقد بني قريظة وعهدهم ، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه ، وعاقده على ذلك وعاهده ؛ فلما سمع كعب يحيي بن أخطب أغلق دونه باب حصنه ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتحه له ، فناداه حيي : ويحك يا كعب افتح لي : قال : ويحك يا حيي ، إنك امرؤ مشؤم ، وإني قد عاهدت محمداً ، فلست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا : قال ويحك افتح لي أكلملك : قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن

(١) زغابة اسم موضع بالغين المنقوطة والزاي المفتوحة ، وذكره البكري بهذا اللفظ بعد أن قدم القول بأنه زغابة بضم الزاي والعين المهملة ، وحكى عن الطبري أنه قال في هذا الحديث بين الجرف والغابة ، واختار هذه الرواية وقال : لأن زغابة لا تعرف قال : السهيلي في الروض الأنف والأعراف عندى في هذه الرواية رواية من قال : زغابة بالغين المنقوطة ، لأن في الحديث المستدعته عليه السلام ، قال في ناقة أهدأ ما إليه أعرابي ، فكافأه بست بكرات ، فلم يرض ، فقال عليه السلام : ألا تعجبون لهذا الأعرابي ! أهدى إلى ناقة أعرفاً بعينها ، كما أعراف بعض أهلي ذهبت مني يوم زغابة ، وقد كافأته بست فسخط . الحديث .

(٢) سلع : جبل بالمدينة . (٣) الآطام : الحصون .

أغلقت دوني إلا عن حديثك (١) أن آكل منك منها ؛ فأخفظ (٢) الرجل ، ففتح له ؛ فقال :
ويحك يا كعب ، جئتكم بعر الدهر وببعر طام ، جئتكم بقرش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم
بجميع الأسياك من رومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذهب قمص
إلى جانب أحد ، قد عاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نساصل محمداً ومن معه ؛ قال : فقال له
كعب : جئتني والله بذل الدهر ، وبجهام (٣) قد هراق ماءه ، فهو يرعد ويرق ، ليس فيه
شيء ، ويحك يا حيي : فدعني وبأنا عليه ، فإنني لم أر من عهد إلا صدقا ووفاء . فلم يزل حتى
بكعب يقتله في الذروة والغارب (٤) حتى سمح له ، على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً :
لئن رجعت قرش وغطفان ، ولم يصيدوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني
ما أصابك . فنقض كعب بن أسد عهده ، وبرى بما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر وإلى المسلمين ، بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم سعد بن معاذ بن النعمان ، وهو يومئذ سيد الأوس ، وسعد بن عباد بن دليم ، أحد بني
ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة ، أخو بني
الحارث بن الخزرج ، وخوات بن جبير ، أخو بني عمرو بن عوف ، فقال : انطلقوا حتى
تنظروا ، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقاً فالحنوا إلى لحنا أعرفه ، ولا تفتوا
في أعضاء الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجبروا به للناس . قال : فخرجوا حتى
أتوهم ، فوجدوهم على أخيت ما بلغهم عنهم ، فيما نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وقالوا : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد . فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ،
وكان رجلاً فيه حدة ؛ فقال له سعد بن عباد : دع عنك مشاتمهم ، فإي بيننا وبينهم أربي من

(١) الجشيشة : طعام يصنع من البر المطحون خشنا .

(٢) أحفظ : أغضب . (٣) الجهام : السحاب لأماء فيه .

(٤) هذا مثل ، وأصله في البعير ، يستصعب على سائقه فيأخذ القراد من ذروته وغارب سنامه ،
ويقتل هناك ، فيجد البعير لذة فيأنس عند ذلك ، فضرب هذا الكلام مثلاً في المرافضة والمخاتلة ،
قال الخطيبه :

لعمرك ما قراد بني بغيض إذا نزع القراد بمسطاع
يريد : أنهم لا يخذعون ولا يستدلون .

المشائمة . ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلموا عليه ، ثم قالوا : عضل والقارة ، أى كعذر عضل والقارة بأصحاب الرجيع ، خيب وأصحابه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين .

قال وعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كل ظن ، ونجم النفاق من بعض المنافقين ، حتى قال معتب بن قشير ، أخو بني عروة بن عوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدثنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط .

لم يكن معتب منافقا : قال ابن هشام : وأخبرني من أثق به من أهل العلم : أن معتب بن قشير لم يكن من المنافقين ، واحتج بأنه كان من أهل بدر .

قال ابن إسحاق : وحتى قال أوس بن قيطى ، أحد بني حارثة بن الحارث : يا رسول الله ، إن بيوتنا عورة من العدو ، وذلك عن ملأ من رجال قومه ، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا ، فإنها خارج من المدينة . فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام عليه المشركون بضعا وعشرين ليلة ، قريبا من شهر ، لم تكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبيل والحصار . قال ابن هشام ويقال الرمشيا .

محاولة الصلح مع غطفان : فلما اشتد على الناس البلاء ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم ، عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى ، إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، وإلى الحارث بن عوف بن أبى حارثة المري ، وهما قائدا غطفان ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه . فخرى بينه وبينهما الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح ، إلا المروضة في ذلك . فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ، بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد ، فذكر لهما ، واستشارهما فيه ؛ فقالا له : يا رسول الله ، أمرآ نجبه فنضنعه ، أم شيئا أمرك الله به ، لا بد لنا من العمل به ، أم شيئا تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأتقن رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم^(١) من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما ؛ فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ، قد كنا

(١) كالبوكم : غالبكم .

نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرنه، وهم لا يطعمون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعا، ألحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا والله مالنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيوف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال : ليجهدوا علينا .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون، وعدوهم محاصروهم، ولم يكن بينهم قتال، إلا أن فوارس من قريش، منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس، أخو بني عامر بن لؤى .

— قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن عبد بن أبي قيس —

قال ابن إسحاق : وعكرمة بن أبي جهل، وهيرة بن أبي وهب المخزوميان . وضرار بن الخطاب الشاعر ابن مرداس، أخو بني محارب بن فهر، تلبسوا للقتال، ثم خرجوا على خيلهم، حتى مروا بمنزل بني كنانة، فقالوا : تهبوا يا بني كنانة للحرب، فستعلون من الفرسان اليوم . ثم أقبلوا تعنى^(١) بهم خيلهم، حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها .

سليمان يشير إلى خضر الخندق : قال ابن هشام : يقال : إن سليمان الفارسي أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحدثني بعض أهل العلم : أن المهاجرين يوم الخندق قالوا : سليمان منا ؛ وقالت الأنصار : سليمان منا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سليمان منا أهل البيت .

على يقتل عمرو بن عبد ود : قال ابن إسحاق : ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وطلع، وخرج على بن أبي طالب عليه السلام في نفر معه من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنى نحوهم، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، فلم يشهد يوم أحد، فلما كان يوم الخندق خرج معلبا^(٢) ليُرى مكانه . فلما وقف هو وخيله، قال : من يبارز؟ فبرز له على بن أبي طالب فقال له : يا عمرو، إنك قد كنت طاهدت الله ألا يدعوك رجل من

(١) تعنى : تسرع .

(٢) معلبا : له علامة يعرف بها .

قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه ، قال له : أجل ؛ قال له علي : فإنني أدعوك إلى الله وإلى رسوله ، وإلى الإسلام ؛ قال : لا حاجة لي بذلك ؛ قال فإنني أدعوك إلى النزال ؛ فقال له : لم يابن أخى ؟ فوالله ما أحب أن أقتلك ، قال له علي : لكنني والله أحب أن أقتلك ؛ لحمي عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه ، فمقره ، وضرب وجهه ، ثم أقبل على علي ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله على رضى الله عنه وخرجت خيلهم منهزمة ، حتى اقتحمت من الخندق هاربة .

قال ابن إسحاق : وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرت رب محمد بصوابي ^(١)
فصدهت حين تركته متجدلا كالجدع بين دكادك وروابي ^(٢)
وعففت عن أثوابه ولو أنني كنت المقطر بـزني أثوابي ^(٣)
لا تحسبن الله خاذل دينه ونبيه يا معشر الأحزاب

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلي بن أبي طالب .

هجاء حسان (المكرمة) : قال ابن إسحاق : وألقى عكرمة بن أبي جهل رجه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ؛ فقال حسان بن ثابت في ذلك :

فر وألقى لنا رجه لعلك عكرم لم تفعل
ووليت تمدو كعدو الظليم ما إن تجور عن العدل ^(١)
ولم تلق ظهرك مستأنسا كأن قفاك قفا فرعل

قال ابن هشام : الفرعل : صغير الضباع ، وهذه الآيات له .

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وبني قريظة : حم لا ينصرون .

استشهد سعد بن معاذ : قال ابن إسحاق : وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن ابن سهل الأنصاري ، أخو بني حارثة : أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن ؛ فقالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب : فمر سعد وعليه درع له مقاصة ^(٥) ، قد

(١) الحجارة : الأنصاب التي كانت تعبدها قريش . (٢) الدكادك : الرمال اللينة .

(٣) المقطر : الذي وقع على قطره وهو جنبه . وبزني : سلبني .

(٤) الظليم : ولد النعام . (٥) مقاصة : قصيرة قد ارتفعت عن حدها .

خرجت منها ذراعه كلها ، وفي يده حربة يرذل بها ويقول :

لَبِثْتُ قَلِيلًا ۖ يَشْهَدُ الْهَيْجَا جَل ۖ لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ (١)

قال فقالت له أمه : الحق : أى ابنى ، فقد والله أخبرت ؛ قالت عائشة : فقلت لها : يا أم سعد ، والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ بما هى ؛ قالت : وخفت عليه حيث أصاب السهم منه ، فزرى سعد بن معاذ بسهم ، فقطع منه الأكحل (٢) ، رماه كما حدثنى عاصم بن عمر ابن قتادة ، حبان بن قيس بن العريقة ، أحد بنى عامر بن أوى ، فلما أصابه ، قال : خذها منى وأنا ابن العريقة ؛ فقال له سعد : عرق الله وجهك في النار ، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها ، فإنه لا قوم أحب إلى أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعل لي شهادته ، ولا تمتني حتى تفر عيني من بنى قريظة .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول : ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أمامة الجهمي ، حليف بنى مخزوم .

وقد قال أبو أسامة في ذلك شعراً لعكرمة بن أبي جهل :

أعكرم هلاً ۖ لئن إذ تقول لي	فذاك بأطام المدينة خالد (٣)
ألسن الذي ألومت سعداً مرشّة	لها بين أثناء المرافق عائد (٤)
قضى نجه منها سعيد فأعولت	عليه الشمط والمذارى النواهد
وأنت الذي دافعت عنه وقد دعاً	عبيدة جمعا منهم إذ يكابد
على حين ما هم جائر عن طريقه	وآخر مرعوب عن القصد قاصد

قال ابن هشام : ويقال : إن الذي رى سعداً خفاجة بن عاصم بن حبان .

حديث حسان في وقعة الخندق : قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير ، عن أبيه عباد قال : كانت صفية بنت عبد المطلب في فارح ، حصن حسان بن ثابت

(١) جل : اسم رجل . (٢) الأكحل : عرق في وسط الذراع .

(٣) الآطام : الحصون .

(٤) مرشّة : يريد طعنه مرشّة ؛ أى فجرت منه رشاش الدم . والعائد : العرق الذي

لا يتقطع دمه .

قالت : وكان حسان بن ثابت معنا فيه ، منع النساء والصبيان . قالت صفية : فربنا رجل من يهود ، فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة ، وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحر عدوهم ، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت . قالت : فقلت : يا حسان ، إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن ، وإنى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، نازل إليه فاقتله ؛ قال : يغفر الله لك يا بنة عبد المطلب ، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا . قالت : فلما قال لي ذلك ، ولم أر عنده شيئا ، احتجرت^(١) ثم أخذت عمودا ، ثم نزلت من الحصن إليه فضرته بالعود حتى قتله . قالت : فلما فرغت منه ، رجعت إلى الحصن ، فقلت : يا حسان ، انزل إليه فاسلبه ، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل ، قال : مالى بسلبه من حاجة يا بنة عبد المطلب^(٢) .

عندما أعزهم الله من آلهم : قال ابن إسحاق : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيما وصف الله من الخوف والشدة ، لتظاهر عدوهم عليهم ، ولاتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم .

قال : ثم إن نعيم بن مسعود عامر بن أبي بن أمية بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث ابن غطفان ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني قد أسلمت ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فمرني بما شئت ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة . ففرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة ، وكان لهم نديما في الجاهلية ، فقال : يا بنى قريظة ، قد عرفتم ودى إياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم ؛ فقال لهم إن قريشا وغطفان ليسوا كأتم ، والبلد بلكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقدر على أن تحوّلوا منه إلى غيره ، وإن قريشا

(١) احتجرت* : شدت وسطها .

(٢) يحمل هذا الحديث عند الناس على أن حسانا كان جباناً شديد الجبن ، وقد دفع هذا بعض العلماء ، وأنكره ، وذلك أنه حديث منقطع الإسناد ، ولو صح هذا لهجى به حسان ، فإنه كان يهاجى الشعراء كضرار وابن الزبير ، وغيرهما ، وكانوا ينافضونه ويردون عليه ، فإمارة أحد منهم بجبن ، ولا ونسبه به ، فبذل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق ، وإن صح فربما كان حسان معتلا في ذلك اليوم بعله منعه من شهود القتال ، وهذا أولى ما تأول .

وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهروهم عليه ، وبلدكم وأموالهم ونساؤهم
بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نهزة ^(١) أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادكم وخلوا
بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا
منهم رهنا من أشرافهم ، يكونوا بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تاجزوه ،
فقالوا : لقد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قريشا ، فقال لآبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد
عرفتم ودى لكم وفراق محمدا ، وإنه قد بلغنى أمر قد رأيت على حق أن أبلغكموه ، نصحا لكم
فاكتبوا عني ، فقالوا : نفعل : قال : تعبدوا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينكم
وبين محمد ، وقد أرسلوا إليّ : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القليلتين
من قريش وغطفان رجلا من أشرافهم فنعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من
بقي منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم : أن نعم . فإن بعثت إليكم يهود يلتبسون منكم رهنا
من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا .

ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال : يا معشر غطفان ، إنكم أصلى وعشيرتى ، وأحب الناس
إلى ، ولا أراكم تهمونى ؛ قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم : قال : فاكتموا عني ؛ قالوا :
نفعل ، فما أمرك ؟ ، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم .

ما أنزل الله بالمعشرين : فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، وكان من صنع الله
لرسوله صلى الله عليه وسلم أن أرسل أبوسفيان بن حرب ورموس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة
ابن أبي جهل ، في نفر من قريش وغطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنّا بدار مقام ، قد هلك الخلف
والخافر ^(٢) ، فاغدوا للقتال حتى تاجز محمدا ، ونفر غمّا بيننا وبينه ؛ فأرسلوا إليهم : إن اليوم
يوم السبت ، وهو يوم لا نفعل فيه شيئا ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا ، فأصابه مالم يخف
عليكم ، واستأنا مع ذلك بالذين تقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم ، يكونون بأيدينا
ثقة لنا حتى تاجز محمدا ، فإننا نخشى إن ضرستكم ^(٣) الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا ^(٤)
إلى بلادكم وتتركونا ، والرجل فى بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم الرسل بما
قالت بنو قريظة ، قالت قريش وغطفان : والله إن الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحق ، فأرسلوا

(٢) الخف : الإبل . والخافر : الخيل .

(١) النهزة : الفرصة .

(٤) تنشمرون : ترجعون .

(٣) ضرستكم : نالت منكم .

إلى بنى قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة، حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود الحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن رأوا فرصة اتهموها، وإن كان غير ذلك انشعروا إلى بلادهم. وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم، فأرسلوا إلى قريش وعطفان: إنا والله لا نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً فأبوا عليهم، وخذل الله بينهم، وبعث الله عليهم الريح في ليل شاتية باردة شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم، وتطرح أبنيتهم.

استخبار ما حل بالمشركين: قال فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم، وما فرق الله من جماعتهم، دعا حذيفة بن اليمان، فبعثه إليهم، لينظر ما فعل القوم ليلاً.

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، قال: قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله، أرايتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته؟ قال: نعم، يا بن أخي: قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد: قال: فقال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولخلفنا على أعقابنا. قال: فقال حذيفة: يا بن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحنديق، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هُوَيْبًا^(١) من الليل، ثم التفت إلينا فقال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع — يشترط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة — أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة؟ فقام رجل من القوم، من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد؛ فلما لم يقد أحد، دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني؛ فقال يا حذيفة اذهب فادخل مع القوم، فانظر ماذا يصنعون، ولا تخدش شيتاً حتى تأتينا. قال: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً. فقام أبو سفيان. فقال: يا معشر قريش: لينظر امرؤ من جلسه؟ قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ قال: فلان بن فلان.

أبو سفيان ينادى بالرحيل: ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف^(٢)، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقيتنا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء،

(١) هوياء من الليل: جزءاً منه.

(٢) الكراع: الخيل الخف: الإبل:

فارتحلوا فإني مرتحل ؛ ثم قام إلى جملة وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه ، فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن لا يحدث شيئا حتى تأتيني ، ، ثم شئت ، لقتلته بهم .
قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط^(١) لبعض نسائه ، مراجل .

قال ابن هشام : المراجل : ضرب من وثى الين .
فلما رأني أدخلني إلى رجليه ، وطرح على طرف المرط ، ثم ركع وسجد ، وإني لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت شظفان بما فعلت قریش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم .
الرجوع من الحندق : قال ابن إسحاق : ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الحندق راجعا إلى المدينة والمسلمين ، ووضعوا السلاح .

غزوة بني قريظة في سنة خمس

جبريل يأتي بحرب بني قريظة : فلما كانت الظهر ، أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني الزهري ، معتجرا^(٢) بعمامة من إسترى^(٣) ، على بغلة عليها رحالة^(٤) ، عليها قضاينة من ديباج ، فقال : أوقد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ؛ فقال جبريل : فما وضعت الملائكة السلاح بعد ، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة ، فإني عامد لإلهم فوزلهم بهم .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا ، فأذن في الناس ، من كان سامعا مطيعا ، فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة .

واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

(١) المرط : الكساء .
أو الحية .
(٢) الاعتجار : التعمم على الرأس فقط دون جوانب الوجه .
(٣) الإسترى : الديباج الغليظ الصفيق الحسن .
(٤) الرحالة : السرج .

قال يبلغ الرسول ماسمعه من بني قريظة : قال ابن إسحاق : وقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب برأيه إلى بني قريظة ، وابتدروا الناس . فسار على بن أبي طالب ، حتى إذا دنا من الحصون سمع منهم مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق ، فقال : يا رسول الله ، لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأسياف ؛ قال : لم ؟ أظنك سمعت منهم لى أذى ؟ قال : نعم يا رسول الله ؛ قال : لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً . فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم . قال : يا إخوان القردة ، هل أحزاكم الله وأنزل بكم نعمته ؟ قالوا : يا أبا القاسم ، ما كنت جهولاً .

جبريل في صورة دحية الكلبي : ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفر من أصحابه بالصوريين^(١) قبل أن يصل إلى بني قريظة ، فقال : هل مر بكم أحد ؟ قالوا : يا رسول الله ، قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبي ، على بغلة بيضاء عليها رحالة ، عليها قطيفة دياج . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك جبريل ، بُعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ، ويقذف الرعب في قلوبهم .

ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة : نزل على إثر من آبارها من ناحية أمواهم ، يقال لها بئر أنا .

قال ابن هشام : بئر أنى .

قال ابن إسحاق : وتلاحق به الناس ، فأتى رجال منهم من بعد العشاء الآخرة ، ولم يصلوا العصر ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يصلين أحد العصر إلا ببني قريظة ، فشغلهم ما لم يكن منه بد في حربهم ، وأبوا أن يصلوا ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : حتى تأتوا بني قريظة . فصلوا العصر بها ، بعد العشاء الآخرة ، فما عابهم الله بذلك في كتابه ، ولا غنمهم به^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم . حدثني بهذا الحديث أبي إسحاق بن يسار ، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري .

(١) الصوريين : موقع قريب من المدينة .

(٢) وفي هذا من الفقه أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث أو آية ، فقد صلت منهم طائفة قبل أن تغرب الشمس ، وقالوا : لم يرد النبي — صلى الله عليه وسلم — إخراج الصلاة =

الحصار : قال : وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة ، حتى جهدهم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب .

وقد كان حبي بن أخطب دخل مع بنى قريظة في حصنهم ، حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه .

كعب بن أسد ينصح قومه : فلما أيقنوا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم ، قال كعب بن أسد لهم : يا معشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإنى عارض عليكم خلا لا ثلاثا ، نخذوا أيها شتمتم : قالوا : وما هي ؟ قال : تابع هذا الرجل

= عن وقتها ، وإنما أراد الحث والإعجال فما عنف أحداً من الفريقين ، وفي هذا دليل على أن كل مختلفين في الفروع من المجتهدين مصيب ، وفي حكم داود وسليمان في الحرث أصل لهذا الأصل أيضاً ، فإنه قال سبحانه : دفعهنا ما سلبان ، وكلا آتينا حكماً وعلماً ، ولا يستحيل أن يكون الشيء صواباً في حق إنسان وخطأ في حق غيره ، فيكون من اجتهد في مسألة فأداه اجتهاده إلا التحليل مصيباً في استحلالة ؛ وآخر اجتهد فأداه اجتهاده ونظره إلى تحريمها ، مصيباً في تحريمها ، وإنما المحال أن يحكم في النازلة بحكمين متضادين في حق شخص واحد ، وإنما عسر فهم هذا الأصل على طائفتين : الظاهرية والمعتزلة أما الظاهرية فإنهم علقوا الأحكام بالنصوص ، فاستحال عندهم أن يكون النص يأتي بخطر ، وإباحة معاً لإلا على وجه التسخين . وأما المعتزلة ، فإنهم علقوا الأحكام بتقبيح العقل وتحسينه : فصار حسن الفعل عندهم أوجب له صفة عين ، واستحال عندهم أن يتصف فعل بالحسن في حق زيد والتقيح في حق عمرو ، كما يستحيل ذلك في الألوان والأشكال وغيرهما من الصفات النائية بالذوات ، وأما ما عدا هاتين الطائفتين من أرباب الحقائق ، فليس الحظر والإباحة عندهم بصفات أعيان ، وإنما هي صفات أحكام ، والحكم من الله تعالى يحكم بالحظر في النازلة على من أداه نظره واجتهاده إلى الحظر ، وكذلك الإباحة والندب والإيجاب والكراهة ، كلها صفات أحكام . فكل مجتهد وافق اجتهاده وجهاً من التأويل ، وكان عنده من أدوات الاجتهاد ما يترفع به عن حضيض التقليد إلى هضبة النظر ، فهو مصيب في اجتهاده مصيب في الحكم الذي تمسك به ، وإن تبعه غيره في تلك النازلة بعينها بخلاف ما تبعه هو به ؛ فلا يعد في ذلك إلا على من يعرف الحقائق أو عدل به الهوى عن أوضح الطرائق عن السهيلي من كتابه الروض الآنف .

ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه انبي مرسل ، وأنه للذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ؛ قالوا : لانفارق حكم التوراة أبدا ، ولا نستبدل به غيره ؛ قال : فإذا أبيتم على هذه ، فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصليين السيوف ، لم نترك وراءنا مثقلا ، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فان تهلك نهلك ، ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه ، وإن ظهر فلمعري لنجدن النساء والأبناء ؛ قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ! فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإن أبيتم على هذه ، فإن الليلة ليلة السبت ، ولأنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنونا فيها ، فانزلوا علينا نصيب من محمد وأصحابه غرة ؛ قالوا : نفسد سبتنا علينا ، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يحذف عليك من المسخ ؛ قال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما .

قصة أبي لبابة : قال : ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ابعت إلينا أبا لبابة (١) بن عبد المنذر ، أخا بني عمرو بن عوف ، وكانوا حلفاء الأوس ، للاستشير في أمرنا ، فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ؛ فلما رأوه قام إليه الرجال ، وجهش إليه النساء والصبيان ليكون في وجهه ، فرق لهم ، وقالوا له : يا أبا لبابة ! أترى أن نزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه ، إنه الذبح . قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدمي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمدته ، وقال : لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله علي بما صنعت ، وعاهد الله : أن لا أطأ بني قريظة أبدا ، ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبدا .

قال ابن هشام : وأنزل الله تعالى في أبي لبابة ، فيما قال سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل

(١) هو رفاع بن عبد المنذر بن زهير و قيل : اسمه مبشر ، وتاب و ربط نفسه حتى تاب الله عليه ، وذكر فيه أنه أقسم ألا يتعلم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه : أنزل الله تعالى : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا ، غير أن المفسرين اختلفوا في ذنبه ما كان ، فقال ابن إسحاق ما ذكره في السيرة من إشارته على بني قريظة ، وقال آخرون : كان من المخلفين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فنزل توبة الله عليه في هذه الآية .

ابن أبي خالد، عن عبد الله بن أبي قتادة : « يا أيها الذين آمنوا لا تحزنوا الله والرسول وتحزنوا
أما نأتكم وأتم تعلمون » .

قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره ، وكان قد استبطأه ، قال :
أما إنه لو جاءني لاستغفرت له ، فأما إذ قد فعل ما فعل ، فأنا بالذي أطلقه من مكانه حتى
يتوب الله عليه .

قال ابن إسحاق : لحدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط : أن توبة أبي لبابة نزلت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم من السحر ، وهو في بيت أم سلمة . فقالت أم سلمة : فسمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك . قالت : فقلت : مم تضحك يا رسول الله ؟ أضحك
الله منك ؟ قال : ريب على أبي لبابة ؟ قالت : قلت : أفلا أبشرك يا رسول الله ؟ قال : بلى ،
إن شئت . قال : فقامت على باب حجرتها ، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب ، فقالت :
يا أبا لبابة ، أبشر فقد تاب الله عليك . قالت : فثار الناس إليه ليطلقوه فقال : لا والله حتى
يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده ؛ فلما مر عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه .

قال ابن هشام : أقام أبو لبابة مرتبطا بالجدع ست ليال ، تأتبه امرأته في كل وقت صلاة ،
فتحلله للصلاة ، ثم يعود فيرتبط بالجدع ، فيما حدثني بعض أهل العلم ، والآية التي نزلت في توبته
قول الله عز وجل : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن
يتوب عليهم إن الله غفور رحيم » .

إسلام بعض بني هديل : قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بن سعية ، وأسيد بن سعية ، وأسد
ابن عبيد ، وهم نفر من بني سمدل ، ليسوا من بني قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك ، هم بنو
عم القوم ، أبيلوا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قصة عمرو بن سعدى : وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي ، فربح رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه محمد بن مسلمة تلك الليلة ؛ فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا
عمرو بن سعدى — وكان عمرو قد أتى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وقال : لا أغدر بمحمد أبدا — فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرموني
إقالة عثرات الكرام ، ثم خلى سبيله . فخرج على وجهه حتى أتى باب مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا ، ففكر

لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه ؛ فقال : ذاك رجل نجاه الله بوفائه . وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة^(١) فيمن أوثق من بني قريظة ، حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت رمته ملقاة ، ولا يُدري أين ذهب ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة ، والله أعلم أى ذلك كان .

أحكيهم سعد في أمر بني قريظة : قال فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، لأنهم موالي لنا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت — وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة قد حاصر بني قينقاع ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبد الله بن أبي ابن سلول ، فوجههم له — فلما كلمته الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فذاك إلى سعد بن معاذ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم ، يقال لها ربيعة^(٢) ، في مسجده ، كانت تداوى الجرحي ، وتعتصب بنفسها على خدمة من كانت به خديعة من المسلمين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالحنديق : اجعلوه في خيمة ربيعة حتى أعوده من قريب . فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة ، أتاه قومه لحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من آدم ، وكان رجلا جسيما جيلا ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن في مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم ؛ فلما أكثروا عليه قال : لقد أتى لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم . فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل ، فنعى لهم رجال بني قريظة ، قبل أن يصل إليهم سعد ، عن كلمته التي سمع منه . فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى سيدكم — فأما المهاجرون من قريش ، فيقولون : إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ؛ وأما الأنصار ، فيقولون : قد عم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم — فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك

(١) الرمة : الحبل البالي .

(٢) وقيل إنها أنصارية من أسلم .

أمر مواليك لتحكم فيهم ؛ فقال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، أن الحكم فيهم لما حكمت ؛ قالوا : نعم : وعلى من هاهنا ؟ في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لإجلاله له ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ؛ قال سعد : فإنني أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتقسّم الأموال ، وتسي الذراري والنساء .

قال ابن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة^(١) .

قال ابن هشام : حدثني بعض من أثق به من أهل العلم : أن علي بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة : يا كتيبة الإيمان ، وتقدم هو والزبير بن العوام ، وقال : والله لأذوقن مآذاق حزة أو لافتحن حصنهم ؛ فقالوا : يا محمد ، نزل على حكم سعد بن معاذ .

قال ابن إسحاق : ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في دار بنت الحارث^(٢) ، امرأة من بني النجار ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة ، التي هي سوقها اليوم ، فشدق بها خنابق ، ثم بعث إليهم ، فضرب أعناقهم في تلك الخنفاق ، يخرج بهم إليه أرسالا^(٣) ، وفيهم عدو الله حيي بن أخطب ، وكعب بن أسد ، رأس القوم ، وهم ستانة أو سبعانة ، والمكثر لهم يقول : كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة . وقد قالوا لكعب ان أسد ، وهم يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا : يا كعب ، ماتراه يصنع بنا ؟ قال : أفى كل موطن لا تعقلون ؟ ألا ترون الداعي لا ينزع ، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأتى يحيى بن أخطب عدو الله ، وعليه حلة له فقأ حية^(٤) — قال ابن هشام : فقأ حية :

(١) الأرقعة : السموات .

(٢) واسمها : كيسة بنت الحارث بن كرز بن حبيب بن عبد شمس ، وكانت تحت مسيلة الكذاب ، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كرز .

(٣) أرسالا : طائفة وراء أخرى .

(٤) فقأ حية : تضرب إلى لون الحرة .

ضرب من الوشى — قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة لثلاثين مائتها ، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل . فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أما والله ما ملت نفسي في عداوتك ، ولكنه من يخذل الله يخذل ، ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل ، ثم جلس فضربت عنقه .

فقال جبل بن جوال الثعلبي :

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يخذل
لجامد حتى أبلغ النفس عذرها وقلقل يعني العز كل مقلقل^(١)

قال ابن إسحاق : وقد حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة . قالت : ' والله إنها لعندي تحدث معي ، وتضحك ظهراً وبطناً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها في السوق ، إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قلت لها : ويلك ! مالك ؟ قالت : أقتل ! قلت : ولم ؟ قالت : لحديث أحدثته ؛ قالت : فانطلق بها ، فضرب عنقها . فكانت عائشة تقول فوالله ما أنسى عجباً منها ، طيب نفسها ، وكثرة ضحكها ، وقد عرفت أنها تقتل .

قال ابن هشام : وهي التي طرحت الرماح على جلال بن سويد ، فقتلته .

قصة الزبير بن باطا : قال ابن إسحاق : وقد كان ثابت بن قيس بن الشماس ، كما ذكر لي ابن شهاب الزهري ، أتى الزبير^(٢) بن باطا القرطبي ، وكان يكنى أبا عبد الرحمن — وكان الزبير قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية ذكر لي بعض ولد الزبير أنه كان من عليه يوم بعث ، أخذه بجز ناصيته ، ثم خلى سبيله — فجاءه ثابت وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هل تعرفني ؟ قال : وهل يحمل مثلي مثلك ؛ قال : إني قد أردت أن أجزيك يدك عندي ؛ قال : إن الكريم يحوز الكريم : ثم أتى ثابت بن قيس رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) قلقل : تحرك .

(٢) هو الزبير بفتح الزاي وكسر الباء جد الزبير بن عبد الرحمن المذكور في الموطن في كتاب النكاح ، واختلف في الزبير بن عبد الرحمن ، فقيل : الزبير بفتح الزاي وكسر الباء كاسم جده وقيل الزبير ، وهو قول البخاري في التاريخ .

فقال : يا رسول الله إنه قد كانت للزبير على منة ، وقد أحبت أن أجزيه بها ، فهب لي دمه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو لك ؛ فأتاه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك ، فهو لك ؛ قال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ قال : تأتي ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، هب لي امرأته وولده ؛ قال : هم لك . قال : فأتاه فقال : قد وهب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أملاك وولدك ، فهم لك ؛ قال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ تأتي ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقال : يا رسول الله ، ماله ؛ قال : هو لك . فأتاه ثابت فقال : قد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك ، فهو لك ؛ قال : أي ثابت ، ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية يترامى فيها عذارى الحى ، كعب بن أسد ؟ قال : قُتل ؛ قال : فما فعل سيد الحاضر والبادى حبي بن أخطب ؟ قال : قُتل ؛ قال : فما فعل مقدمتنا إذا شددنا ، وحاميتنا إذا فررنا ، عزال بن سمرأل ؟ قال : قُتل ؛ قال : فما فعل ابلسان ؟ يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة ؛ قال : ذهبتوا قُتلوا ؛ قال : ذاني أسألك يا ثابت يدي عندك إلا ألحقني بالقوم ، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير ، فإنا بصابر الله فتلة دلو ناضح " حتى ألقى اللاحبة . فقدمه ثابت ، فضرب عنقه .

فلما بلغ أبابكر الصديق قوله " ألقى اللاحبة " . قال : ولقاهم والله في نار جهنم خالدا فيها مخلدا . قال ابن هشام : قبله دلو ناضح . قال زهير بن أبي سلمى في " قبلة " :
وقابل يتغنى كلما قدّرت على العراق يداه قائما دنقا
وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن هشام : ويروى : وقابل يتلقى ، يعنى قابل الدلو يتناول .

عطية القرظى ورفاته بن سهوأل : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل كل من أنبت منهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني شعبة بن الحجاج ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عطية القرظى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يقتل من بنى قريظة كل من أنبت منهم ، وكنت غلاما ، فوجدوني لم أنبت ، غلوا سبيلي .

قال ابن إسحاق : وحدثني أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة أخو بني عدى ابن النجار : أن سلمى بنت قيس ، أم المنذر ، أخت سليط ابن أخت سليط بن قيس — وكانت

(١) الناضح : الحبل . والمعنى مقدرا ما أخذ الرجل الدلو ليصبها في الخوض .

إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد صلت معه التبتين ، وبايعته بيعة النساء —
سألته رفاة بن سمرأل القرظي ، وكان رجلاً قد بلغ ، فلاذ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك ، فقالت
يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، هب لي رفاة ، فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجبل ؛ قال :
قوهبه لها ، فاستحيته .

تقديم الثمن : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني
قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين ، وأعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال ،
وأخرج منها الخمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم ، للفارس سهمان ولفارسه سهم ، وللراجل من
إيس له فارس ، سهم . وكانت الخيل يوم بني قريظة ستة وثلاثين فرساً ، وكان أول في موقعة فيه
السهمان ، وأخرج منها الخمس ، فعلى سنتها وماضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقعت
المقاسم ، ومضت السنة في المغازي .

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الأتصاري أخا بني عبد الأشهل سبأيا
من سبأيا بني قريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً .

إسلام ريحانة : قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نساءهم
ريحانة بنت عمرو بن 'خثافة' ، إحدى نساء بني عمرو بن قريظة ، فكانت عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي في ملكه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض
عليها أن يتزوجها ، ويضرب عليها الحجاب ؛ فقالت : يا رسول الله ، بل تركني في ملكك ، فهو
أخف علي وعليك ، فتركها . وقد كانت حين سبأها قد تغصت بالإسلام ، وأبت إلا اليهودية ،
فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجد في نفسه لذلك من أمرها . فبينما هو مع أصحابه ،
إذ سمع وقع نملين خلفه ؛ فقال : إن هذا لعلبة بن سعية يئثرني بإسلام ريحانة ؛ فجاءه فقال
يا رسول الله ، قد أسلمت ريحانة ، فسر ذلك من أمرها .

ما نزل من القرآن في الخندق وبني قريظة : قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى في أمر
الخندق ، وأمر بني قريظة من القرآن ، القصة في الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البلاء ،
ونعمته عليهم ، وكفايته إياهم حين فرج ذلك عنهم ، بعد مقالة من قال من أهل التفاق : « يا أيها
الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ،
وكان الله بما تعملون بصيراً » . والجنود قریش و غطفان وبني قريظة ، وكانت الجنود التي أرسل
الله عليهم مع الريح الملائكة . يقول الله تعالى : « إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذا
زأغت الإبهار وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا » . فالذين جاءهم من فوقهم

بنو قريظة ، والذين جاءوهم من أسفل منهم قريش وعطفان . يقول الله تبارك وتعالى : « هتاك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ، وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ، لقول معتب بن قشير إذ يقول ما قال . » وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً ، لقول أوس بن قيسطى ومن كان على رأيه من قومه « ولو دخلت عليهم من أقطارها : أي المدينة .

قال ابن هشام : الأقطار : الجوانب ؛ وواحداهما : قطر ، وهي الأقطار ، وواحداهما : قطر . قال الفرزدق :

كم من غشنى قنح الإله لهم به والخيل مقعية على الأقطار^(١)
ويروى : « على الأقطار » . وهذا البيت في قصيدة له .

« ثم سئلوا الفتنة » : أي الرجوع إلى الشرك « لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً . ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار ، وكان عهد الله بمسئولاه ، فهم بنو حارثة ، وهم الذين هموا أن يفسلوا يوم أحد مع بنى سلة حين همتا بالفشل يوم أحد ، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبداً ، فذكر لهم الذى أعطوا من أنفسهم ، ثم قال تعالى : « قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل ، وإذا لا تتمعون إلا قليلاً . قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن راد بكم سوءاً ، أو أراد بكم رحمة ، ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً . قد يعلم الله المعوقين منكم » : أي أهل النفاق « والقائنين لإخوانهم فلم إلينا ، ولا يأتون البأس إلا قليلاً » : أي إلا دفعا وتعذيراً^(٢) « أشحة عليكم » : أي للضعف الذى فى أنفسهم « فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك ، تدور أعينهم كالذى يُغشى عليه من الموت » : أي إعظاماً له وفرقاً منه « فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد » : أي فى القول بما لا تحبون ، لأنهم لا يرجون آخرة ، ولا تحملهم حسبة^(٣) ، فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده .

قال ابن هشام : سلقوكم : بالغوا فيكم بالكلام ، فأحرقوكم وأذوكم . تقول العرب : خطيب

(١) مقعية : أي ساقطة على أجنابها تريد القيام .

(٢) التعذير : أن يفعل الشيء بغير نية وغرضه أن يُعذر أمام الناس .

(٣) الحسبة : طلب الأجر .

سلاق، وخطيب مسلوق ومسلوق . قال أعشى بن قيس بن ثعلبة :

فيهم المجد والسباحة والتجدة فيهم والخطاب السلاق

وهذا البيت في قصيدة له .

« يحسبون الأحزاب لم يذهبوا ، قرش وغطفان » وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم
بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا .

ثم أقبل على المؤمنين فقال : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله
واليوم الآخر » : أى لتلا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، ولا عن مكان هو به .

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يحثهم به ، فقال : « ولما
رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، وما زادهم
إلا إيمانا وتسليما » : أى صبرا على البلاء وتسليما للقضاء ، وتصديقا للحق ، لما كان الله تعالى
وعدهم ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ،
فهم من قضى نحبه » : أى فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد .

قال ابن هشام : قضى نحبه : مات ، والنحب : النفس ، فيما أخبرني أبو عبيدة وجمعه :
نحوب ، قال ذو الرمة :

عشية فر الحارثيون بعدما قضى محبه في ملتقى الخيل هوبر

وهذا البيت في قصيدة له . وهو بر : من بنى الحارث بن كعب ، أراد : يريد بن هوبر .
والنحب أيضا : النذر . قال جرير بن الخطمي :

بطخفة جالدا الملوك وخيلنا عشية بسطام جرين على نحب

يقول : على نذر كانت نذرت أن تقتله فقتله ، وهذا البيت في قصيدة له . وبسطام : بسطام
ابن قيس بن مسعود الشيباني ، وهو ابن ذى الجدين . حدثني أبو عبيدة : أنه كان فارس ربيعة
ابن نزار : وطخفة : موضع بطريق البصرة .

والنحب : النطار ، وهو : الرهان . قال الفرزدق :

وإذ نحبتم كلب على الناس أيثنا على النحب أعطى للجزيل وأفضل

والنحب : البكاء . ومنه قولهم ينتحب . والنحب : الحاجة والهمة : تقول : مالى عندم
نحب . قال مالك بن نويرة اليربوعي :

ومالى نحب عندهم غير أتى تلست ما تبقى من الشدن من الشجر^(١)
وقال نهار بن توسعة ، أحد بنى تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر
ابن وائل .

قال ابن هشام : هؤلاء موال بنى حنيفة :

ونجى يوسف الثقفى ركض دراك بعد ما وقع اللواء^(٢)
ولو أدركته لقضين نجبا به ولكل غطاة وقاه
والنحب . أيضا : السير الخفيف المر .

قال ابن إسحاق : « ومنهم من ينظر : أى ما وعد الله به من نصره ، والشهادة على
ما مضى عليه أصحابه . يقول الله تعالى : « وما بدلوا تبديلا » : أى ما شكوا وما ترددوا في دينهم ،
وما استبدلوا به غيره . « ليجزى الله العاصرين بصدقهم ، ويعذب المنافقين إن شاء ، أو يتوب
عليهم ، إن الله كان غفورا رحيم . ورد الله الذين كفروا بغيظهم : أى قريشا وغطفان ولم
ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا . وأنزل الذين ظاهروهم من أهل
الكتاب : أى بنى قريظة « من صياصيمهم » ، والصياصى : الحصون والآطام التى كانوا فيها .

قال ابن هشام : قال سحيم عبد بنى الحنحاس : وبنو الحنحاس من بنى أسد بن خزيمه :
وأصبحت الأبران صرعى وأصبحت نساء تميم يبتدرن الصياصيا
وهذا البيت فى قصيدة له . والصياصى : القرون . قال النابغة الجعدي :

وسادة رهطى حتى بقيت فرداً كصيصة الأعنـب^(٣)
يقول : أصاب الموت سادة رهطى . وهذا البيت فى قصيدة له . وقال أبو دواد الإيادى .
فذرنا سحيم الصياصى بأيديهم — من نضح من الكحيل وقار^(٤)
وهذا البيت فى قصيدة له . والصياصى أيضا : الشوك الذى للنساجين ؛ فيما أخبرنى أبو
عبدة . وأنشدنى لدريد بن الصمة الجشمى ، مجثم بن معاوية بن بكر بن هوازن :

-
- (١) الشدن : الإبل الشدية مفسوبة إلى شدن بلدة باليمن . الشجر : التى فى أعينها حمرة .
(٢) دراك : متابع . (٣) الأعنـب : مكسور القرن .
(٤) السحيم : السود . الصياصى : القرون . الكحيل التطران . القار : الزفت .

نظرت إليه والرياح تتوشه كرقع الصياصي في الذسيح الممدد
وهذا البيت في قصيدة له . والصابي أيضا : التي تكون في أرجل الديكة ناتئة كأنها
القرون الصغار ، والصابي أيضا : الأصول . أخبرني أبو عبيدة أن العرب تقول : جذ
الله صبيته : أي أصله .

قال ابن إسحاق : « وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا » : أي قتل
الرجال ، وسبي الذراري والنساء . « وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضنا لم تطوها » :
يعني خير « وكان الله على كل شيء قديرا » .

إكرام سعد في موته : قال ابن إسحاق : فلما انتفض شأن بني قريظة انفجر بسعد بن
معاذ جرحه ، فات منه شهيداً .

قال ابن إسحاق : حدثني معاذ بن رفاعة الزرق ، قال : حدثني من شئت من رجال قومي :
أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قبض سعد بن معاذ من جوف
الليل معتجراً بعامة من إستبرق ، فقال : يا محمد ، من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء ،
واهتز له العرش ^(١) ؟ قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعاً يجر ثوبه إلى سعد ،
فوجده قد مات .

(١) حديث اهتزاز العرش ثابت من وجوه وفي بعض ألفاظه أن جبريل عليه السلام نزل حين
مات سعد معتجراً بعامة من إستبرق ، فقال يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء
واهتز له العرش ؟ وفي حديث آخر قال عليه السلام : لقد نزل موت سعد بن معاذ سبعون ألف
ملك ما وطنوا الأرض قبلها ، ويذكر أن قبره وجد منه رائحة المسك ، وقال عليه السلام : لو
نجا أحد من ضفطة القبر لنجا منها سعد .

وقد تسكلم الناس في معناه ، وظنوا أنه مشكل ، وقال بعضهم : الالتهزاز هاهنا بمعنى
الاستبشار بقدم روحه ، وقال بعضهم : يريد حلبة العرش ومن عنده من الملائكة ، استبعاداً
منهم لأن يهتز العرش على الحقيقة ، ولا بعد فيه ، لأنه علوق وتجووق عليه الحركة ، والهزة
ولا يعدل عن ظاهر اللفظ ، ما وجد إليه سبيل ، وحديث اهتزاز العرش لموت سعد صحيح ،
قال أبو عمر : هو ثابت من طرق متواترة ، وما روى من قول البراء بن عازب في معناه : ^(٢)

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت : أقبلت عائشة قافلة من مكة ، ومعهما أسيد بن حضير ، فلقية موت امرأة له ، فحزن عليها بعض الحزن ، فقالت له عائشة : يغفر الله لك يا أبا يحيى ، أتحنن على امرأة وقد أصبت بآب عمك ، وقد اهتز له العرش .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لآتهم عن الحسن البصري ، قال : كان سعد رجلا بادنا ، فلما حمله الناس وجدوا له خفة ، فقال رجال من المناقين : والله إن كان لبادنا ، وما حملنا من جنازة أخف منه ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن له حلة غيركم ، والذي نفسي بيده ، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد ، واهتز له العرش .

قال ابن إسحاق : وحدثني معاذ بن رفاع ، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح . عن جابر بن عبد الله ، قال : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سبّح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسبّح الناس معه ، ثم كبر فكبر الناس معه ؛ فقالوا : يا رسول الله ، مم سبّحت ؟ قال : لقد تضايقت على هذا العبد الصالح قبره ، حتى فرجه الله عنه .

قال ابن هشام : ومجاز هذا الحديث قول عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للقبر لضمّة لو كان أحد منها ناجيا لكان سعد بن معاذ .

قال ابن إسحاق : ولسعد يقول رجل من الأنصار :

وما اهتز عرش الله من موت هالك سمعنا به إلا لسعد أبي عمرو

وقالت أم سعد ، حين احتل نعشه وهي تبكيه — قال ابن هشام — وهي كئيشة بنت

= أنه سرير سعد اهتز لم يلتفت إليه العلماء ، وقالوا كانت بين هذين الحين من الأنصار ضغائن وفي لفظ الحديث : اهتز عرش الرحمن ، رواه أبو الزبير عن جابر يرفعه ، ورواه البخاري من طريق الأعمش عن أبي صالح وأبي سفيان كلاهما عن جابر ، ورواه من الصحابة جماعة غير جابر ، منهم أبو سعيد الخدري ، وأسيد بن حضير ؛ ورميئة بنت عمرو ، ذكر ذلك الترمذي . والعجب لما روى عن مالك رحمه الله من إنكاره للحديث ، وكرهيته للتحدث به مع صحة نقله ، وكثرة الرواة له ، ولعل هذه الرواية لم تصح عن مالك . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ٣ ص ٢٨٣ وما بعدها .

رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبد بن الأبحر ، وهو خذرة بن عرف بن الحارث
ابن الخزرج :

ويل أم سعد سعداً صرامة وحداً
وسودداً ومجداً وفارساً معداً
مسد به مسداً يقداً هاماً قدداً

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل نائحة تكذب ، إلا نائحة سعد بن معاذ .

الشهداء يوم الخندق : قال ابن إسحاق : ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا
سنة نفر .

من بني عد الأشهل : سعد بن معاذ ، وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو ، وعبد الله
ابن سهل . ثلاثة نفر .

ومن بني جشم بن الخزرج ، ثم من بني سلة : الطفيل بن النعمان ، وثعلبة بن غنيمه . رجلان
ومن بني النجار ، ثم من بني دينار : كعب بن زيد ، أصابه سهم غرب ، فقتله .
قال ابن هشام : سهم مغرب وسهم غرب ، بإضافة وغير إضافة ، وهو الذي لا يعرف من
أين جاء ولا من أين من رمى به

قتل المشركين : وقتل من المشركين ثلاثة نفر .

من بني عبد الدار بن قصي : منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار ، أصابه سهم ،
فأت منه بمكة .

قال ابن هشام : هو عثمان بن أمية بن منبه بن عبيد بن السباق .

قال ابن إسحاق : ومن بني مخزوم بن يقظة : نوفل بن عبد الله بن المغيرة ، سألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن يبيعهم جسده ، وكان اقتحم الخندق فتورط فيه ، فقتل ، فغلب المسلمون
على جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا حاجة لنا في جسده ولا بثمنه ، نخلي بذيهم وبينه .
قال ابن هشام : أعطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بجسده عشرة آلاف درهم ، فيما بلغني
عن الزهري .

قال ابن إسحاق : ومن بني عامر بن أوى ، ثم من بني مالك بن حنبل : عمرو بن عبد ود ،
قتله على بن أبي طالب رضوان الله عليه .

قال ابن هشام : وحديث الثقة أنه حدث عن ابن شهاب الزهري أنه قال : قتل على بن أبي طالب يومئذ عمرو بن عبد ود وابنه حسل بن عمرو .

قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبد ود ، ويقال : عمرو بن عبد .

الشهيد ، يوم بني قريظة قال بن إسحاق : واستشهد يوم بني قريظة من المسلمين ، ثم من بني الحارث بن الخزرج : خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو ، طرح عليه رحي ، فشدخته شدا شديدا ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن له لأجر شهيد .

ومات أبو سنان بن محسن بن حرثان ، أخو بني أسد بن خزيمه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر بني قريظة ، فدفن في مقبرة بني قريظة التي يدنون فيها اليوم ، وإليه دفنوا أمواتهم في الإسلام .

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني : لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكمكم تغزونهم . فلم تغزهم قريش بعد ذلك ، وكان هو الذي يغزوها ، حتى فتح الله عليه مكة .

ما قيل من الشعر في أمر الخندق وبني قريظة

قال ضرار بن الخطاب بن مرداس ، أخو بني محارب بن فهر ، في يوم الخندق :

ومشفقة تظن بنا الظنونا	وقد قدنا عرندة طحونا (١)
كان زهاؤها أمحد إذا ما	بدت أركانه لناظرينا
ترى الأبدان فيها مسبات	على الأبطال واللب الحصينا (٢)
وجرداً كالقديح مسومات	نؤم بها الفؤاة الحاطيونا
كانهم إذا صالوا وصلنا	بياب الخندقين مصالحونا
أناس لا ترى فيهم رشيدا	وقد قالوا ألسنا راشدينا
فأحجرناهم شهراً كريتا	وكننا فوقهم كالقاهرينا (٣)

(١) العرندة : الشديدة ، صفة لموصوف محذوف أى كنية .

(٢) الأبدان : الدروع . اللب : الدرع . (٣) كريتا : كاملا .

تراوحهم ونقدو كل يوم
بأيدينا صوارم مسرعات
كان وميضهن معربات
وميض حقيقة لمت بليل
فلولا خندق كانوا لديه
ولكن حال دونهم وكانوا
فإن نرحل فإننا قد تركنا
إذا جن الظلام سمعت نوحى
يوسف نؤوركهم عما قريب
بجمع من كثافة غير عزل

عليهم في السلاح مدبجينا
تقد بها المفارق والشترنا (١)
إذا لاحت بأيدي مصلتنا (٢)
ترى فيها العقائق مستبينا (٣)
لدمرنا عليهم أجمعينا
به من خوفنا متعوذينا
لدى أياتكم سعدا رهينا
على سعد يرجعن الحنينا
كما زرناكم متوازيينا
كأسد الغاب قد حمت العرينا

عاجابه كعب بن مالك ، أخو بني سلمة ، فقال :

وسائلة نُسائل ما لقينا
صبرنا لا نرى لله عدلا
وكان لنا النبي وزير صدق
نقاتل معشراً ظلبوا وعقوا
نعاظمهم إذا نهضوا إلينا
ترانا في فضائض سابقات
وفي أيماننا بيض خفاف
بباب الخندقين كان أسداً
فوارسنا إذا بكروا وراحوا
لنصر أحداً والله حق
ويعلم أهل مكة حين ساروا

ولو شهدت رأيتنا صابرينا
على ما نابنا متوكئينا
به نعلو البرية أجمعينا
وكانوا بالعساة مرصدينا
بضرب يجعل التسرعينا
كفدران الملا متدربينا
بها نشقى مراح الشاغيننا
شوا بكم يحمين العرينا
على الأعداء شوساً معلبيناً (٤)
نكون عباد صدق مخلصينا
وأحزاب أتوا متحزبيننا :

(١) الشئون بجمع عظام الرأس . (٢) المصلت : الذى جرد سيفه من غمده .

(٣) الحقيقة : السحابة التى يلقى عنها البرق .

(٤) الشوش : من ينظرون بمؤخر عيونهم كبرا .

بأن الله ليس له شريك وأن الله مولى المؤمنين
فأما تقتلوا سعدا سقاما فإن الله خير القادرين
سيدخله جنانا طيبات تكون مقامة للصالحين
كما قد ردكم فلا شريداً بغيظكم خزايا خائبين^(١)
خزايا لم تنالوا ثم خيراً وكدت أن تكونوا دامرنا
ريح عاصف هبت عليكم فكنتم تحتها متكمهين^(٢)

وقال عبد الله بن الزهري السهمي ، يوم الخندق :

حق الديار عما معارف رسمها طول البلى وتراوح الأحقاب
فكأنما كتب اليهود رسومها إلا الكتيّف ومعدد الأطناب^(٣)
قراً كأنك لم تكن تلهو بها في نعمة بأوانس أتراب^(٤)
فأترك تذكر ماضى من عيشة ومحلة تخلق المقام يباب
واذكر بلاد معاشر واشكرهم ساروا بأجمعهم من الأنصاب
أنصاب مكة عامدين ليثرب . في ذى غياطل جحفل جيجاب^(٥)
يدع الحزون مناهجا معلومة في كل قشر ظاهر وشعاب^(٦)
فيها الجياد شواذب مجنوبة قب البطون لواحق الأقارب^(٧)
من كل سلبية وأجرد سلب كالسيد بادر غفلة الرقاب^(٨)

(١) الفل : المنهزمون .

(٢) المتكمه في الأصل من ولد أعمى . والمراد أنهم لا يبصرون .

(٣) الكتيّف : حظيرة الماشية : معدد : وتد . والأطناب : الحبال التي تشد بها الخيام .

(٤) الأتراب : للتساويات في السن .

(٥) الغياطل : الأصوات . وبقية معدد : بنى غياطل ، جيشا كثير الأصوات . جيجاب : كثير

(٦) الحزون : ما ارتفع من الأرض . المناهج : الطرق الواضحة . النشر : ما ارتفع من

الأرض . والشعاب : جمع شعب : المنخفض بين جبلين .

(٧) الشواذب : الضامرة . القب : الضامرة . لواحق الأقارب : ضامرة الخواصر .

(٨) السلبية : الطويلة . السيد : الذئب .

جيش عينة قاصد بلوانه
قرمان كالبدرين أصبح فيهما
حتى إذا وردوا المدينة وارتدوا
شهرًا وعشرًا قاهرين محمدًا
نادوا برحاتهم صليحة قاتم
لولا الخنادق غادروا من جمعهم

فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري ، فقال :

هل رسم دارسة المقام يباب
قفر عفا رهم السحاب رسومه
ولقد رأيت بها الحلول يزنيهم
فدع الديار وذكر كل خريدة
واشدك الموموم إلى الإله وما ترى
ساروا بأجمعهم إليه وألبوا
جيش عينة وابن حرب فيهم
حتى إذا وردوا المدينة وارتجوا
وعدوا علينا قادرين بأيديهم
محبوب معصية تفرق جمعهم
فكنى الإله المؤمنين قتالهم
من بعد ما قنطوا ففرق جمعهم
وأقر عين محمد وصحابه
عاني الفؤاد موقع ذى ريبة
علق الشقاء بقلبه ففسواده

متكلم لمحاور بجواب (٢)
وهوب كل مطلة مرباب (٣)
بيض الوجوه ثواقب الأحساب (٤)
بيضاء آنسة الحديث كعاب
من معشر ظللوا الرسول غضاب
أهل القرى وبوادي الأعراب
متخطون بحلبة الأحزاب (٥)
قتلى الرسول ومغم الأسلاب
ردوا بغيطهم على الاعتاب
وجنود ربك سيد الأرباب
وأناهم في الأجر خير ثواب
تنزيل نصر مليكتنا الوهاب
وأذل كل مكذب مرتاب
في الكفر ليس بظاهر الأنواب
في الكفر آخر هذه الأحقاب

(١) قرمان : مثني قرم وهو السيد .

(٢) اليباب : القفر . المحاور : من يجادل في الكلام .

(٣) الرهم : المطر . مرباب : ثابتة . (٤) الحلول : البيوت المجتمعة . ثواقب : مزهرة

(٥) متخطون : غتاطون . الحلبة : الخيل المعدة للسياق .

وأجابه كعب بن مالك أيضاً، فقال :

أبقى لنا حدث الحروب بقية
بيضاء مشرقة الذرى ومعاظنا
كاللوب يذل جمها وحفيها
ونزائعا مثل السراح نمي
عربى الشوى منها وأردف نحضا
قوداً تراح إلى الصباح إذ غدت
وتحوط سائمة الديار وتارة
حوش الوحوش مطارة عند الوغى
علفت على دعة فصارت بدنا
يغدون بالزغف المضاعف شكة
صوارم نزع الصياقل مغلها
يصل اليمين بمارن متقارب
وأغسر أزرق في القناة كأنه

من خير فحلة ربنا الوهاب
حم الجذوع غزيرة الأحلاب^(١)
للجار وابن العم والمنتاب^(٢)
عاف الشعير وجزء المقضاب^(٣)
جرد المتون وسائر الآراب^(٤)
فعل الضراء تراح للكلاب^(٥)
تردى العدا وتثوب بالأسلاب
عبس اللقاء مينة الإنجاب^(٦)
دخس البضيع خفيفة الأقصاب^(٧)
ومبترصات في التفاف ضياب^(٨)
وبكل أروع ماجد الأنساب^(٩)
وكت وقيته إلى خباب^(١٠)
في مطخية الظلماء ضوء شهاب^(١١)

-
- (١) الذرى : الأعلى . المعاطن : مبارك الإبل حول الماء . الجذوع : الأعناق ، والأحلاب : ما يحلب منها .
(٢) اللوب : الأراضى ذات الحجارة السود . جمها : ما اجتمع من لبنها المنتاب : القاصد .
(٣) النزائع : الحيل العربية المنزوعة من أرضها إلى أرض أخرى . السراح : الذئب . جزء المقضاب : ما يقطع لها من النبات .
(٤) الشوى : القوائم . انه حض : اللحم . جرد : ملس . المتون : الظهور . والآراب : الأعضاء .
(٥) قود : طوال . تراح : تنشط . الضراء : السكلاب المعلمة . الكلاب : الصائد بالكلاب .
(٦) الحوش : النافرة . عبس : شديدة الإنجاب : السكرم .
(٧) دخس : كثيرة اللحم . الأقصاب : الامعاء .
(٨) الزغف : مالان من الدروع . المترصات : القويات . صياب : صابئة .
(٩) غلها : صدأها . الماجد : الشريف .
(١٠) المارين : الرمح اللين ، وقيته : صنعته . خباب : عبد صانع للسيوف .
(١١) الأغر الأزرق : السنان الجيد . الطخية : الشدة .

وكتيبة ينقى القران قنبرها وترد حد قواخذ النشاب (١)
 جاوى مللمة كان رماحها فى كل مجمعة ضريمة غاب (٢)
 ياوى الى ظل اللواء كأنه فى صعدة الخطى فى عقاب (٣)
 أعيت أبا كرب وأعيت تبعاً وأبت بسانها على الأعراب
 ومواعظ من ربنا نهدي بها بلسان أزهر طيب الاثواب
 معرضت علينا فاشتبهنا ذكرها من بعد ما عرضت على الأحزاب
 حكما يراها المجرمون بزعمهم حرجا ويفهمها ذوو الألاب
 جاءت سخينة كى تغالب ربها فليغلبن مغالب الغلاب (٤)

قال ابن مشام : حدثني من أثنى به ، قال : حدثني عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، قال كعب بن مالك :

جاءت سخينة كى تغالب ربها فليغلبن مغالب الغلاب

(١) القران : تقارن النبل : القنبر : مسامير حلق الدرع . ويريد به الدروع . قواخذ . الشباب : البال التى أصابت الاخاذ . (٢) الجاوى : التى يحاطل سوادها حمرة . مللمة : مجمعة . الضريمة : الملتببة . (٣) الصعدة : القناة المستقيمة . الخطى : الرخ . القىء : الظل . العقاب : طائر جارح قوى الخالب أعقف المنقار حد البصر يطلق على المذكر والمؤنث . (٤) كان هذا الاسم مما سميت به قريش قديماً ، ذكروا أن قصيا كان إذا ذبح ذبيحة أو نحيرة بمكة أتى بعجزها فصنع منه خزيرة ، وهو لحم يطبخ ببر فيطعمه الناس ، فسميت قريش بها سخينة . وقيل : إن العرب كانوا إذا أسننوا أكلوا العلة ، وهو الور والهم ، وتأكل قريش الخزيرة والفته فنفس عليهم ذلك فلقبهم : سخينة ، ولم تكن قريش تكره هذا اللقب ، ولو كرهته ما استجاز كعب أن يذكره ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم - منهم ، وتركه أدباً مع النبي عليه السلام ، إذا كان قرشياً ، ولقد استنشد عبد الملك بن مروان بما قاله الهوزانى فى قريش :

ياشدة ما شددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم

فقال : ما زاد هذا على أن استننى ، ولم يكره سماع اللقيب بسخينة ، فدل هذا على أن هذا اللقب لم يكن مكروهاً عندهم ولا كان فيه تعيير لهم بشئ . راجع الروض الأنف ج ٢ ص ٣٠٠ (١١ - الدرة النبوية ، ج ٢)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد شكرت الله يا كعب على قولك هذا .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك في يوم الخندق :

من سره ضرب يجمع بعضه	بعضا كعمعة الآباء المحرق ١
فلتأت مأسدة 'تسن سيوفها	بين المذاد وبين جزع الخندق (٢)
دربوا بضرب العلين وأسلوا	مهمجات أنفسهم لرب المشرق
في عسبة نصر الإله نليه	بهم وكان بعده ذا مرفق
في كل سابية تحط فضولها	كالنسي هبت ريحه المترقق (٣)
بيضاء محكة كأن قتيها	حدق الجناد ذات شك موثق (٤)
جدلا يحفرها نجاد مهند	صافي الحديد صارم ذى روثق (٥)
تلكم مع التقوى تكون لباسنا	يوم الهياج وكل ساعة مصدق
نصل السيوف إذا قصرن بخطونا	قُدما ونلحقها إذا لم نلحق
فترى الجماجم ضاحيا هاماتها	بلله الأكف كأنها لم تخلق (٦)
نلقى العدو بفخمة ملبومة	تقنى الجموع كفصد رأس المشرق (٧)
ونعد للأعداء كل مقلص	ورَد ومحجول القوائم أبلق (٨)
تردى بفرسان كأن كاتمهم	عند الهياج أسود ظل ملثق (٩)
'مصدق يعاطون الكماة حتوفهم	تحت العماية بالوشيج المزهق (١٠)

(١) المعمعة : صوت اتقاد النار . الآباء : الأغصان الملتفة .

(٢) المأسدة : المكان الكثير الأسود ويريد هنا مكان الحرب . المذاد مكان حفر الخندق .

(٣) السابية : الدروع الكاملة . تحط فضولها : ينجر على الأرض ما زاد منها . النهى :

غدير الماء . (٤) القتيير : مسامير الدروع . الجنادب : جمع جندب . نوع صغير

من الجراد . والشك : إحكام في الصنع . موثق : قوية .

(٥) الجدلاء : الدرع القوية النسج . يحفرها : يرفعها . النجاد : حمائل السيف . روثق

السيف : طلاوته وصفائه وبريقه (٦) بله : اسم فعل بمعنى أترك .

(٧) لللبومة : المجتمعة . أى كتيبة مجتمعة . (٨) المقلص : الفرس الخفيف . والورد :

الأحمر الضارب إلى البصرة . ومحجول القوائم : في قوائمه يباغر .

(٩) الطل . المطر الضعيف . (١٠) العماية : ظلة الغبار . الوشيج : الرماح .

أمر الإله بربطها لعدوه في الحرب إن الله خير موفق
لتكون غيظا للعدو وحنيطا للدار إن دلفت خيول النُزق
ويعيننا الله العزيز بقوة منه وصدق الصبر ساعة نلتقي
ونطيع أمر نديننا ونجيبه وإذا دعا لكريمة لم نُسبق
ومتى يناد إلى الشدائد نأتها ومتى نر الحومات فيها نعتق (١)
من يتبع قول النبي فإنه فينا مطاع الأمر حق مصدق
فبذاك ينصرنا ويظهر عزنا ويصينا من نيل ذاك بمرق
إن الذين يكذبون محمداً كفروا وضلوا عن سبيل المستق
قال ابن هشام أنشدني بيته :

تلكم مع التقوى تكون لباسنا

وبيته :

من يتبع قول النبي

أبو زيد . وأنشدني :

تقني الجوع كرأس مقدس المشرق

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك في يوم الخندق :

لقد علم الأحزاب حين تآلبوا علينا وراموا ديننا ما نواع
أضاميم من قيس بن عيلان أصفقت وخندق لم يدروا بما هو واقع (٢)
يدودوننا عن ديننا ونذودهم عن الكفر والرحن راء وسامع
إذا غايظونا في مقام أعانتنا على غيظهم نصر من الله واسع
وذلك حفظ الله فينا وفضله علينا ومن لم يحفظ الله ضائع
هدانا لدين الحق واختاره لنا والله فوق الصانعين صنائع

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك في يوم الخندق :

(١) نعتق : نسرع .
(٢) أضاميم : جماعات . وأصفقت : اجتمعت على أمر .

ألا أبلغ قريشا أن سـلـما
نواضح في الحروب مدربات
رواكذ يزخر المزار فيها
كان الغاب والبردى فيها
ولم يجعل تجارتا اشتراء الـ
بلاد لم تثر إلا لكىما
أثرنا سكة الانباط فيها
قصرنا كل ذى حضر وطول
أجيونا إلى ما نجتديكم
ولا فاصروا لجلاد يوم
نصبحكم بكل أخى حروب
وكل طمرة خفق حشاها
وكل مقلص الآراب نهـد
خيول لا تضاع إذ أضيعت
ينازعن الأغنة مصغيات

وما بين العريض إلى الصماد (١)
وخصوص ثـقـبـت من عهد عاد (٢)
فليست بالجمام ولا النجاد (٣)
أجش إذا تبقع للحصاد (٤)
حمير لأرض دوس أو مراد
نجلاد إن نشطتم للجلاد
فلم تر مثلها جلها واد (٥)
على الغايات مقتدر جواد (٦)
من القول المـبـسـتـين والسداد (٧)
لكم منا إلى شطر المذاد (٨)
وكل مطهم سلس القياد
تدف دفيف صفراء الجراد (٩)
تيمم الخلق من أـخـر وهادى (١٠)
خيول الناس في السنة الجماد
إذا نادى إلى الفرع المنادى

- (١) سلع : جبل بالمدينة . والعريض : واد بالمدينة .
(٢) نواضح : حدائق تسقى بالنضج . خصوص : آبار ضيقة .
(٣) المزار : نهر . الجمام : الآبار كثيرة الماء . النجاد : الماء القليل .
(٤) الأجش : العالى الصوت . تبقع : صار فيه بقع علامة النضج .
(٥) السكة : النخيل المصطف . جلها وادى : ما كشفت عنه السيول فأبرزته .
(٦) الحضر : الجرى . وذو الحضر : يريد الخيل . (٧) نجتديكم : نسألكم .
(٨) الشطر : الناحية . والمذاد : حيث حفر الخندق بالمدينة .
(٩) الطمرة : الفرس الوثوب القوية . تدف : تقول دف الطائر : إذا حرك جناحيه .
صفراء الجراد : هى التى ألفت بيضها فى خفيفة فى طيراتها .
(١٠) المقلص : الشديد . الآراب قطع اللحم . النهـد : الغليظ . والهادى : العنق . أى :
كريم من أوله إلى آخره .

إذا قالت لنا التذر استعدوا توكلنا على رب العباد
وقلنا لن يُفَرِّجَ ما لقينا سوى ضرب القوانس والجهاد (١)
فلم تر عصية فيمن لقينا من الأقوام من قار وبأدى
أشد بسالة منا إذا ما أردناه وألين في الوداد
إذا ما نحن أشرجنا عليها جياذ الجدل في الأرب الشداد (٢)
قدفنا في السوابغ كل صقر كريم غير معتك الزناد
أشم كأنه أسد عبوس ذداة بدا يطن الجزع غادى
يغشى هامة البطل المذكى صبي السيف مسترخى التجاد (٣)
لنظهر دينك اللهم إنا بكفك فاهدنا سبل الرشاد

قال ابن هشام بيته :

قصرنا كل ذى حضر وطول

والبيت الذى يتلوه ، والبيت الثالث منه ، والبيت الرابع منه ، وبيته :

أشم كأنه أسد عبوس

والبيت الذى يتلوه ، عن أبي زيد الأنصارى .

قال ابن إسحاق : وقال مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح ، يبكى عمرو بن

عبد ود ، ويذكر قتل علي بن أبي طالب إياه :

عمرو بن عبد كان أول فارس جزع المداد وكان فارس يأميل (٤)
سمح الخلاق ماجد ذو مرة يبغي القتال بشكة لم ينكل
ولقد علمت حين ولوا عنكم أن ابن عبد فيهم لم يعجل
حتى تكفنه السكاة وكاهم يبغي مقاتله وليس بمؤتلى (٥)

(١) القوانس : أعالي بيض الحديد .

(٢) أشرجنا : ربطنا . الجدل : الدروع المحكمة النسج . الأرب : العقد الشديدة .

(٣) المذكى : شديد القوة . صبي السيف : وسطه . التجاد : حمان السيف .

(٤) جزع : قطع . المداد : مكان بالمدينة حيث بنى الخندق . يليل : واد فى بدر .

(٥) ليس بمؤتلى : أى ليس بمقصر .

ولقد تكنتف الاستة فارسا بجنوب سلع غير نكس أميل
تسل الزال على فارس غالب بجنوب سلع ، ليته لم ينزل
فاذهب على فما ظفرت بمثله فخراً ولا لاقيت مثل المعضل
نفسى الفداء لفارس من غالب لاقى حمام الموت لم يتحامل^(١)
أعنى الذى جزع المذاد بمهره طلبا لثار معاصر لم يخذل

وقال مسافع أيضاً يؤنب فرسان عمرو الذين كانوا معه ، فأجلوا عنه وتركوه :

عمرو بن عبد والجياد يقودها خيل تقاد له وشيل تنعل^(٢)
أجلت فوارسه وغادر رهطه ركنا عظيما كان فيها أول
عجبا وإن أعجب فقد أبصرته مهما تسوم على عمرأ ينزل^(٣)
لا تبعدن فقد أصبت بقتله ولقيت قبل الموت أمراً يثقل
وهييرة السلوب ولى مدبراً عند القتال مخافة أن يقتلوا
وضرار كأن البأس منه محضراً ولى كما ولى اللثيم الأعزل

قال ابن هشام : وبعض أدل العلم بالشعر ينكرها له . وقوله : « عمرأ ينزل » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال هييرة بن أبي وهب يعتذر من فراره ، ويبيى عمرأ ، ويذكر قتل على إياه :

لعمري ما وليت ظهري محمداً وأصحابه جنباً ولا خيفة القتل
ولكننى قلبت أمرى فلم أجد لسينى غناه إن ضربت ولا نبلى
وقفت فلما لم أجد لى مقدما صددت كضرعام هزبر أبى شبل
ثنى عنقه عن قرنه حين لم يجد مكراً وقدما كان ذلك من فعلى
فلا تبعدن يا عمر حياً ومالكا وحق لحسن المدح مثلك من مثلى
ولا تبعدن يا عمرو حياً ومالكا فقد بنت محمود الثنا ماجد الاصل^(٤)

(١) لم يتحامل : لم يتزحج .

(٢) تنعل : تلبس فعال الخيل وهى الحديد فى أرجل الخيل لتقوى على المشى :

(٣) تسوم : تطلب . (٤) الثنا : الذكر الجميل .

فن لطراد الخيل "تدع بالتنا وللنفر يوما عند قرقرة البزل^(١)
 هناك لو كان ابن عبد لزارها وورجها حقا فقى غير ما وغل^(٢)
 فمك علي لا أرى مثل موقف وقفت على نجاد المقدم كالفحل^(٣)
 فما ظفرت كفاك فخراً بمثله أمنت به ما عشت من زلة العمل
 وقال هبيرة بن أبي وهب يبي عمرو بن عبد ود، ويذكر قتل علي إياه :

لقد علمت عليا لوى بن غالب لفارسها عمرو إذا ناب نائب
 لفارسها عمرو إذا ما يسومه علي وإن الليث لا بد طالب
 عشية يدعو علي ولانه لفارسها إذا خام عنه الكائب^(٤)
 فيا لهف نفسي إن عمراً تركته يثرب لا زالت هناك المصائب
 وقال حسان بن ثابت يفخر بقتل عمرو بن عبد ود :

بقيتكم عمرو أجنأه بالتنا يثرب نحى والحياة قليل
 ونحن قتلناكم بكل مهتد ونحن ولالة الحرب حين تصور
 ونحن قتلناكم بيدر فأصبحت معانركم في المالكين تجول
 قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً في شأن عمرو بن عبد ود :

أمسى الفقى عمرو بن عبد يبتغى بمجنوب يثرب ثأره لم ينظر
 فلقد وجدت سيفنا مشهورة ولقد وجدت جياتنا لم تقصر
 ولقد لقيت غداة بدر عصبه ضربوك ضرباً غير ضرب الحصر
 أصبحت لا تدعى ليوم عظيمة يا عمرو أو لجسيم أمر منكر
 قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

ألا أبلغ أبا مدم رسولا مغلفة تخب بها اللطى^(٥)

(١) قرقرة البزل : أصوات الإبل الكريمة .

(٢) عنك : اسم فعل أمر بمعنى ابتعد .

(٣) الوغل : الفاسد .

(٤) خام : جنين .

(٥) المغلفة : الرسالة الخطية المحولة من بلد إلى بلد .

أكنت وليكم في كل كره وغيرى في الرخاء هو الولي
ومنكم شاهد ولقد رآني رفعت له كما احتل الصبي
قال ابن هشام: وتروى هذه الآيات لريعة بن أمية الدبلي، ويروى فيها آخرها:
كبيت الخزرجي على يديه وكان شفاء نفسي الخزرجي
وتروى أيضاً لأبي أسامة الجشمي.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت في يوم بني قريظة يبكي سعد بن معاذ ويذكر
حكمه فيهم:

لقد سجمت من دمع عيني صبرة	وحق لعيني أن تفيض على سعد
فتبلى ثوبى في معرك فجمعت به	عيون ذوارى الدمع دائمة الوجد ^(١)
على ملة الرحمن وارث جنة	مع الشهداء وفدها أكرم الوفد
فإن تلك قد ودعنا وتركتنا	وأمسيت في غمراء مظلمة للحد
بأنت الذى يا سعد أبت به شهد	كريم وأثواب المكارم والحد
بحكمك في حقي قريظة بالذى	قضى الله فيهم ما قضيت على عمد
فوافق حكم الله حكمك فيهم	ولم تغف إذ ذكرت ما كان من عهد
فإن كان ريب الدهر أمضاك في الآلى	نبروا هذه الدنيا بمجناتها الخلد
فنعم مصير الصادقين إذا دعوا	إلى الله يوماً للوجاهة والتعبد

وقال حسان بن ثابت أيضاً، يبكي سعد بن معاذ، ورجالا من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الشهداء، ويذكرهم بما كان فيهم من الخير:

ألا يا تقوى هل لما حم دافع	وهل ما مضى من صالح العيش راجع
تذكرت عصراً قد مضى فتهاقت	بنات الحشى وانهل منى اللدامع ^(٢)
صباية وجد ذكرتني أحبة	وقتل مضى فيها طفيل ورافع
وسعد فأضحوا في الجنان وأوحشت	منازلهم فالأرض منهم بلاقع
وفوا يوم بدر للرسول وفوقهم	ظلال المنايا والسيوف اللوامع
دعا فأجابوه بحق وكلهم	مطيع له في كل أمر وسامع
فأفكروا حتى تولوا جماعة	ولا يقطع الآجال إلا المصارع

(١) ذوارى: ساكنة.

(٢) بنات الحشى: القلب وما اتصل به من أعضاء.

لأنهم يرجون منه شفاعته إذا لم يكن إلا التبيون شافع
فذلك يا خير العباد بلاؤنا إجابتنا لله والموت نافع
لنا القدم الأولى إليك وخلفنا لأننا في ملة الله تابع
ونعلم أن الملك لله وحده وأن قضاء الله لا بد واقع

وقال حسان بن ثابت أيضا في يوم بنى قريظة :

لقد لقيت قريظة ما ساءها وما وجدت لذل من نصير
أصابهم بلاء كان فيه سوى ما قد أصاب بنى النضير
غداة أتاهم يهوى إليهم رسول الله كالقمر المنير
له خيل مجنبة تعادى بفرسان عليم كالصقور
تركاهم وما ظفروا بشيء دماؤهم عليهم كالغدير
فهم صرعى تحوم الطير فيهم كذاك يدان ذو العسد الفجور
فأنذر مثلها نصحا قريشا من الرحمن إن قلت نذيرى

وقال حسان بن ثابت في بنى قريظة :

لقد لقيت قريظة ما ساءها وحل بحصنها ذل ذليل
موسعد كان أنذرهم بنصح بأن إلهكم رب جليل
فلا يرحوا بنقض العهد حتى فلاهم في بلادهم الرسول^(١)
أحاط بحصنهم منا مصروف له من حر وقتهم صليل

وقال حسان بن ثابت أيضا في يوم بنى قريظة :

تفاقد معشر نصرنا قريشا وليس لهم ببلدتهم نصير^(٢)
هم أوتوا الكتاب فضيعوه وهم 'عنى من التوراة بور'^(٣)
كفرتهم بالقرآن وقد أتيتم بتصديق الذى قال النذير
فهان على سراة بنى لؤى حريق بالبويرة مستطير^(٤)

(٢) تفاقد : هلك .

(١) فلاهم : ضربهم بالسيوف .

(٤) البويرة : مكان لبنى قريظة .

(٣) بور : ملكى .

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقال :

أدام الله ذلك من صنيع وحرّق في طرائقها السعير
ستعلم أينما منها بنزه وتعلم أى أرضينا نصير^(١)
فلو كان النخيل بها ركابا لقالوا لا مقام لكم فسيروا
وأجابه جبل بن جوال الثعلبي أيضا ، وبكى النصير وقرينة ، فقال :

ألا يا سعد سعد بن معاذ لما لقيت قرينة والنصير
لعمرك إن سعد بن معاذ غداة تحملوا لهو الصبور
فأما الخزرجي أبو حباب فقال لقينقاع لا تسيروا
وبدلت الموالى من نصير أسيداً والدوائر قد تدور
وأقمرت البويرة من سلام وسعية وابن أخطب فهي بور
وقد كانوا يبلدتهم فقالوا كما ثقلت بميطان الصخور^(٢)
فإن يهلك أبو حكم سلام فلا رث السلاح ولا دثور^(٣)
وكل الكاهنين وكان فيهم مع اثنين الحضارمة الصقور
وجدنا المجد قد ثبتوا عليه بمجد لا تغيبه البدور
أقيموا يا سراة الأوس فيها كأنكم من المخزاة عور
تركهم قدركم لا شيء فيها وقدر القوم حامية تفور

مقتل سلام بن أبي الحقيق

قال ابن إسحاق : ولما انتضى شأن الحندق ، وأمر بني قريظة ، وكان سلام بن أبي الحقيق ، وهو أبو رافع فيمن حزب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأوس قبل أحد قتلت كعب بن الأشرف ، في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه ، استأذنت الخزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل سلام بن أبي الحقيق ، وهو بخيبر ، فأذن لهم .

(٢) ميطان : جبل بالمدينة .

(١) النزه : البعد .

(٣) الدثور : المتغير .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، قال : وكان مما صنع الله به لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذين الحيين من الأنصار : الأوس والخزرج ، كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين ، لا تصنع الأوس شيئا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غناء إلا قالت الخزرج : والله لا تذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الإسلام . قال : فلا يذهبون حتى يرقموا مثلها ، وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك .

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف و عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرج : والله لا تذهبون بها فضلا علينا أبدا ؛ قال : فتذاكروا : من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كان الأشرف ؟ فذكروا ابن أبي الحقيق ، وهو بخير ، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله ، فأذن لهم .

فخرج إليه من الخزرج من بنى سلبية خمسة نفر : عبد الله بن عتيك ، ومسمود بن سنان ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة ، الحارث بن ربيع ، وخزاعي بن أسود ، حليف لهم من أسلم . فخرجوا وأمرهم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك ، ونهاهم عن أن يقتلوا وليداً أو امرأة ، فخرجوا حتى إذا قدموا خير ، أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً ، فلم يدعوا بنتاً في الدار إلا أغلقوه على أهلها . قال : وكان في علة له إليها عجله^(١) قال : فاستندوا فيها ، حتى قاموا على بابها ، فاستأذنوا عليه ، فخرجت إليهم امرأته ، فقالت : من أتم ؟ قالوا : ناس من العرب نلتمس الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم ، فادخلوا عليه ، قال : فلما دخلنا عليه ، أغلقنا علينا وعليها الحجر ، تخوفاً أن تكون دونه محاولة تحول بيننا وبينه ، قالت : فصاحت امرأته ، نوهت^(٢) بنا وابتدرناه ، وهو على فراشه بأسيفنا ، فوالله ما يدلنا عليه في سواد الليل إلا يباذه كأنه قبطية^(٣) ملقاة . قال : ولما صاحت بنا امرأته ، جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ، ثم يذكر نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكف يده ، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل . قال : فلما ضربناه بأسيفنا تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه ، وهو يقول : قطني قطني :

(١) العجلة : جذع النخلة ينقر في أماكن منه للصعود عليها .

(٢) نوهت : شبرت .

(٣) القبطية : ثياب بيض كانت تصنع في مصر .

أى حسي حسي . قال : وخرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك رجلا سيئ البصر ، قال : فوقع من المדרجة فوثقت^(١) يده وثنا شديدا — ويقال : رجله ، فيما قال ابن هشام — وحملناه حتى أتى به منبرا من عيونهم ، فدخل فيه . قال : فأوقدوا النيران ، واشتدوا في كل وجه يطلبوننا قال : حتى إذا يسوا رجعوا إلى صاحبهم ، فاكشفوه وهو يقضى بينهم . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم فانطلق حتى دخل في الناس . قال : فوجدت امرأته ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه ، وتحديثهم وتقول : أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ، ثم أكذبت نفسي وقلت : أتتى ابن عتيك بهذه البلاد ؟ ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه ثم قالت : فاذ^(٢) وإله يهود ، فاسمعت من كامة كانت ألد إلى نفسي منها . قال : ثم جاءنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا عنده في قتله ، كلنا يدعيه . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاتوا أسيافكم ، قال : لجشناه بها ، فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام .

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام ابن أبي الحقيق :

فله در عصابة لا قيتهم	يا بن الحقيق وأنت يا بن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليكم	مرحبا كأسد في عرين مغرف ^(٣)
حتى أتوكم في محمل بلادكم	فسقوكم حقا ببيض ذقف ^(٤)
مستبصرين لنصر دين نبيهم	مستبصرين لكل أمر مجحف

قال ابن هشام : قوله : « ذقف » ، عن غير ابن إسحاق .

(١) الوثء : إصابة العظم بلا كسر .

(٢) فاذ : مات .

(٣) مغرف : ملفف الأغصان .

(٤) ذقف : سريعة القتل .

إسلام عمرو بن العاص وخالده بن الوليد

قال ابن إسحاق : وحديثي يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي ، عن حبيب بن أبي أوس الثقفي ، قال حدثني عمرو بن العاص من فيه ، قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجلا من قريش ، كانوا يرون رأبي ، ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله أنني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكرا ، وإنني قد رأيت أمراً ، فأترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن نلحق بالتجاشي ف نكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند التجاشي ، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فتحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير ، قالوا : إن هذا الرأي ، قلت : فاجعوا لنا ما نهديه له ، وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم ^(١) ، فجمعنا له أدماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه

فوالله إننا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية الضمري ، لو قد دخلت على التجاشي وسألت إياه فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد . قال : فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحبا بصديقي ، أهديت لي من بلادك شيئا ؟ قال : قلت : نعم ، أيها الملك ، قد أهديت إليك أدماً كثيراً ، قال : ثم قربته إليه ، فأعجبه واشتهاه ثم قلت له : أيها الملك ، إنني قد رأيت رجلا خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطنيته لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا ، قال : فغضب ، ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقامته ؛ ثم قلت له : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك ، قال : أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لئقتله ؟ قال : قلت : أيها الملك ، أكذلك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو أطمعني واتبعه ، فإنه والله لعلى الحق ، وليظهرن علي من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، قال : قلت : أفتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعته على الإسلام ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكنت أصحابي إسلامي .

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم ، فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبل الفتح ، وهو مقبل من مكة ، فقلت : أين يا أبا سليمان ؟ قال : والله لقد استقام المنسم ، وإن الرجل لبني ، أذهب والله فأسلم ، فحتى متى ؛ قال : قلت : والله ما جئت إلا لأسلم . قال : فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت ، فقلت : يا رسول الله ، إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخر ؛ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو ، بايع ، فإن الإسلام يجب (١) ما كان قبله ، وإن الهجرة يجب ما كان قبلها ؛ قال : فبايعته ، ثم انصرفت .

قال ابن هشام : ويقال : فإن الإسلام يحث (٢) ما كان قبله ، وإن الهجرة تحث ما كان قبلها .
إسلام عثمان بن طلحة : قال ابن إسحاق ، وحدثني من لا أتهم : أن عثمان بن طلحة ابن أبي طلحة ، كان معهما ، حين أسلما .

قال ابن إسحاق : فقال ابن الزبير السهمي :

أنشد عثمان بن طلحة حلفنا	ومأتمى نعال القوم عند المقبل (٣)
وما عقد الآباء من كل حلفه	وما خالد من مثلهما بمجمل
أفتاح بيت غير بيتك تبغى	وما يبتغى من مجد بيت مؤئل
فلا تأمنن خالداً بعد هذه	وعثمان جاء بالدهيم المعضل (٤)

وكان فتح بني قريظة في ذي القعدة وصدر ذي الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون .

غزوة بني الحنظلية

بسم الله الرحمن الرحيم ،

قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلي قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفر وأشهر ربيع ، وخرج في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة ، إلى بني الحنظلية يطلب بأصحاب الرجيع : خبيب بن هدى وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ، ليصيب من القوم غرة .

(١) يجب : يقطع .

(٢) يحث : يسقط .

(٣) المقبل : اسم مكان من قبل ويريد به الحجر الأسود .

(٤) الدهيم : الداهية .

نخرج من المدينة صلى الله عليه وسلم، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، فيما قال ابن مشام .
قال ابن إسحاق : فسلك على غراب ، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ، ثم على
محيص ، ثم على البراء ، ثم صفق ^(١) ذات اليسار ، نخرج على بين ، ثم على صحيرات الأيام ،
ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة فأغذ ^(٢) السير سريعاً ، حتى نزل على غران ،
ولهى منازل بنى لحيان ، وجران واد بين أبح وعسفان ، إلى بلد يقال له : ساية ، فوجدهم
قد حذروا وتمنعوا في رموس الجبال . فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخطأ من غرتهم
ما أراد . قال : لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أننا قد جئنا مكة ، نخرج في مثي راكب
من أصحابه حتى نزل عسفان ، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع النسيم ، ثم كر
وزاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً .

فكان جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وجه راجعاً :
آيئون تائبون إن شاء الله لرؤنا حامدون ، أعوذ بالله من وعثاء السفر ^(٣) وكآبة ^(٤) القلب ،
وسوء النظر في الأهل والمال :

والحديث في غزوة بنى لحيان ، عن طاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الله
ابن كعب بن مالك ؛ فقال كعب بن مالك في غزوة بنى لحيان :

لو ان بنى لحيان كانوا تناظروا	لقوا عسبا في دارهم ذات مصدق ^(٥)
لقوا تمرعانا يملأ السرب روعه	أمام طحون كالمجرة فيلق ^(٦)
ولكنهم كانوا وبارأ تبعت	شباب حجاز غير ذى متفق ^(٧)

غزوة ذى قرد

ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؛ فلم يبق بها إلا ليالٍ قلائل ، حتى أغار عبيدة
ابن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ؛ في خيل من غطفان على لقاح ^(٨) لرسول الله صلى الله

(١) صفق : عدل . (٢) أغذ : أسرع . (٣) وعثاء السفر : شدته .

(٤) الكآبة : الحزن . (٥) تناظروا : انتظروا . العصب الجماعات .

(٦) سرعان : من يتقدمون الجيش . السرب : الطريق : الطحون : الكتيبة الضخمة .

المجرة : مجموعة من النجوم ، الفيلق : الكتيبة .

(٧) الوبار جمع وبر دويبة صغيرة تشبه الهرة . والمتفق : الذى له منفذ يفخذ منه .

(٨) اللقاح : الإبل الوامل .

عليه وسلم بالغابة، وفيها رجل من بني غنار وامرأة له، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في القراح.
قال ابن إسحاق: لحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر، ومن لا أتهم، عن
عبد الله بن كعب بن مالك، كل قد حدث في غزوة ذي قمر بعض الحديث: أنه كان أول من نذر (١)
بهم سلبه بن عمرو بن الأكوع الأسلمي، غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله، ومعه غلام
اطلجه بن عبيد الله معه فرس له يقوده، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم،
فأشرف في ناحية سلع، ثم صرخ: واصباحاه، ثم خرج يشتد في آثار القوم، وكان مثل السبع
حتى لحق بالقوم، فجعل يردهم بالنبل، ويقول إذا رمى: خذها وأنا ابن الأكوع، اليوم يوم
الرضع، فإذا وجه الخيل نحوه انطلق هارباً، ثم عارضهم، فإذا أمكنه الرمي رمى، ثم قال:
خذها وأنا ابن الأكوع، اليوم يوم الرضع، قال: فيقول قائلهم: أو نسكنها هو أول النهار.
تسابق الفرسان: قال: وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صباح ابن الأكوع، فصرخ
بالدنية الفرع الفرع، فترامت الخيول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان أول من انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفرسان: المقداد بن عمرو،
وهو الذي يقال له: المقداد بن الأسود، حليف بني زهرة، ثم كان أول فارس وقف على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد المقداد من الأنصار، عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن
زعرور، أحد بني عبد الأشهل، وسعد بن زيد، أحد بني كعب بن عبد الأشهل، وأسيد بن
ظهير، أخو بني حارثة بن الحارث: يشك فيه، وعكاشة بن محصن، أخو بني أسد بن خزيمه،
ومحرز بن فضلة، أخو بني أسد بن خزيمه، وأبو قتادة الحارث بن ربعي، أخو بني سلبه،
وأبو عياش، وهو عبيد بن زيد بن الصامت، أخو بني زريق. فلما اجتمعوا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أمس عليهم سعد بن زيد، فيما بلغني، ثم قال: أخرج في طلب القوم؛ حتى
ألحقك في الناس.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما بلغني عن رجال من بني زريق، لأبي عياش:
يا أبا عياش، لو أعطيت هذا الفرس رجلاً، هو أفرس منك فلحق بالقوم؟ قال أبو عياش:
فقلت يا رسول الله، أنا أفرس الناس، ثم ضربت الفرس، فوالله ما جرى بي خمسين ذراعاً
حتى طرحتني، فمضت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لو أعطيت أفرس منك، وأنا
أقول: أنا أفرس الناس، فزعم رجال من بني زريق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى

فرس أبي عياش معاذ بن ماعص، أو عاتذ بن ماعص بن قيس بن خلدة، وكان ثامنا، وبعض الناس يعد سلة بن عمرو بن الأكوع أحد الثمانية، وي طرح أسيد بن ظهير، أخا بني حارثة، والله أعلم أى ذلك كان. ولم يكن سلة يومئذ فارسا، وقد كان أول من لحق بالقوم على رجله. نخرج الفرسان في طلب القوم حتى تلاحقوا.

محرز بن فضلة ومقته: قال ابن إسحاق: خدثني عاصم بن عمرو بن قتادة: أن أول فارس لحق بالقوم محرز بن فضلة، أخو بني أسد بن خزيمه — وكان يقال لمحرز: الآخرم، ويقال له 'قير' — وأن الفزع لما كان، جال فرس لمحمود بن مسلمة في الحائط، حين سمع صاهلة الخيل، وكان فرسا صنيعا جاما، فقال نساء من نساء بني عبد الأشهل، حين رأين الفرس يجول في الحائط بمجدع نخل هو مربوط فيه: يا قير، هل لك في أن تركب هذا الفرس؟ فإنه كما ترى، ثم تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين؟ قال: نعم، فأعطيته إياه. نخرج عليه، فلم يلبث أن بذ الخيل بجحامة، حتى أدرك القوم، فوقف لهم بين أيديهم، ثم قال: قفوا يا معشر بني السكينة (١) حتى يلحق بكم من وراءكم من المهاجرين والأنصار. قال: وحل عليه رجل منهم فقتله، وجال الفرس، فلم يقدر عليه حتى وقف على آريه (٢) من بني عبد الأشهل فلم يقتل من المسلمين غيره.

قال ابن هشام: وقتل يومئذ من المسلمين مع محرز، وقاص بن مجزز المدلجي، فيما ذكر غير واحد من أهل العلم.

أفراس المسلمين: قال ابن إسحاق: وكان اسم فرس محمود: ذا اللمة.

قال ابن هشام: وكان اسم فرس سعد بن زيد: لاحق، واسم فرس المقداد بعرجة، ويقال: سبيحة، واسم فرس عكاشة بن محسن: ذو اللمة، واسم فرس أبي قتادة: حزوة، وفرس عباد بن بشر: لامع، وفرس أسيد بن ظهير: مستون، وفرس أبي عياش: جلوة (٣).

(١) السكينة: اللثيمة. (٢) يقصد بالآريه هنا الموضع الذي يربط به الفرس. (٣) البعرجة: شدة جرى في مغالبة، كأنه منحوت من بعج إذا شق، وعز، أى: غلب وأما سبيحة فن سبيح إذا علا علوا في اتساع ومنه: سبحان الله، وسبحات الله: عظمته وعلوه لأن الناظر المفكر في الله سبحانه يسبح في بحر لا ساحل له، وأما حزوة: فن حزوت الظير إذا زجرتها، أو من حزوت الشيء إذا أظهرته، قال الشاعر:

(١٢ - السهة النبوية، ج ٢)

قال ابن إسحاق : وحديثي بعض من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك : أن مجزراً إنما كان على فرس لمكاشة بن حصن ، يقال له الجناح ، فقتل مجزراً واستلبت الجناح .

قتل المشركين : ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة الحارث بن ربعي ، أخو بني سلمة ، حبيب بن عينة بن حصن ، وغشاه برده ، ثم لحق بالناس .

وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : فإذا حبيب مسجى ببرد أبي قتادة ، فاسترجع الناس وقالوا : قتل أبو قتادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأبي قتادة ، ولكنه قيل لأبي قتادة ، وضع عليه برده ، لتعرفوا أنه صاحبه .

وأدرك عكاشة بن محسن أوباراً وابنه عمرو بن أوبار ، وهما على بعير واحد ، فاتنظهما بالرح ، فقتلها جميعاً ، واستنقذوا بعض اللقاح ، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجل من ذي قرد ، وتلاحق به الناس ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم به ، وأقام عليه يوماً وليلة : وقال له سلة بن الأكوع : يا رسول الله ، لو سرحني في مائة رجل لاستنقذت بقية السرح ، وأخذت بأعناق القوم ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني : لأنهم الآن ليغبقون^(١) في غطفان .

تقسيم الثغى بين الساميين : فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه في كل مئة رجل جزورا ، وأقاموا عليها ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قابلاً حتى قدم المدينة .

لا نذر في معصية : وأقبلت امرأة الغفاري^(٢) على ناقة من ليل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قدمت عليه فأخبرته الخبر ، فلما فرغت ، قالت : يا رسول الله ، إني قد نذرت الله أن أنحرها إن نجاني الله عليها : قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بئس

= ترى الأمعز المحزو فيه كأنه من الحر واستقباله الشمس مسطح وجلوة : من جلوت السيف ، وجلوت العروس ، كأنها تجلو النعم عن قلب صاحبها . ومسنون من سنت الحديد إذا صقلتها . الروض الأنف ج ٤ ص ١٥

(١) الغبق : شرب اللبن بالعشى . (٢) اسمها : ليلي .

ماجزيتها أن حملك الله عليها ونجّاك بها ثم تحرّيتها ! لأنه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا يملكين ، إنما هي ناقة من إبلى ، فارجمي إلى أهلك على بركة الله .

والحديث عن امرأة الغفاري وما قالت ، وما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن أبي الزبير المكي ، عن الحسن بن أبي الحسن البصري .

ما قيل من الشعر في يوم ذي قرد : وكان بما قيل من الشعر في يوم ذي قرد قول حسان ابن ثابت :

لولا الذي لاقت ومس نسورها	بجنوب ساية أمس في القواد ^(١)
للقينكم يحملن كل مدجج	حامي الحقيقة ماجد الأجداد
ولسر أولاد اللقيطة أتنا	سلم غداة فوارس المقداد
كنا ثمانية وكانوا جحفا	لجبا فشكوا بالرماح بداد
كنا من القوم الذين يلونهم	ويقدمون عنان كل جواد
كلا ورب الراقصات إلى منى	يقطعن عرض مخارم الأطواد ^(٢)
حتى نذيل الخيل في عرصاتكم	وتؤوب بالملكات والأولاد ^(٣)
رهماً بكل مقلص وطمرة	في كل معترك عطفن روادى ^(٤)
أفنى دوابرها ولاح متونها	يوم تقاد به ويوم طراد
فكذلك إن جيسادنا ملبونة	والحرب مشعلة بريح غواد ^(٥)

(١) الضمير في لاقت وما بعدها للخيل ، والنسر كالنواة في باطن حوافر ، وفي الفرس عشرون عضواً ، كل عضو منها يسمى باسم طائر ، النسر والنعامة والحمامة والسهماء والسعدانة وهي الحمامة والقطاة والذباب والعصفور والغراب والصرد والصقر والحرب والناهض ، وهو فرخ العقاب والخطاب الخ . وساية : اسم موضع .

(٢) الراقصات : الإبل . والرقص للإبل : نوع من المشى . الخارم : الطزق . الأطواد : الجبال

(٣) نذيل الخيل : نيجملها تبول .

(٤) الرهما : المشى في تودة . المقلص : المشمر . طمرة : فرسة سريعة . روادى : سريعة .

(٥) ملبونة : تسقى اللبن

وسيفنا بيض الحدائد تجتلى جنن الحديد وهامة المرتاد^(١)
أخذ الإله عليهم الحرامه وامزة الرحمن بالأسداد
كانوا بدار ناعمين فبدلوا أيام ذى قرد وجوه عباد
قال ابن هشام : قلنا قالها حسان غضب عليه سعد بن زيد ، وحلف أن لا يكلمه أبداً ؛ قال :
انطلق إلى خيلي وفوارسى فجعلها للقداد ؛ فاعتذر إليه حسان وقال : والله ما ذاك أردت ،
ولكن الروى وافق اسم المقداد ؛ وقال أبياتا يرضى بها سعداً :

إذا أردتم الأشد الجلداً أو ذا غناء فعليكم سعدا
سعد بن زيد لا يهد هدا

لم يقبل منه سعد ولم يغن شيئا .

وقال حسان بن ثابت في يوم ذى قرد :

أظن عينه إذ زارها بأن سوف يهدم فيها قصورا
فأكذبت ما كنت صدقته وقتلتم سننهم أمراً كبيراً
فعمت المدينة إذ زرتها وآنت للأسد فيها زئيراً
فولوا سراعاً كشد النعام ولم يكشفوا عن ملط حصيراً^(٢)
أمير علينا رسول الملك أحجب بذاك إلينا أميراً
رسول نصديق ما جاءه ويتلو كتاباً مضيناً منيراً

وقال كعب بن مالك في يوم ذى قرد للفوارس :

أتعجب أولاد اللقيطة أتسا على الخيل لسا مثلهم في الفوارس
ولنا أناس لانرى القتل سبة ولا نثنى عند الرماح المداعس^(٣)

(١) تجتلى : تقطع . الجنن : الأسلحة . والمرتاد : المحارب .

(٢) ملط : من قولهم : ألطت الناقة بذنبها إذا وضعت بين فخذيها ؛ يريد أنهم لم يستطيعوا
الإغارة على العير ولم يكشفوا ما تستر به .

(٣) المداعس : المطاعن .

ولانا لنقرى الضيف من قع الذرا ونضرب رأس الأبلخ المتشاوس^(١)
 نرد كاة المملين إذا انتخوا بضرب يسلى نخرة المتقاعس^(٢)
 بكل فنى حامى الحقيقة ماجد كريم كسرحان الغضاة غالس^(٣)
 يندودون عن أحسابهم وتلادهم بديع تقد الهام تحت القوانس
 فسائل بنى بدر إذا ما لقيتهم بما فعل الإخوان يوم التمارس
 إذا ما خرجتم فاصدقوا من لقيتم ولا تكنموا أخباركم فى المجالس
 وقولوا زللتنا عن مخالف خادر به وكحرفى الصدر ما لم يمارس^(٤)

قال ابن هشام : أنشدنى بيته : ولانا لنقرى الضيف ، أبو زيد .

: قال ابن إسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمى ، فى يوم ذى قرد : لعينة بن حصن ،
 وكان عينة بن حصن يكنى بأبى مالك :

فهلأ كررت أبا مالك وخيلك مدبرة تقتل
 ذكرت الإياب إلى عسجر وهيات قد بعد المحقل^(٥)
 وطمنت نفسك ذا ميعه مسح الغضاة إذا يرسل^(٦)
 إذا قبضته إليك الشما ل جاش كما اضطرم الرجل
 فلما عرفتم عباد الإله لم ينظر الآخر الأول
 عرفتم فوارس قد عودوا طراد الكاة إذا أسهلوا^(٧)
 إذا طردوا الخيل تشقى بهم فضاها وإن يطردوا ينزلوا
 فيعتصموا فى سواء المقام م بالبيض أخلصها الصيقل

(١) قع الذرا : أعالى الأسنمة . الأبلخ : المتعاطم . المتشاوس : الجرى . فى القتال .

(٢) انتخوا : تكبروا . المتقاعس : الراكب رأسه .

(٣) السرحان : الذئب . وغضاة : جمعها غضا : شجر خشبه من أصلب الخشب وجره
 شديد الالتهاب ، ويقال ذئب الغضا : مثل يضرب فى الخداع والاحتيال .

(٤) الخادر : الأسد الذى يلزم الحدر وهو بيته . الوجز : الحقد .

(٥) عسجر : موضع بمكة .

(٦) ذا ميعه ، : ذو نشاط . المسح : الكثير الجرى .

(٧) أسهلوا : نزلوا السهل .

غزوة بني المصطلق

في شعبان سنة ست

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجباً ، ثم غزا بني المصطلق من خزاعة ^(١) ، في شعبان سنة ست .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري ؛ ويقال : نيلة بن عبدالله الليثي .

سببها : قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ، وعحمد بن يحيى بن حبان ، كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق ، قالوا : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بني المصطلق يجمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية بنت الحارث ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم خرج إليهم ، حتى لقيهم على ماء لهم يقال له : المريسيع ^(٢) ، من ناحية قديد إلى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا ، فهزم الله بني المصطلق ، وقتل من قتل منهم ، ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأقامهم عليه .

استشهدوا ابن صبابه خطأ : وقد أصيب رجل من المسلمين من كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر ، يقال له : هشام بن صبابه ؛ أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت ، وهو يرى أنه من العدو ، فقتله خطأ .

الفتنة بين المهاجرين والأنصار : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الماء ، وردت وأردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار ، يقال له : جهجاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسان بن وبر ^(٣) الجهني ، حليف بني عوف بن الخزرج على الماء ،

(١) وهم بنو جذيمة بن كعب من خزاعة ، لجذيمة هو المصطلق وهو مفتعل من الصاق ، وهو رفع الصوت (٢) المريسيع ، وهو ماء لخزاعة ، وهو من قولهم : رست عين الرجل : إذا دمت من فساد .

(٣) وقيل له : سنان بن تميم ، من جينة بن سود بن أسلم حليف الأنصار . انظر الروض الأفق بتحقيقنا ج ٣ ص ١٥ .

فاقتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار، وصرخ جهمجاه: يا معشر المهاجرين^(١)؛ فغضب عبد الله بن أبي بن سلول، وعنده رطل من قومه فيهم: زيد بن أرقم، غلام حدث، فقال: أوقد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجلابيب قریش^(٢) إلا كما قال الأول: ممن كلبك يا كلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الأذل. ثم أقبل على من حضره من قومه، فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتهم بلادكم، وقاسمتهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم. فسمع ذلك زيد بن أرقم، فحشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه، فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب، فقال: مر به عباد بن بشر فليقتله؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه! لا ولكن أذن بالرحيل، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها، فارتحل الناس.

نفاق ابن أبي: وقد مشى عبد الله بن أبي بن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه، خلف بالله: ما قال، ولا تكلمت به. — وكان في قومه شريفا عظيما، فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه

(١) وفي الصحيح أنه عليه السلام حين سمعها منها، قال: دعوها فإنها منتنة، يعني: لأنها كلمة خبيثة، لأنها من دعوى الجاهلية، وجعل الله المؤمنين إخوة وحزبا واحدا، فإنما ينبغي أن تكون الدعوة يا للمسلمين؛ فن دعوى الإسلام بدعوى الجاهلية فيتوجه للفقهاء فيها ثلاثة أقوال: أحدها: أن يجلد من استجاب لها بالسلاح خمسين سوطا اقتداء بأبي موسى الأشعري في جلده التابعة الجمعدى خمسين سوطا حين سمع بالعامر، فأقبل يشتد بعصية له. والقول الثاني: إن فيها الجلودون العشرة لئنه عليه السلام أن يجلد أحد فوق العشرة إلا في حد، والقول الثالث: اجتهد الإمام في ذلك على حسب ما يراه من سد الذريعة وإغلاق باب الشر، إما بالوعيد، وإما بالسجن وإما بالجلد.

فإن قيل: إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعاقب الرجلين حين دعوا بها؟ قلنا: قد قال دعوها فإنها منتنة، فقد أكد النهي، فن عاد إليها بعد هذا النهي، وبعد وصف النبي صلى الله عليه وسلم لها بالإنتان وجب أن يؤدب.

(٢) لفظ أطلقته قریش على المهاجرين.

يارسول الله، عسى أن يكون الغلام قد أوتهم في حديثه، ولم يحفظ ما قال، حدبا على ابن أبي
ابن سلول، ودفعما عنه .

قال ابن إسحاق : فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار، لقيه أسيد بن حضير،
لحياء بتحية النبوة وسلم عليه، ثم قال : يا نبي الله، والله لقد رحمت في ساعة منكرة، ما كنت
تروح في مثلها؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟ قال : وأى
صاحب يارسول الله قال : عبد الله بن أبي : قال : وما قال؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى
المدينة ليخرجن الأعرث منها الأذل، قال : فأنت يارسول الله والله تخرجه منها إن شئت، هو
والله الذليل وأنت العزيز؛ ثم قال : يارسول الله، أرفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإن
قومه لينظّمون له الخرز ليتوجه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكا .

ثم مثى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليتهم حتى أصبح،
وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض
فوقعوا نياما، وإنما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشغل الناس عن الحديث الذي
كان بالأمس، من حديث عبد الله بن أبي .

ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس، وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز
فويق النقيع؛ يقال له : بقعاء . فلما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم هبت على الناس ريح
شديدة آذتهم وتخوفوها؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تخافوها، فإنما هبت لموت
عظيم من عظماء الكفار . فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن الثابت، أحد بني قينقاع
وكان عظيما من عظماء يهود، وكهفا للمنافقين، مات في ذلك اليوم .

ما نزل في ابن أبي : ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في ابن أبي ومن كان
على مثل أمره، فلما نزل أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد بن أرقم، ثم قال :
هذا الذي أوفى الله بأذنه . وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه .

موقف عبد الله من أبيه : قال ابن إسحاق : لحدثني عاصم بن قتادة : أن عبد الله أتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم، فقال : يارسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك
عنه، فإن كنت لابد فاعلا فرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علت الخورج ما كان
لها من رجل أبر بوالده مني، ولاني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر
إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس، فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر، فأدخل النار؛ فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بل تفرق به ونحسن صحبته ما بقى معنا .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب ، حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف ترى يا عمر ؛ أما والله لو قتلته يوم قلت أقتله . لا زعديت له آمنف ، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته ؛ قال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى .

مخادعة مقيس : قال ابن إسحاق : وقدم مقيس بن صباية من مكة مسلماً ، فيما يظهر ، فقال : يا رسول الله ، جئتكم مسلماً ، وجئتكم أطلب دية أخى ، قتل خط . فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه هشام بن صباية ؛ فأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتداً ؛ فقال فى شعر يقوله :

شفى النفس أن مات بالقاع مستدا	تضرج ثوبيه دماء الأخادع ^(١)
وكانت هموم النفس من قبل قتله	تلم فتحمينى وطاء المضاجع
حللت به وترى وأدركت ثورتى	وكنت إلى الأوثان أول راجع
ثارت به فهراً وحملت عقله	سراة بنى التجار أرياب فارع ^(٢)

وقال مقيس بن صباية أيضاً :

جللته ضربة بات لها وشل	من نافع الجوف يعلوه وينصرم
فقلت والموت تغشاه أسرته	لا تأمنن بنى بكر إذا ظلموا

قال ابن هشام : وكان شعار المسلمين يوم بنى المصطلق : يا منصور ، أمت أمت .

قتلى بنى المصطلق : قال ابن إسحاق : وأصيب من بنى المصطلق يومئذ ناس ، وقتل على بن أبى طالب منهم رجلين ، مالك وإبنة ، وقتل عبد الرحمن بن عوف رجلاً من فرسانهم ، يقال له : أحمر ، وأحيمر .

جويرية بنت الحارث رضى الله عنها : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب منهم سبياً كثيراً ، فشا قسمه فى المسلمين ؛ وكان فيمن أصيب يومئذ من السبائا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ،

(١) الأخادع : يريد الأخدعان : وهما عرفان باللقا .

(٢) فارع : حصن لبنى التجار بالمدينة .

قالت : لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني المصطلق ، وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوة مملوكة ، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه في كتابتها قالت عائشة : فوالله ما هو إلا أن رأيتهما على باب حجرتي فسكرتهما : وعرفت أنه سبى منها صلى الله عليه وسلم ما رأيته ، فدخلت عليه ، فقالت : يا رسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، سيد قومه ، وقد أصابني من البلاء ، ما لم يخف عليك ، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسي ، فحسبك أستعينك على كتابتي ؛ قال : فهل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضى عنك كتابتك وأتزوجك : قالت : نعم يا رسول الله ؛ قال : قد فعلت^(١) .

قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية ابنة الحارث بن أبي ضرار ، فقال الناس : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرسلوا ما بأيديهم قالت : فلقد أعتق بزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، فما علم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها .

قال ابن هشام : ويقال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق ومعه جويرية بنت الحارث ، وكان بذات الجيش ، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعة ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث

(٢) وكان نظره عليه السلام لجويرية حتى عرف من حسنها ما عرف ، فإنما ذلك لأنها كانت امرأة مملوكة ، ولو كانت حرة ما ملأ عينه منها ، لأنه لا يسكره النظر إلى الإماء ، وجاز أن يكون نظر إليها ، لأنه نوى نكاحها ، كما نظر إلى المرأة التي قالت له : إني قد وهبت لك نفسي يا رسول الله ، فصعد فيها النظر ثم صوب ، ثم أنكحها من غيره ، وقد ثبت عنه عليه السلام الرخصة في النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها ، وقال للغيرة حين شاوره في نكاح امرأة : لو نظرت إليها ، فإن ذلك أحرى أن يؤدم بينكما ، وقال مثل ذلك لمحمد بن مسلمة حين أراد نكاح ثبينة بنت الضحاك ، وقد أجازته مالك في إحدى الروايتين عنه ، وفي مسند البزار من طريق أبي بكرة لا حرج أن ينظر الرجل إلى المرأة قبل التزويج ، وأورد في الباب قوله عليه السلام لعائشة أريتكم في المنام يحى بك الملك في سرقة من حرير ، فكشفت عن وجهك ، فقال : هذه امرأتك فقالت : إن يكن من عند الله يحضه . وهذا الاستدلال حسن .

ابن أبي ضرار بفداء ابنته ؛ فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء ، فرغب في بيعين منها ، فبعيهما في شعب من شعاب العقيق ، ثم أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا محمد ، أصبحت ابنتي ، وهذا فداؤها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق ، في شعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت محمد رسول الله فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله ، فأسلم الحارث ، وأسلم معه ابنتان له ، وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ودفعت إليه ابنته جويرة ، فأسلت ، وحسن إسلامها ؛ فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أيها ، فزوجه إياها ، وأصدقها أربعمائة درهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن رومان : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد إسلامهم الوليد بن عتبة بن أبي معيط ، فلما سمعوا به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم هاجم فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أن القوم قد هموا بقتله ، ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم ، فأكثر المسلمون في ذكر غزوهم ، حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوهم ، فيبذلهم على ذلك قدم وقدمهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ، سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لنكرمه ، ونؤدى إليه ما قبلنا من الصدقة ، فانشمر^(١) راجعا ، فبأننا أنه زعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا خرجنا إليه لنقتله ، ووالله ما جئنا لذلك ، فأرسل الله تعالى فيه وفيهم : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاستناب فقتلوا أن تصيبوا قوما بجهالة ، فتضربوا على ما فعلتم نادمين . واغلبوا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم . . . » إلى آخر الآية .

وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، كما حدثني من لا أتهم عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ، حتى إذا كان قريبا من المدينة ، وكانت معه عائشة في سفره ذلك ، قال فيها أدل الإنك ما قالوا .

خبر الإنك في غزوة بني المصطلق

قال ابن إسحاق : حدثنا الزهري ، عن علقمة بن وقاص ، وعن سعيد بن جبير ، وعن عروة ابن الزبير ، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : كل قد حدثني بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كأروى له من بعض ، وقد جمعت لك الذي حدثني القوم . قال محمد بن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة

(١) انشمر : أسرع .

وعبد الله بن أبي بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، عن نفسها ، حين قال فيها أهل الإنفك ما قالوا ، فكل قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه ، وكل كان عنها ثقة ، فكلهم حدث عنها ما سمع ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأتيهن خرج سهمها خرج بها معه ؛ فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهن معه ، فخرج بي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالت : وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق^(١) لم يهجن اللحم فيثقلن ، وكنت إذا رُحِل لي بعيرى جلست في هودجى ، ثم يأتى القوم الذين يرحلون لى ويحملوننى ، فأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه ، فيضعونه على ظهر البعير ، فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، وجه قافلاً ، حتى إذا كان قريباً من المدينة فنزل منزلاً ، فبات به بعض الليل ، ثم أذن في الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتى ، وفى عنق عقدي ، فيه جزع ظفار^(٢) ، فلما فرغت انسل من عنقي ولا أدرى ، فلما رجعت إلى الرجل ذهبت ألتصقه فى عنقي ، فلم أجده ، وقد أخذ الناس فى الرحيل ، فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت إليه ، فالتصته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافاً ، الذين كان يرحلون لى البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أنى فيه ، ثم أخذوا برأس البعير ، فانطلقوا به ، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا مجيب . قد انطلق الناس .

قالت : فتأنفت ببجلابى ، ثم اضطجعت فى مكانى ، وعرفت أن لو قد افترقت لرُجع لى ، قالت : فوالله إنى لمضطجعة إذ مر بى صفوان بن المطلب السلى ، وقد كان تخلف عن العسكر بعض حاجته^(٣) ، فلم يبت مع الناس ، فرأى سوادى ، فأقبل حتى وقف على ، وقد كان يرانى

(١) العلق : جمع علقه : ما يتعلل به قبل وجبة الطعام الأساسية .

(٢) الجزع : الخرز . ظفار : مدينة باليمن ينسب إليها هذا الخرز .

(٣) وهو صفوان بن ربيعة بن خزاعى بن محارب بن مرة بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة ابن ساهم السلى . الذكوانى ، يكنى أبا عمرو ، وكان يكون على ساقه العسكر يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين ، حتى يأتهم به ، ولذلك تخلف فى هذا الحديث الذى قال فيه أهل الإنفك ما قالوا ، وقد روى فى تخلفه سبب آخر ، وهو أنه كان ثقیل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس ويشهد لصحة هذا حديث أبى داود أن امرأة صفوان اشتكت به إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - وذكرت أشياء منها أنه لا يصل الصبح ، فقال صفوان : يا رسول الله لى امرؤ ثقیل الرأس =

فبل أن يضرب علينا الحجاب ، فلما رآني قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ظعينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وأنا متلففة في ثيابي ؛ قال : ما خلفك يرحمك الله ؟ قالت : فاكلته ، ثم قرب البعير ، فقال : اركبي ، واستأخر عني . قالت : فركبت ، وأخذ برأس البعير ، فانطلق سريعا ، يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افترقت حتى أصبحت ؛ ونزل الناس ، فلما أطمأنوا طلع الرجل يقودني ، فقال أهل الإنك ما قالوا ، فارتعج ^(١) العسكر ، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك .

ثم قدمنا المدينة ، فلم ألبث أن اشتكيت شكوئى شديدة ، ولا يبلغني من ذلك شيء ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى أبوي لا يذكرون لي منه قليلا ولا كثيرا ، إلا أنني قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لطفه بي ، كنت إذا اشتكيت رحمي ، ولطف بي ، فلم يفعل ذلك بي في شكواي تلك : فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل على وعندى أمي تمرضني — قال ابن هشام : وهي أم رومان ، واسمها زينب بنت عبد دهمان ، أحد بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة — قال : كيف تيك ، لا يريد على ذلك .

قال ابن إسحاق : قالت : حتى وجدت في نفسي ، فقلت : يا رسول الله ، حين رأيت ما رأيت من جفائه لي : لو أذنت لي ، فانتقلت إلى أمي ، فرضنتي ؟ قال : لا عليك . قالت : فانتقلت إلى أمي ، ولا علم لي بشيء مما كان ، حتى تقيت من وجمي بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنا قوماعربا لا نتخذ في بيوتنا هذه الكنف التي تتخذها الأعاجم ، نعاقي ونكرها ، إنما كنا نذهب في فسخ المدينة ، إنما كانت النساء يخرجن كل ليلة في حوائجهن ، فخرجت ليلة لبعض حاجتي ومعى أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها بنت صخر بن عامر بن كعب بن تميم ، خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه : قالت : فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مرطها ^(٢) ؛ فقالت : تعس مسطح ! ومسطح لقب واسمه عوف ، قالت : قلت : بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرأ ، قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر ؟ قالت :

== لا أستيقظ حتى تطلع الشمس . فقال له النبي عليه السلام : فإذا استيقظت فصل ، وقد ضعف البزار حديث أبي داود هذا في مسنده . وقتل صفوان بن المعطل شهيداً في خلافة معاوية ، وأندقت رجله يوم قتل . فطاعن بها ، وهي منكسرة حتى مات ، وذلك بالجزيرة بموضع يقال له شيطاط .

(١) ارتعج : اضطرب . (٢) مرطها : كساؤها .

قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك ، قالت : قلت : أوقد كان هذا ؟ قالت نعم والله فقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتي ، ورجعت ، فوالله ما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي ، قلت : وقلت لأبي : يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به ، ولا تذكرين لي من ذلك شيئا ! قالت : أي بنية ، خفصني عليك الشأن ، فوالله لقلبا كانت امرأة حسناء ، عند رجل يحبها ، لها ضرائر ، إلا كثرت وكثر الناس عليها .

قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، ما بال رجال يؤذونني في أهلي ، ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت منهم إلا خيرا ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيرا ، وما يدخل بيتا من بيوت إلا وهو معي .

قالت : وكان كبر ذلك (١) عند عبد الله بن أبي بن سلول في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحننة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن من نساء امرأة تناصيني (٢) في المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدنيها فلم تقل إلا خيرا وأما حننة بنت جحش ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تضادني لأختها ، فشقيت بذلك .

فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة ، قال أسيد بن حضير : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس نكفهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم ؛ قالت : فقام سعد بن عباد ، وكان قبل ذلك يرمى رجلا صالحا فقال : كذبت لعمر الله ، لا تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ، فقال أسيد : كذبت لعمر الله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين ؛ قالت : وتساور الناس ، حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر . ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على :

قالت ندعا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وأسامة بن زيد ، فاستشارهما : فأما أسامة فأثنى على خيرا ، وقاله ؛ ثم قال يا رسول الله ، أهلك ولا تعلم منهم إلا خيرا ، وهذا الكذب

(١) كبر ذلك : لئمه .

(٢) في الأصول : تناصني ولكن قال السبيل في الروض الاتق أن الحديث في تناصيني من المناصاة ، أي : المساواة . انظر الروض ج ٤ ص ٢١ .

والباطل : وأما على فإنه قال : يا رسول الله إن النساء لكثير ، وإنك لتقدر على أن تستخلف وسل الجارية ، فإنها ستصدقك . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة ليسألها : قالت : فإمام إليها على بن أبي طالب ، فضربها ضرباً شديداً ، ويقول : اصدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم : قالت : فتقول والله ما أعلم إلا خيراً ، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً ، إلا إنى كنت أعجن عجنى ، فأمرها أن تحفظه ، فتام عنه ، فتأتى الشاة فتأكله .

قالت : ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندى أبواى ، وعندى امرأة من الانصار ، وأنا أبكى ، وهى تبكى معى ، جلس ، لحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : يا عائشة ، إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس ، فاتقى الله ، وإن كنت قد قارفت سوءاً بما يقول الناس فتوبى إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده : فوالله ما هو إلا أن قال لى ذلك ، فقلص دمعى حتى ما أحس منه شيئاً ، وانتظرت أبوى أن يجييا عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يتكلم قالت : وإيم الله لانا كنت أحقر فى نفسى ، وأصغر شأننا من أن ينزل الله فى قرآنا يقرأ به فى المساجد ، ويصلى به ، ولكنى قد كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نومه شيئاً يكذب به الله عنى ، لما يعلم من براءتى ، أو يخبر خبراً : فأما قرآن ينزل فى ، فوالله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك . قالت : فلما لم أر أبوى يتكلمان ، قالت : قلت لهما : ألا تجييان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : فقالا : والله ما ندرى بماذا نجييه : قالت : والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام : قالت : فلما أن استعجما على ، استعبرت فبكيت : ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله عما ذكرت أبداً . والله إنى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس ، والله يعلم أنى منه بريئة ، لأقولن ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لأصدقوننى . قالت : ثم التفت اسم يعقوب فأذكره : فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف : « فصر جميل ، والله المستعان على ما تصفون » . قالت : فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه ، فسجسى بشوبه ووضعته له وسادة من آدم تحت رأسه ، بأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ، فوالله ما فرغت ولا باليت قد عرفت أنى بريئة ، وأن الله عز وجل غير ظالمى ، وأما أبواى ، فوالذى نفس عائشة بيده ، ما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ضنات لتخرجن أنفسهما ، فرقا من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس ، قالت : ثم سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جلس ، ولأنه ليتحدر منه مثل الجمان (١) فى يوم شات ، لجلد يمسح العرق عن جبينه ، ويقول : أبشرى يا عائشة ،

فقد أنزل الله براءتك ، قالت قالت : بحمد الله ، ثم خرج إلى الناس ، فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك ، ثم أمر بمسطح بن أثانة ، وحسان بن ثابت ، وحننة بنت جحش ، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة ، فضربوا حدهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار عن بعض رجال بني النجار : أن أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أم أيوب : يا أبا أيوب ، ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب ، أكنت يأم أيوب فاعلة ؟ قالت : لا والله ما كنت لأفعله ، قال : فعائشة والله خير منك .

قالت : فلما نزل القرآن بذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الإنك ، فقال تعالى : إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ، لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم ، والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ، ، وذلك حسان بن ثابت . وأصحابه الذين قالوا ما قالوا .

قال ابن هشام : ويقال : وذلك عبدالله بن أبي وأصحابه .

قال ابن هشام : والذي تولى كبره عبدالله بن أبي ، وقد ذكر ابن إسحاق في هذا الحديث قبل هذا . ثم قال تعالى : ولولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ، : أي فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبه ، ثم قال : إذ تلقوا منه بالسنتكم ، وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم ، وتحسبونه هيئتنا ، وهو عند الله عظيم ، .

فلما نزل هذا في عائشة ، وفيمن قال لها ما قال ، قال ، أبو بكر ، وكان ينفق على مسطح لقربته وحاجته : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً ، ولا أنفقه بنفع أبداً بعد الذي قال لعائشة ، وأدخل علينا ، قالت : أنزل الله في ذلك ، ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ، وليعفوا وليصْفَحُوا لا يحبون أن يغفر الله لكم ، والله غفور رحيم ، .

قال ابن هشام : يقال : كبره وكبره في الرواية ، وأما في القرآن فكبره بالكسر .

قال ابن هشام : ولا يأتل أولوا الفضل منكم ، ولا يأل أولوا الفضل منكم . قال امرؤ القيس بن حجر الكندي :

ألا رب خصم فيك ألوى رددته نصيح على تعذاله غير مؤتل

وهذا البيت في قصيدة له، ويقال: ولا ياتل أولوا الفضل: ولا يحلف أولوا الفضل، وهو قول الحسن بن أبي الحسن البصرى، فيما بلغنا عنه.

وفي كتاب الله تعالى: للذين يؤلون من نسائهم، وهو من الآلية، والآلية: العيين. قال حسان بن ثابت:

آليت ما في جميع الناس مجتهدا مني ألية بر غير إفذا

وهذا البيت في أبيات له، سأذكرها إن شاء الله في موضعها. فغنى: أن يؤتوا في هذا المذهب: أن لا يؤتوا، وفي كتاب الله عز وجل: «يدين الله لكم أن تضلوا»، يريد: أن لا تضلوا؛ «ويسلك السماء أن تقع على الأرض»، يريد: أن لا تقع على الأرض، وقال ابن مفرغ الحميري:

لاذعرت السوام في وضع الصبر ح مغيرا ولا دعيت يزيدا
يوم أعطى مخافة الموت ضيا والمنايا يرصدتى أن أحيدا
يريد: أن لا أحيد؛ وهذان البيتان في أبيات له.

قال ابن إسحاق: قالت: فقال أبو بكر: بلى والله، إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أزعجها منه أبدا.

قال ابن إسحاق: ثم إن صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف، حين بلغه ما كان يقول فيه، وقد كان حسان قال شعرا مع ذلك يعرض بآبن المعطل فيه، وبمن أسلم من العرب من مضر، فقال:

أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا	وابن الفريضة أمسى بيضة البلد ^(١)
قد شككت أمه من كنت صاحبه	أو كان منشبا في برثن الأسد ^(٢)
ما لقتلى الذى أغسده فأخذه	من دية فيه يمتاها ولا قود
ما البحر حين تهب الرياح شامية	فيغطل ويرى العبر بالزبد ^(٣)
يوما بأغلب منى حين تبصرنى	ملقيظ أفرى كفرى العارض البرد ^(٤)

(١) الجلابيب: لفظ تطلقه قرش على من أسلم منهم. بيضة البلد: أى منفرد.

(٢) البرثن: يد الأسد مع أصابعه.

(٣) يغطل: يتحرك. العبر: جانب البحر.

(٤) أفرى: أقطع، العارض البرد: السحاب الحامل للبرد.

أما قرش فإني لن أسألهم حتى ينيبوا من الغيات للرشد
ويتكروا اللات والعزى بمعزلة ويسجدوا كلهم للواحد الصمد
ويشهدوا أن ما قال الرسول لهم حق ويوفوا بهد الله والوكد

فأعترضه صفوان بن المعطل ، فضربه بالسيف ، ثم قال : كما حدثني يعقوب بن عتبة :
تلق ذباب السيف عني فإني غلام إذا هوجيت لست بشاعر

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي : أن ثابت بن قيس بن الشماس
وثب على صفوان بن المعطل ، حين ضرب حسان ، لجمع يديه إلى عنقه بحبل ، ثم انطلق به
إلى دار بني الحارث بن الخزرج ، فلقبه عبد الله بن رواحة ، فقال : ما هذا ؟ قال : أما أعجبك
ضرب حسان بالسيف ! والله ما أراه إلا قد قتله ، قال له عبد الله بن رواحة : هل علم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بشيء مما صنعت ؟ قال : لا والله ! قال : لقد اجتأت ، أطلق الرجل ،
فأطلقته ، ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا ذلك له ، فندعا حسان وصفوان
ابن المعطل ؛ فقال ابن المعطل : يا رسول الله : آذاني وهجاني ، فاحتملي الغضب ، فضربتته ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان : أحسن يا حسان ، أتشوهت^(١) على قومي أن هدام
الله للإسلام ، ثم قال : أحسن يا حسان في الذي أصابك ، قال : هي لك يا رسول الله .

قال ابن هشام : ويقال : أبعد أن هدامكم الله للإسلام .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه عوضاً
منها يبرحاء ، وهي قصر بني حذيلة اليوم بالمدينة ، وكانت مالا لأبي طلحة بن سهل تصدق بها
على آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان في ضربته
وأعطاه سيرين ، أمة قبطية ، فولدت له عبد الرحمن بن حسان ، قالت : وكانت عائشة تقول :
لقد سئل عن ابن المعطل ، فوجدوه رجلاً حصوراً ، ما يأتي النساء ، ثم قتل بعد ذلك شهيداً .

قال حسان بن ثابت يعتذر من الذي كان قال في شأن عائشة رضي الله عنها :

حصان رزان ما تؤمن بريئة وتصبح غرثي من لحوم الغوافل^(٢)

(٢) أتشوهت على قومي : أقبحت ذلك من فعلهم حين سميتهم بالجلاليد من أجل هجرتهم
إلى الله وإلى رسوله . هكذا قال السهيلي في الروض الأوفى ج ٤ ص ٢٢ .

(١) حسان : فعال يفتح الحاء يكثر في أوصاف المؤنث : وفي الأعلام منها ، كأنهم قصدوا =

عقيلة حتى من لوى بن غالب	كرام المساعي مجدهم غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها	وطهرها من كل سوء وباطل ^(١)
فإن كنت قد قلت الذى قد زعمتم	فلا رفعت سوطى إلى أنامل
وكيف وودى ما حيت ونصرتى	لآل رسول الله زين المحافل
له رتب عال على الناس كلم	تقاصر عنه سورة المتناول
فإن الذى قد قيل ليس بلائط	ولكنه قول امرئ بن ماحل ^(٢)

بتوالى الفتجات مشاكلة خفة اللفظ لخفة المعنى ، أى المسمى بهذه الصفات خفيف على النفس ، وحصان من الحصن والتحصن ، وهو الامتناع على الرجال من نظرم إليها ، وقالت جارية من العرب لأبها :

يا أمنا أبصرنى راكب	يسهر فى مسخفر لاجب
جملت أحنى التراب فى وجهه	حصنا وأحمى حوزة الغائب

فقال لها أبها :

الحصن أدنى لو تأيت من حثيك العرب على الراكب

ذكر هذه الآيات أحمد بن أبى سعيد السيرافى فى شرح آيات الإيضاح . والرزان والثقال بمعنى واحد ، وهى القليلة الحركة .

وقوله : وتصيح غرثى من لحوم الغوافل ، أى خميصة اللبطن من لحوم الناس ، أى اغتيالهم وضرب الغرث مثلاً ، وهو عدم الطعم وخلو الجوف وفى التنزيل « أوجب أحكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً » ضرب المثل لآخذه فى العرض بأكل اللحم . لأن اللحم ستر على العظم ، والشاتم لآخيه كأنه يقشر ويكشف ما عليه من ستره .

وقال : ميتاً ، لأن الميت لا يحس ، وكذا الغائب لا يسمع ما يقول فيه الغتاب ، ثم هو فى التحريم كأكل لحم الميت .

وقوله : من لحوم الغوافل ، يريد : العفاف الغافلة قلوبهن عن الشر ، كما قال سبحانه : « إن الذين يرمون المحسنات الغافلات المؤمنات ، جعلن غافلات ، لأن الذى رمين به من الشر لم يهمن به قط ولا خطر على قلوبهن ، فهن فى غفلة عنه ، وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بالعفاف .

(١) الحميم : الطبع .

(٢) لا تخط : لاصق . ماحل : ماشى بالنيمة .

قال ابن هشام : بيته : « عقيلة حى ، والذي بعده ، وبيته : « له تب عال ، عن أبي زيد الأنصارى .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة : أن امرأة مدحت بنت حسان بن ثابت عند عائشة ، فقالت :

حسان رزان ما تزن برية وتصبح غرثى من لحوم النواقل
فقالت عائشة . لكن أبوها .

قال ابن إسحاق : وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه في فريتهم على عائشة — قال ابن هشام . في ضرب حسان وصاحبه . — .

لقد ذاق حسان الذى كان أهله وحنه إذ قالوا هجيراً ومسطح
تعاطَوْا برجم الغيب زوج نبيهم وسخطة ذى العرش الكريم فأترحوا^(١)
وآذوا رسول الله فيها لجللوا غازى تبقى مغموماً وقضحوا
وصبت عليهم محصداً كأنها شآبيب قطر من ذرا المزن تسفع^(٢)

أمر الحديدية^(٣) في آخر سنة ست ، وذكر بيعة الرضوان

والصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سبيل بن عمرو

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة شهر رمضان وشوالاً ، وخرج في ذى القعدة معتمراً ، لا يريد حرباً .

(١) أترحوا : من الترح وهو الحزن .

(٢) محصداً . صفة لموصوف محذوف معنى سياطاً . والمحصداً المفتولة ، الشآبيب : الدفعات من المطر . تسفع . تسيل .

(٣) يقال فيها : الحديدية بالتخفيف ، وهو الأعراف عند أهل العربية . قال الخطابي : أهل الحديث يقولون : الحديدية بالتشديد ، والجرانة كذلك ، وأهل العربية يقولونها بالتخفيف وقال البكرى : أهل العراق يشددون الراء والياء في الجرانة والحديدية ، وأهل الحجاز يخففون وقال أبو جعفر النحاس : سألت كل من لقيه ممن أثق بعلمه عن الحديدية ، فلم يختلفوا على أنها بالتخفيف .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نيلة بن عبد الله الليثي .

قال ابن إسحاق : واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش الذي صنعوا ، أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدى ، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه ، ويعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عروة بن الزبير عن مسور ابن مخزومة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه قالاً : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالاً ، وساق معه الهدى سبعين بدنة ، وكان الناس سبعمئة رجل ، فكانت كل بدنة عن عشرة نفر .

وكان جابر بن عبد الله ، فيما بلغني ، يقول : كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مئة .

قال الزهري : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي — قال ابن هشام : ويقال بـسر — فقال : يا رسول الله هذه قريش ، قد سمعت بمسيرك ، فخرجوا معهم العوذ المطافيل (١) ، قد لبسوا جلود النخور ، وقد نزلوا بذي طوى (٢) يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم (٣) قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ويح قريش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب ، فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا ، وإن أظهروني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ، فوائده لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة (٤) ، ثم قال : من رجل يخرج بنا عن طريق غير طريقهم التي هم بها ؟

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رجلاً من أسلم قال : أنا يا رسول الله ، قال : فسلك بهم طريقاً وعراً أجزل (٥) ، بين شعاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شق ذلك على

(١) استعمار العوذ المطافيل للنساء مع أولادهن . والعوذ هي الإبل حديثة التاج والمطافيل التي معها أولادها .
 (٢) ذو طوى : موضع قرب مكة .
 (٣) كراع الغميم : موضع بين مكة والمدينة .
 (٤) السالفة : صفحة العقب .
 (٥) الأجزل : كثير الحجارة .

المسلمين وأنضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : قولوا نستغفر الله ونتوب إليه ، فقالوا ذلك ، فقال : والله إنها للحلة ^(١) التى عرضت على بنى إسرائيل . فلم يقولوها .

قال ابن شهاب : فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحش ، فى طريق تخرجه على ثنية المرام مبط الحديدية من أسفل مكة ، قال : فسلك الجيش ذلك الطريق ، فلما رأت خيل قريش قفرة ^(٢) الجيش قد خالفوا عن طريقهم ، رجعوا راكضين إلى قريش ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا سلك فى ثنية المرام بركت ناقته ، فقالت الناس : خلأت ^(٣) الناقة ، قال : ما خلأت وما هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة . لا تدعوني قريش اليوم إلى خلة يسألونى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها . ثم قال للناس : انزلوا : قيل له : يا رسول الله : ما بالوادى ماء تنزل عليه ، فأخرج سهماً من كنانته ، فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل به فى قلب من تلك القلب . ففرزه فى جوفه ، لجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بطن ^(٤)

قال ابن اسحاق : لحدثني بعض أهل العلم عن رجال من أسلم : أن الذى نزل فى القلب بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم بن عمر بن وائلة بن سهم بن مازن بن أسلم بن أفضى بن أبى حارثة ، وهو سائق مبدن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن هشام : أفضى بن حارثة .

قال ابن اسحاق : وقد زعم لى بعض أهل العلم : أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذى نزل بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإله أعلم أى ذلك كان .

وقد أنشدت أسلم أبياتا من شعر قالها ناجية ، قد ظننا أنه هو الذى نزل بالسهم ، فزعمت أسلم أن جارية من الأنصار أقبلت بدلوها ، وناجية فى القلب يبيع على الناس ^(٥) ، فقالت :

(١) وهو قوله تعالى : « .. وقولوا حطة نغفر لكم ذنوبكم ، ومعناها الاستغفار من الذنوب بقولهم اللهم خط عنا ذنوبنا .

(٢) القفرة : الغبار .

(٣) خلأت : بركت وحرنت عن المشى .

(٤) العطن : مبرك الإبل حول الماء .

(٥) يبيع على الناس : يملأ دلاءهم .

يأيها الماسخ دلوى دونكا لاني رأيت الناس يمدحونكا
يشنون حيراً ويمجدونكا

قال ابن مشام : و يروى :

لاني رأيت الناس يمدحونكا

قال ابن إسحاق : فقال ناجية ، وهو في القلب يبيع على الناس :

قد علمت جارية يناديه أني أنا الماسخ واسمي ناجية
وطعنة ذات رشاش وإهيه طعنتما عند صدور العادية^(١)

فقال الزهري في حديثه : فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتابه بديل بن ورقاء الخزاعي ، في رجال من خزاعة ، فكلموه وسألوه : ما الذي جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً ، وإنما جاء زائراً للبيت ، ومعه لخمته ، ثم قال لهم نحواً بما قال لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش ، إنكم تعجلون على محمد ، إن محمداً لم يأت لقتال ، وإنما جاء زائراً لهذا البيت ، فاتهموهم وجبهوهم^(٢) وقالوا : وإن كان جاء ولا يريد قتالاً ، فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ، ولا تحدث بذلك عنا العرب .

قال الزهري : وكانت خزاعة عيبة نصح^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سلبها ومتركها ، لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة .

قال : ثم بعثوا إليه مكرز بن حنظل بن الأخيف ، أخا بني عامر بن لؤي ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً قال : هذا رجل غادر ، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحواً بما قال لبديل وأصحابه : فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة أو ابن زباز ، وكان يومئذ سيد الأحابيش ، وهو أحد بني الحارث بن عبد متاة بن كنانة ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا من قوم

(١) الإهية : المسترخية من اتساعها . (٢) جبهوهم : واجهوهم بما يكرهون .

(٣) عيبة نصح الرجل : موضع سره .

يتأطون ، فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه ، فلما رأى الهدى يدل عليه من عرض^(١) الوادى في قلاته^(٢) ، وقد أكل أوباره من طول الحليس عن محله ، رجع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاما لما رأى ، فقال لهم ذلك . قال : فقالوا له : اجلس ، فإنما أنت أعرابي لا علم لك .

قال ابن إسحاق : لحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن الحليس غضب عند ذلك وقال : يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالناكم ، ولا على هذا عاقدناكم . أريد عن بيت الله من جاء معظما له والذي نفس الحليس بيده ، لتخلن بين محمد وبين ما جاء له ، أو لا نفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد . قال فقالوا له : مه ، كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

قال الزهري في حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفي ؛ فقال : يا معشر قريش ، إنني قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه إلى محمد إذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرثتم أنكم والد وإني ولد — وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس — وقد سمعت بالذي نابكم ، لجمعت من أطاعني من قومي ، ثم جئتم حتى آسيتمكم بنفسى ؛ قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم . فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بين يديه ثم قال : يا محمد ، أجمعت أوشاب الناس^(٣) ، ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها^(٤) بهم ، إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل . قد لبسوا جلود النمر ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبدا . وإيم الله ، لكأنني هؤلاء قد انكشفوا عنك غدا . قال : وأبو بكر الصديق خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد ؛ فقال : امصص بظر اللات ، أنحن نتكشف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبي قحافة ، قال : أما والله لولا يد كانت لك عندى لكافأتك بها ، ولكن هذه بها ، قال : ثم جعل يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه . قال : والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديد . قال : فجعل يقرع يده إذا تناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا تصل إليك ؛ قال : فيقول عروة : وبحك ! ما أنظمك وأغظك ! قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة ؛ قال : أي غدير ، وهل غسلت سوءتك إلا بالأمس .

(١) عرض الوادى : جانبه . (٢) القلات : ما يلقى في أعناق الإبل علامة على أنها هدى .

(٣) أوشاب الناس : أخلاطهم . (٤) بيضة الرجل : عشيرته . ويفضها : يهلكها .

قال ابن هشام : أراد عروة بقوله هذا أن المغيرة بن شعبه قتل ثلاثة عشر رجلا من بني مالك ، من ثقيف ، فتهايج الحيان من ثقيف : بنو مالك رهط المقتولين ، والأحلاف رهط المغيرة ، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية ، وأصلح ذلك الأمر .
قال ابن إسحاق : قال الزهري : فكلّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو مما كلّم به أصحابه ، وأخبره أنه لم يأت يريد حربا .

فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يصبق بصافا إلا ابتدروه . ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه . فرجع إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش ، إني قد جئت كسرى في ملكه ، وقبصر في ملكه . والنجاشي في ملكه ، وإني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه ، ولقد رأيت قوما لا يسلبونه لشيء أبدا ، فروا رأيكم .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش ابن أمية الخزاعي ، فبعثه إلى قريش بمكة ، وحمله على بعيره يقال له الثعلب ، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فمقرّوا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرادوا قتله ، فنتعته الأحابيش ، فخلّوا سبيله ، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض من لا آتهم عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس : أن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين رجلا ، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليصيبوا لهم من أصحابه أحدا ، فأخذوا أخذاً ، فأنى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعفا عنهم ، وخلى سبيلهم ، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل .

ثم دعا عمر بن الخطاب ليعثه إلى مكة ، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله ، إني أخاف قريشا على نفسي . وليس بمكة من عدى بن كعب أحد يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي وإياها ، وغلظي عليها ، ولكني أدلك على رجل أعز بها مني ، عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان ، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش ، يخبرهم أنه لم يأت للحرب ، ولأنه إنما جاء زائرا لهذا البيت ، ومعظما لحرمته .

قال ابن إسحاق : فخرج عثمان إلى مكة ، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به ؛ فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت نطف فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم . واحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قتل .

بيعة الرضوان

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : لا نبرح حتى تناجز القوم ، ندع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة . فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت ، وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لا نفر .

فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، ولم يتخاف عنه أحد من المسلمين حضرها ، إلا الجذ بن قيس ، أخو بني سلبه ، فكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأنى أنظر إليه لأصفا بإبط ناقته . قد ضبا^(١) إليها ، يستتر بها من الناس . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي ذكر من أمر عثمان ياطل .

قال ابن هشام : فذكر وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي : أن أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي .

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به عن حديثه بإسناده ، عن ابن أبي مليكة عن ابن أبي عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى .

أمر الهدنة : قال ابن إسحاق : قال الزهري : ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو ، أخا بني عامر بن لؤي ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا له : أنت محمدأ فصالحه ، ولا يكن في صالحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، نوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا غنوة أبدا . فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا ، قال : قد أراد القوم الصلح

(١) ضبا إليها : احتفى بها .

بين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح .

فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب ، فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : نعلم نعطى الدية (١) في ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر ، الزم غرزه (٢) ، فإني أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ألسنت برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : نعلم نعطى الدية في ديننا ؟ قال : أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ، ولن يضيئني ! قال : فكان عمر يقول : ما زلت أصدق وأصوم وأحلى وأعتق ، من الذي صنعت يومئذ ، غافة كلامي الذي تكلمت به ، حتى رجوت أن يكون خيراً .

شروط الصلح : قال : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فقال : أكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن أكتب : باسمك اللهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم ، فكتبها ، ثم قال : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، قال : فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقانلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، قال : فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيمن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً مع محمد لم يردوه عليه ، وإن بيننا عيبة مكفوفة (٣) ، وأنه لا إسلال ولا إخلال (٤) ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه .

فتوالت خزاعة فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده ، وتوالت بنو بكر ، فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم . وأنت ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل ، خرجنا عنك فدخلناها بأصحابك ، فأقت بها ثلاثاً ، معك سلاح الراكب ، السيوف في القرب ، لا تدخلها بغيرها .

(١) الدية : الذل . (٢) الزم غرزه : أى الزم أمره .

(٣) عيبة مكفوفة : أى صدور منطوية على ما فيها .

(٤) الإسلال : السرقة خفية . الإخلال : الحيانة .

أبو جندل بن سهيل : نبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد ، قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون في الفتح ، لرؤيا رأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع ، وما تبدل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم ، حتى كادوا يهلكون ، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه ، وأخذ بتليبيه ، ثم قال : يا محمد ، قد لجت ^(١) القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال : صدقت ، فجعل ينتره بتليبيه ، ويجمعه ليرده إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ، أأرد إلى أشركين يفتنون في ديني ؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا جندل ، أصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، إننا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا ، وأعطيناكم على ذلك ، وأعدونا عهد الله ؛ وإننا لا نغدر بهم ، قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ؛ ويقول : أصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإننا دم أحدهم دم كلب . قال : ويدني قائم السيف منه . قال : يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ، فضن الرجل بأبيه ، ونفذت القضية .

من شهدوا على الصلح : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب أشتمد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسلمة ، ومسكيز بن حفص ، وهو يومئذ مذكرك ، وعلى بن أبي طالب وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة .

١١ حلال : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطربا في الحل وكان يصلي في الحرم ، فلما فرغ من الصلح قدم إلى مدينته فنهجه ، ثم جلس خفاق رأسه ، وكان الذي حلقه ، فيما بلغني ، في ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي ، فلما رأى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحر وحق توائموا يشحرون ويحلقون .

قال ابن إسحاق : أخذني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : حلق رجال يوم الحديبية ، وقصر آخرون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحم الله المحلقين قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله المحلقين ، قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال :

يرحم الله المحققين ، قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال : والمقصرين ، فقالوا : يارسول الله : فلم ظهرت (١) الترحيم للمحققين دون المقصرين ؟ قال : لم يشكروا .

وقال عبد الله بن أبي نجيح : حدثني مجاهد ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى عام الحديبية في هداياه جلالاتي جهل ، في رأسه برة (٢) من فضة ، يغيظ بذلك المشركين .

نزول سورة الفتح : قال الزهري في حديثه : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلاً ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة ، نزلت سورة الفتح : «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً ، ثم كانت فيه وفي أصحابه ، حتى انتهى من ذكر البيعة ، فقال جل ثناؤه : «إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن تكث فإنما يتكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله ، فسيؤتيه أجراً عظيماً ،

ثم ذكر من تخلف عنه من الأعراب ، ثم قال : حين استفرغ للخروج معه فأبطأوا عليه : «سيقول لك الخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا وأهلونا ، ثم القصة عن خبرهم ، حتى انتهى إلى قوله : «سيقول الخلفون إذا انطلقتم إلى مقام لتأخذوها ذرونا تتبعكم ، يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعوننا كذلككم قال الله من قبل ، ... ثم القصة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولى البأس الشديد .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : فارس . قال ابن إسحاق : وحدثني من لائهم ، عن الزهري أنه قال : أولوا البأس الشديد : حليفة مع الكذاب .

ثم قال تعالى : «لقد رضى الله عن المؤمنين إذا يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ، وأثابهم فتحاً قريباً . ومغانم كثيرة يأخذونها ، وكان الله عزيزاً حكماً . وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه ، وكف أيدي الناس عنكم ، ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً . وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها ، وكان الله على كل شيء قديراً .

(١) ظهرت : قويت وأكثت .

(٢) البرة : حلقة تجعل في أقف البعير ليندل بها وكانت في العادة من خشب أو شعر .

ثم ذكر محبسه وكفه إياه عن القتال ، بعد الظفر منه بهم ، يعنى الظفر الذين أصاب منهم وكفهم عنه ، ثم قال تعالى : « وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم بطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ، وكان الله بما تعملون بصيراً » . ثم قال تعالى : « هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والمهدى معكوفاً أن يبلغ محله » .

قال ابن هشام المكوف : المحبوس ، قال أعشى بن قيس بن ثعلبة :
وكان السموط عكفه السل — لك بعطى "جيداء" أم غزال (١)
وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : « ولولا رجالا مؤمنون ونساء مؤمنات لم يعلموا أن تطئوه فتصيبكم منهم معرفة بغير علم » ، والمعرفة : الغرم ، أى أن تصيبوا منهم معرفة بغير علم فتخرجوا دينه ، فأما إثم فلم يحشه عليهم .

قال ابن هشام : بلغنى عن مجاهد أنه قال : نزلت هذه الآية فى الوليد بن الوليد بن المغيرة ، وسليمة بن هشام ، وعياش بن أبى ربيعة ، وأبى جندل بن سبيل ، وأشباههم .

قال ابن إسحاق : ثم قال تبارك وتعالى : « لاذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحية حية الجاهلية » ، يعنى سبيل بن عمرو حين حى أن تكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، وأن محمداً رسول الله ، ثم قال تعالى : « فأنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين ، وألزمهم كلمة التقوى » ، وكانوا أحق بها وأهلها ، أى التوحيد ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله .

ثم قال تعالى : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رموسكم ومقصرين لا تخافون فعمل ما لم تعلموا » . أى لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى رأى ، أنه سيدخل مكة آمنين لا يخاف ؛ يقول : محلقين رموسكم ، ومقصرين معه لا تخافون ، فعمل من ذلك ما لم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحة قريباً ، صلاح الحديدية .

يقول الزهرى : فافتح فى الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت الهدنة ، ووضعت الحرب ، وآمن الناس بعضهم بعضاً ، والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ولقد دخل تينك الستين مثل من كان فى الإسلام قبل ذلك أو أكثر .

قال ابن هشام : والدليل على قول الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديدية

(١) السموط : جمع سبط : وهو القلادة .

في ألف وأربعمائة ، في قول جابر بن عبد الله ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بستين في عشرة آلاف .

أمر المستضعفين بمكة بعد الصلح

قصة أبي بصير : قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة آتاه أبو بصير عتبة^(١) بن أسيد بن جارية ، وكان من حبس بمكة ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فيه أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، والخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثا رجلا من بني عامر بن لؤي ، ومعه مولى لهم ، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الأزهر والخنس ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، فانطلق إلى قومك ؛ قال : يا رسول الله ، أتردني إلى المشركين يقتلونني في ديني ؟ قال : يا أبا بصير ، انطلق فإن الله تعالى سيجعل لك ولن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا .

فانطلق معها ، حتى إذا كان بذي الحليفة^(٢) ، جلس إلى جدار ، وجلس معه صاحبا ، فقال أبو بصير : أصارم سيفك هذا يا أبا بني عامر ؟ فقال : نعم ؛ قال : أنظر إليه ؟ قال : انظر ، إن شئت . قال : فاستله أبو بصير ، ثم علاه به حتى قتله ، وخرج المولى سريعا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم طالما ، قال : إن هذا الرجل قد رأى فرجا ؛ فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ويحك ! مالك ؟ قال : قتل صاحبكم صاحب . فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحا بالسيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، وقت ذمتك ، وأدى الله عنك ، أسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني أن أفن فيه ، أو يعذب بي . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويل أمه محسن حرب^(٣) لو كان معه رجال !

(١) وقيل : هيد.

(٢) ميقات أهل المدينة . بينها وبين المدينة ستة أميال .

(٣) وفي الصحيح ويل أمه مسعر حرب ، ويقال حشمت النار ، وأرثها ، وأذكيها ، وأقفلها وسعرتها بمعنى واحد .

ثم خرج أبو بصير حتى نزل الميصر ، من ناحية ذى المروة ، على ساحل البحر ، بطريق قريش التي كانوا يأخذون عليها إلى الشام ، وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بصير : « ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال » ، فخرجوا إلى أبي بصير بالميصر ، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلا ، وكانوا قد ضيقوا على قريش ، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمر بهم غير إلا اقتطعوا حتى كتبت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأل بأرحامها إلا آواهم ، فلا حاجة لهم بهم : فأواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة .

قال ابن هشام : أبو بصير مخفي .

قال ابن إسحاق : فلما بلغ سيل بن عمرو قتل أبي بصير صاحبهم العامري ، أسند ظهره إلى الكعبة ، ثم قال : والله لا أؤخر ظهري عن الكعبة حتى يودي هذا الرجل ؛ فقال أبو سفيان ابن حرب : والله إن هذا هو السفه ، والله لا يودي فقال في ذلك موهب بن رباح أبو أنيس ، حليف بني زهرة :

— قال ابن هشام : أبو أنيس أشعري —

أتاني عن سيل ذره قول فأيقظني وما بي من رقاد^(١)
فإن تكن العتاب تريد من فعاتبني فاك بك من بعادى
أتوعدني وبعد مناف حولي بمخزوم ألفنا من تعادى
فإن تغمر قتاتي لا تهمدني ضعيف العود في الكرب الشداد
أسأى الأكرمين أبا بقوى إذا وطىء الضعيف بهم أرادى^(٢)
هم منعوا الظواهر غير شك إلى حيث البواطن فالعوادى
بكل طمرة وبكل نهـد سوام قد طوين من الطراد^(٣)
لهم بالخيف قد علت معد رواق المجد رفع بالهاد^(٤)

(١) ذره : طرف .

(٢) أرادى : أراى .

(٣) الطمرة : الفرس السريعة . النهـد : الغليظ . طوين : ضعفن . والطراد : الهجوم .

(٤) الخيف : موضع في منى . الرواق : بيت كالخيمة يحمل على عمود طويل .

فأجابه عبد الله بن الزبيرى ، فقال :

وأسمى موهب كحمار سوء أجاز بيلدة فيها يُنادى
فإن العبد مثلك لا يناوى سهيلا ضل سعيك من تُمادى^(١)
فأقصر يابن قين سوء عنه وعد عن المقالة فى البلاد
ولا تذكر عتاب أبى يزيد فهيات البحور من الثماد^(٢)

أمر المهاجرات بعد الهدنة

قال ابن إسحاق : وهاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط فى تلك المدة ، فخرج أخوها عمارة والوليد ابنا عقبة ، حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يردها عليهما بالعهد الذى بينه وبين قرش فى الحديبية ، فلم يفعل ، أبى الله ذلك .

قال ابن إسحاق : فحدثنى الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، قال : دخلت عليه وهو يكتب كتابا إلى ابن أبى هنيذة ، صاحب الوليد بن عبد الملك ، وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنحنوهن ، الله أعلم بإيمانهن ، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار ، لأن حل لهن ، ولا هم يحلون لهن ، وآتوهن ما أنفقوا ، ولا جناح عليكم أن تنكحنهن إذا آتيتهن أجورهن ، ولا تمسكوا بعصم الكوافر » .

— قال ابن هشام : واحدة العصم : عصمة ، وهى الحبل والسبب . قال أعشى بن قيس ابن ثعلبة :

إلى المرم قيس نطيل الشرى ونأخذ من كل حى عصم
وهذا البيت فى قصيدة له .

(١) لا يناوى : لا يعادى .

(٢) الثماد : الماء القليل .

« واسئلوا ما أنفقتم ، وليسئلوا ما أنفقوا ، ذلكم حكم الله يحكم بينكم ، والله عليم حكيم . »

قال : فكتب إليه عروة بن الزبير : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صالح قريشا يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليه ؛ فلما هاجر النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام ، أبى الله أن يرددن إلى المشركين إذا هن امتحن بمنحة الإسلام ، فعرفوا أنهم إنما جئن رغبة في الإسلام ، وأمر برد صدقاتهن إليهم إن احتسبن عنهن ، لأنهم ردوا على المسلمين صداق من حبسوا عنهم من نسائهم ، ذلكم حكم الله يحكم بينكم ، والله عليم حكيم . فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ورد الرجال ، وسأل الذي أمره الله به أن يسأل من صدقات نساء من حبسوا منهن ، وأن يردوا عليهم مثل الذي يردون عليهم ، إن هم فعلوا ، ولولا الذي حكم الله به من هذا الحكم لرد رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء كما رد الرجال ، ولولا الهدنة والعهد الذي كان بينه وبين قريش يوم الحديبية لامسك النساء ، ولم يردن لهن صداقا ، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد .

قال ابن إسحاق : وسألت الزهري عن هذه الآية ، وقول الله عز وجل فيها : « وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتهم ، فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا ، وانقوا الله الذي أتم به مؤمنون » فقال : يقول : إن فات أحدا منكم أهله إلى الكفار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذي يأخذون منكم ، فعوضوهم من فيه إن أصبتموه ؛ فلما نزلت هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات » ... إلى قول الله عز وجل : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » ، كان ممن طلق عمر بن الخطاب ، طلق امرأته قُتَيْبَةُ بنت أبي أمية بن المغيرة ، فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان ، وهما على شركهما بمكة ، وأم كلثوم بنت جبرول أم عبيد الله بن عمر الخزاعية ، فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم ، رجل من قومه ، وهما على شركهما .

بشرى ففتح مكة : قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة : أن بعض من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما قدم المدينة : ألم تقل يا رسول الله إنك تدخل مكة آمنا ؟ قال : بلى ، أفقلت لكم من عامي هذا ؟ قالوا : لا ، قال : فهو كما قال لي جبريل عليه السلام .

ذكر المسير إلى خيبر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطليبي قال: ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم، وولى تلك الحجة المشركون، ثم خرج في بقية المحرم إلى خيبر.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة نائلة بن عبد الله الليثي، ودفع الراية إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه، وكانت بيضاء.

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي الهيثم بن نصر بن موهب الأسدي أن أباه حدثه: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مسيره إلى خيبر لعامر ابن الأكوع، وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع، وكان اسم الأكوع ستان: أنزل يابن الأكوع، فخذ لنا من هنالك (١)، قال: فنزل يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
إنا إذا قوم بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يرحمك الله؛ فقال عمر بن الخطاب: وجبت والله يا رسول الله، لو أمتعتنا به! فقتل يوم خيبر شهيدا، وكان قتله، فيما بانى، أن سيفه رجع عليه وهو يقاتل، فكلمه كلما شديدا، فأت منه؛ فكان المسلمون قد شكوا فيه، وقالوا: إنما

(١) هنالك: جمع الهنة: كناية عن كل شيء لا تعرف اسمه، أو تعرفه، فتكنى عنه، وأصل الهنة: هنة وهنوة. قال الشاعر:

* على هنوات شأنها متابع *

وفي البخاري: أن رجلا قال لابن الأكوع: ألا تنزل فتسمعنا من هنائك، صغره بالهاء، ولو صغره على لغة من قال هنوات لقال هنيائك، وإنما أراد - صلى الله عليه وسلم - أن يحدو بهم، والإبل تستحث بالحداء، ولا يكون الحداء إلا بشعر أو رجز.

قتله ملاحه ، حتى سأل ابن أخيه سلة بن عمرو بن الأكوع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وأخبره بقول الناس ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه لشهيد ، وصلى عليه ، فصلى عليه المسلمون .

قال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم ، عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي ، عن أبيه ، عن أبي معتب بن عمرو : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال لأصحابه ، وأنا فيهم : قفوا ، ثم قال : اللهم رب السموات وما أغلظن ورب الأرضين وما أفلظن ، ورب الشياطين وما أضلظن ، ورب الرياح وما أذرين فإننا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ، أئدهوا بسم الله . قال : وكان يقولها عليه السلام لكل قرية دخلها .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوما لم يضر عليهم حتى يصبح ، فإن سمع أذاناً أمسك ، وإن لم يسمع أذاناً أغار ، فنزلنا خيبر ليلاً ، فبات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا أصبح لم يسمع أذاناً ، فركب وركبنا معه ، فركبت خاف أبي طلحة ، وإن قدسى لئس قدس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستتبنا عمال خيبر غادين ، قد خرجوا بمساحيم ومكالمهم (١) ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش ، قالوا : محمد والخبيث (٢) معه ، فأدبروا هرباً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين . قال ابن إسحاق : حدثنا هارون عن حميد ، عن أنس بمثله .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عصر ، فبنى له فيها مسجد ، ثم على الصبأ ، ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بجيشه ، حتى نزل بواد يقال له الرجيع ، فنزل بينهم وبين غطفان ، ليحول بينهم وبين أن يدعوا أدل خيبر ، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما سمعت بنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر جمعوا له ، ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلة (٣) سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلهم حساء ،

(١) المساحي : مجارف الحديد . المساكل : التفف الكبيرة .

(٢) الخبيث : الجيش . (٣) منقلة : مرحلة .

ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على اعتابهم ، فأقاموا في أهلهم وأموالهم ، وخطوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر .

وتدنى ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموال يأخذها مالا مالا ، ويفتحها حمتنا حمتنا ، فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم ، وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه منه رما فقتله ، ثم القموص ، حمن بن أبي الحقيق ، وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سبائا ، منهم صفية بنت حيي بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وبقي عم لها ؛ فاصطفي رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه .

وكان دحية بن خليفة الكلبي قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية فلما أصفها لنفسه أعطاه ابنتي عمها ، وفشت السبايا من خيبر في المسلمين .

أشياء نهى عنها الرسول يوم خيبر : وأكل المسلمون لحوم الحمر الأملية من حرما ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنهى الناس عن أمور سبها لهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن عمرو بن ضمرة الفزاري عن عبد الله بن أبي سليط ، عن أبيه ، قال : أتانا نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل لحوم الحمر الإنسية ، والتقدور تفور بها ، فكفأناها على وجوهها .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مكحول : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى يومئذ عن إتيان الجبال من السبايا ، وعن أكل الحمار الأدلى ، وعن أكل كل ذئب من السباع ، وعن بيع المغنم حتى تقسم .

قال ابن إسحاق : وحدثني سلام بن كركرة ، عن عمرو بن دينار ؛ عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، ولم يشهد جابر خيبر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر ، أذن لهم في أكل لحوم الخيل .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن أبي مرزوق مولى ثُجيب ؛ عن حنش الصنعاني ، قال : غزونا مع ربيعة بن ثابت الأنصاري المغرب ، فالتحق قرية من قرى المغرب يقال لها جربة ، فقام فينا خطيبا ، فقال : يا أيها الناس ، إني لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله فينا يوم خيبر ، قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال : لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماؤه زرع غيره ، يعني إتيان الحبالى من السبايا ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبي حتى يستبرئها ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنا حتى يقسم ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فيء المسلمين حتى إذا أعجمها ردها فيه ؛ ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوبا من فيء المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط ؛ أنه حدث عن عبادة بن الصامت ، قال : نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن أن نبيع أو نبتاع تبر الذهب بالذهب العين ، وتبر الفضة بالورق العين ، وقال : ابتاعوا تبر الذهب بالورق العين ، وتبر الفضة بالذهب العين .

قال ابن إسحاق : ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتدنى الحصون والأموال .

بني سهم : لحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدثه بعض أسلم : أن بني سهم من أسلم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا ؛ والله يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا من شيء ، فلم يجدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا يعطيهم إياه ، فقال : اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة ، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء ، وأكثرها طعاما وودكا ، ففندنا الناس ، ففتح الله عز وجل حصن الصعب بن معاذ ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعاما وودكا منه .

مقتل مرحب : قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال ما حاز ، اتهموا إلى حصنهم الوطيط والسلام ، وكان آخر حصون أهل خيبر افتتاحا ، فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة .

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يوم خيبر : يا منصور أمت أمت .

قال ابن إسحاق : لحدثني عبد الله بن سبل بن عبد الرحمن بن سبل ؛ أخو بني حارثة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرج مرحب اليهودي من حصنهم ، قد جمع سلاحه ، يرتجز وهو يقول :

قد علمت خيبر أني مرحب
شاكى السلاح بطل محرب

أطعن أحيانا وحيثاً أضرب إذا الليوث أبلت تحرب^(١)
 إن حاي للحمى لا يُقرب
 وهو يقول : من يبارز ؟ فأجابه كعب بن مالك ، فقال :

قد علمت خير أنى كعب مفرج الفمى جرى صلب
 إذ شبت الحرب تلتها الحرب معى حسام كالعقيق نجيب
 نطوكم حتى يذل الصعب نعطي الجزاء أو يره الثعب
 بكف ماض ليس فيه عتب

قال ابن هشام : أنشدني أبو زيد الأنصاري :

قد علمت خير أنى كعب وأتى متى تشب الحرب
 ماض على الهول جرى صلب معى حسام كالعقيق صعب
 بكف ماض ليس فيه عتب ندكم حتى يذل الصعب
 قال ابن هشام : ومرحب من حير .

قال ابن إسحاق : لحدثني عبد الله بن سبل ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري .
 قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لهذا ؟ قال محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول
 الله ، أنا والله ، الموتور الثائر ، قتل أخى بالأمس ، فقال : فقم إليه ، اللهم أعنه عليه . قال :
 فلما دنا أحدهما من صاحبه ، دخلت بينهما شجرة عمرية^(٢) من شجر العشر ، لجعل أحدهما
 يلوذ بها من صاحبه ، كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه مادونه منها ، حتى برز كل واحد
 منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرجل القائم ، ما فيها فن ، ثم حمل مرحب على محمد بن
 مسلمة ، فضربه ، فأتقاه بالدرقة ، فوقع سيفه فيها ، فعضت به فأمسكته ، وضربه محمد بن
 مسلمة حتى قتله .

مقتل ياضر : قال ابن إسحاق : ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر ، وهو يقول : من يبارز ،
 فزعم هشام بن عروة أن الزبير بن العوام خرج إلى ياسر ، فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب :

(١) تحرب : مضطربة .
 (٢) عمرية : صجوز .

يقتل ابني يا رسول الله ! قال : بل ابدك يقتله إن شاء الله . فخرج الزبير فالتقى ، فقتله الزبير .
قال ابن إسحاق : حدثني هشام بن عروة : أن الزبير كان إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ لصارماً عذيباً ، قال : والله ما كان صارماً ، ولكني أكرهته .

فتفتح محمداً على يد علي : قال ابن إسحاق : وحدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن أبيه سفيان ، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه برأيه ، وكانت بيضاء ، فيها قال ابن هشام ، إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل ، فرجع ولم يك فتح ، وقد جهد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأعدائين الراية ذئلاً رجلاً يحب الله ورسوله ، يفتح الله حلى يديه ، ليس بفرار . قال : يقول سلمة ، ندعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضوان الله عليه ، وهو أرمد ، فتفل في عينه ، ثم قال : خذ هذه الراية ، نامض بها حتى يفتح الله عليك .

قال : يقول سلمة : فخرج والله بها يأنح ^(١) يهول هرولة ، ولما خلفه تتبع أثره ، حتى ركز رأيه في رضم ^(٢) من حجارة تحت الحصن ، فأطلع إليه يهودى من رأس الحصن ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب . قال : يقول اليهودى : علوتم ، وما أنزل على موسى ، أو كافال . قال : فما رجعت حتى فتح الله على يديه .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن الحسن ، عن أبي رافع ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خرجنا مع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيه ؛ فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم ، فضر به رجل من يهود ، فطاح ترسه من يده ، فتناول على عليه السلام باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتني في نفر سبعة معي : أنا ثامنهم ، نجهد على أن نقلب ذلك الباب ، فما نقله .

حديث أبي اليسر : قال ابن إسحاق : وحدثني بريدة بن سفيان الأسلمي ، عن بعض رجال بني سلمة عن أبي اليسر كعب بن عمرو ، قال والله إنا لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ذات عشية ، إذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم ، ونحن محاصروهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رجل يطعمنا من هذا الغنم ؟ قال أبو اليسر : نقلت أنا يا رسول الله : قال : فافعل ؛ قال : فخرجت أشد مثل الظلم ^(٣) ، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مولياً قال

(١) يأنح : يعلو صوته . (٢) الرضم : الحجارة المتجمعة . (٣) الظلم : ولد النعام

اللهم أمتنا به ؛ قال : فأدركت الغنم وقد دخلت أولاهما الحصن ، فأخذت شاتين من آخرهما ، فأحتضنتهما تحت يدي ، ثم أقبلت بهما أشد ، كأنه ليس معي شيء ، حتى ألقىتهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذبحوهما فأكلوهما ، فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلاكا ، فكان إذا حدث هذا الحديث بكى ، ثم قال : أمتوا نى ، لعمرى ، حتى كنت من آخرهم هلكا .

صفية رضى الله عنها ، قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم القموص ، حصن بنى أبي الحقيق ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية بنت حيي بن أخطب ، وبأخرى معها ، فخر بهما على قتلى من قتلى يهود ؛ فلما رأتهم التي مع صفية صاحت ، وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها ؛ فلما رأها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أعزبوا ^(١) عني هذه الشيطانة ، وأمر بصفية فحيزت خلفه ، وألقى عليها رداءه ؛ فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال ، فيما بلغنى : حين رأى بتلك اليهودية ما رأى : أنزعت منك الرحمة يا بلال ، حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ؟ وكانت صفية قد رأت في المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، أن قرأ وقع في حجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها ؛ فقال : ما هذا إلا أنك تمين ملك الحجاز محمداً ، فلطم وجهها لطمه خضر عينا منها . فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منه ، فسألها ما هو ؟ فأخبرته هذا الخبر .

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن الربيع ، وكان عنده كنز بنى النضير ، فسأله عنه ، فوجد أن يكون يعرف مكانه ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من يهود ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة : رأيت إن وجدناه عندك ، أقتلك ؟ قال : نعم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة ففرت ، فأخرج منها بعض كنزهم ، ثم سأله عما بقى ، فأتى أن يوديه ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام ، فقال : عذبه حتى تستأصل ما عنده ، فكان الزبير يقدح بزبد في صدره ، حتى أنصرف على نفسه ثم دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى محمد بن مسلمة ، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة .

صالح خبير : وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أهل خيبر في حصنهم الوطيح والسلام ، حتى إذا أيقنوا بالهلكة ، سألوه أن يسيرهم وأن يحتم لهم دماءهم ، ففعل . وكان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموال كلها : الشق ونظافة والكثيرة وجميع حمولتهم ، إلا ما كان من ذينك الحسنيين . فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا ، بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يسيرهم ، وأن يحتن دماءهم ، ويخلوا له الأموال ، ففعل . وكان فيمن مشى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم في ذلك محبصة بن مسعود ، أخو بني حارثة ؛ فلما نزل أهل خيبر على ذلك ، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم في الأموال على النصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم ؛ وأمر لها ، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف ، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ؛ فصالحه أهل فدك على مثل ذلك ، فكانت خيبر فينا بين المسلمين ، وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم لم يحملوا عليها بخيل ولا ركاب .

قصة الشاة المسمومة : فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحارث ، امرأة سلام بن مشكم ، شاة مصلية^(١) ، وقد سألت أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقيل لها : الذراع ؛ فأكثر فيها من السم ، ثم سميت سائر الشاة ، ثم جاءت بها : فلما وضعها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تناول الذراع ، فلاك منها مضغة . فلم يسفها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما بشر فأساغها ، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ، ثم قال : إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم ، ثم دعا بها ، فأعترفت فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت : بلغت من قومي ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان ملكا استرحمت مته ، وإن كان نيا فسيخبر ، قال : فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومات بشر من أكلته التي أكل .

قال ابن إسحاق : وحدثني مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المولى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال في مرضه الذى توفى فيه . ودخلت أم بشر بنت البراء بن معرور تعوده : يا أم بشر ، إن هذا الآوان وجدت فيه انتقاع أبهرى^(٢) من الأكلة التي أكلت مع أخيك بخير . قال . فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيداً ، مع ما أكرمه الله به من النبوة .

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف إلى وادى القرى ، فحاصر أهله ليالى ، ثم انصرف راجعا إلى المدينة .

(١) مصلية : مسمومة .

(٢) الأبهر : عرق من عرقين يخرجان من القلب ومنهما تشعب الشرايين كلها .

جزاء الغلال من الغنيمه : قال ابن إسحاق : لحدثني ثور بن زيد ، عن سالم ، مولى عبد الله بن مطيع ، عن أبي هريرة ، قال : فلما انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيبر إلى وادي النرى نزّلنا بها أصيلاً مع مغرب الشمس ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام له ، أهده له رفاعه بن زيد الجذامي ، ثم العنبري .

قال ابن هشام : جذام ، أخو لحم .

قال : فوالله إنه ليضع رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه سهم غرب^(١) فأصابه فقتله ، فقلنا : هذينا له الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا ، والذي نفس محمد بيده ؛ إن شئنا الآن لنحترق عليه في النار ، كان غلها من في المسلمين يوم خيبر . قال : فسمعا رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه فقال : يا رسول الله ، أصبت شراكين لتعائني لي ؛ قال : فقال : يتقد لك مثلها من النار .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن عبد الله بن مغفل المزني ، قال : أصبت من في خيبر جراب شحم ، فاحتملته على عاتقي إلى رحلي وأصحابي . قال : فالتفتي صاحب المغنم الذي جعل عليها ، فأخذ بناحيته وقال : هلم هذا نقسمه بين المسلمين ، قال : قلت : لا والله لأعطيكه ، قال : لجعل يجاذبني الجراب . قال : قرأنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك . قال : فتقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكاً ، ثم قال لصاحب المغنم : لا أباك ، خل بينه قال : فأرسله ، فانطلقت به إلى رحلي وأصحابي ، فأكلناه .

حراسة أبي أيوب المرعول : قال ابن إسحاق : ولما أعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بهضبة ، بخيبر أو بيمض الطريق ، وكانت التي جعلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومشطها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان ، أم أنس بن مالك . فبات بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة له ، وبات أبو أيوب خالد بن زيد ، أخو بني النجار متوشحاً سيفه ، يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحطيف بالقبّة ، حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلما رأى مكانه قال : مالك يا أبا أيوب ؟ قال : يا رسول الله ، خفت عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثه عبد بكفر ، فخفتها عليك . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني .

بلال يقلبه النوم وهو يرقب الفجر : قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري ، عن سعيد

(١) سهم غرب : مجهول الرامي ، لا يعرف من أين أتى .

ابن المسيب ، قال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ، فكان ببعض الطريق قال من آخر الليل : من رجل يحفظ علينا الفجر لعائنا تمام ؟ قال بلال : أنا يا رسول الله أحفظه عليك . فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل الناس فناموا ، وقام بلال يصلي ، فصلى ما شاء الله عز وجل أن يصلي . ثم استند إلى بعيره ، واستقبل الفجر يرمقه ، فغلبته عينه ، فنام فلم يوقظهم إلا من الشمس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول أصحابه هب ، فقال : ماذا صنعت بنا يا بلال ؟ قال : يا رسول الله ، أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ؛ قال : صدقت ؛ ثم اقتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيره غير كثير ، ثم أناخ فتوضأ ، وتوضأ الناس ، ثم أمر بلالاً بأقام الصلاة ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، فلما سلم أقبل على الناس فقال : « إذا نسيت الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها ، فإن الله تبارك وتعالى يقول : « أقم الصلاة لذكركى » .

شعر ابن لقيم في فتح خيبر : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما باغى ، قد أعطى ابن لقيم العبسى ، حين افتتح خيبر ، ما بها من دجاجة أو داجن ، وكان فتح خيبر في صفر ، فقال ابن لقيم العبسى في خيبر :

رُميت نطاة من الرسول بفيلق	شبهاء ذات متاكب وقنار ^(١)
واستيقنت بالذل لما شيعت	ورجال أسلم وسطها وغفار
صبحت بنى عمرو بن زرعة غدوة	والشق أظلم أهله بنار ^(٢)
جرت بأبطها الذبول فلم تدع	إلا الدجاج تصيح في الأسفار
ولكل حصن شاغل من خيلهم	من عبد أشهل أو بنى النجار
ومهاجرين قد اعلوا سيامهم	فوق المغافر لم ينوا لفرار ^(٣)
ولقد علت ليغان محمد	وليثوين بها إلى أصفار ^(٤)
فرت يهود يوم ذلك في الوغى	تحت العجاج غمام الأبرار

قال ابن هشام : فرت : كشفت ، كما تفر الدابة بالكشف عن أسنانها ؛ يريد كشفت عن جفون العيون غمام الأبرار ، يريد الانصار .

-
- (١) نطاة : حصن بخيبر . شبهاء : كثيرة العتاد : تلعب الأسلحة فيها كالشهب .
 (٢) الشق : حصن بخيبر .
 (٣) المغافر : ما توضع على الرؤوس وقاية لها من ضرب السلاح .
 (٤) لثوين : يقيمن . وأصفار : جمع صفر وهو شهر من الشهور العربية .

قال ابن إسحاق : وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء من نساء المسلمين ، أرضخ لمن (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم من النخ ، ولم يضرب لمن بسهم .

قال ابن إسحاق : حدثني سليمان بن سحيم ، عن أمية بن أبي العلت ، عن امرأة من بني غفار ، قد سماها لي ، قالت : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة من بني غفار ، فقلنا برسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ، وهو يسير إلى خيبر ، فتداوى الجرعى ، ونعين المسلمين ، يا استعلنا ، فقال : على بركة الله . قالت : فخرجنا معه ، وكنت جارية حدث ، فأردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقيبة رحله . قالت : فوالله لنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح وأناخ ، ونزلت عن حقيبة رحله ، وإذا بها دم منى ، وكانت أول حيضة حضتها ، قالت : فتقبضت إلى الناقة واستحييت ؛ فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يرى الدم ، قال : مالك ؟ لعلك نفست ، قالت : قلت : نعم ، قال : فأصلي من نفسك ، ثم خذي لئاء من ماء ، فاطرحي فيه منحا ، ثم اغسلي به ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودي لمركبك .

قالت : فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ، أرضخ لنا من النخ ، وأخذ هذه القلادة التي ترين في عنقي فأعطانيها ، وعلقها بيده في عنقي ، فوالله لا تفارقني أبدا .

قالت : فكانت في عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها . قالت : وكانت لا تطهر من حيضة إلا اجعلات في طهورها ملحاً ، وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت .

شهداء عموهم : قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد بخيبر من المسلمين ، من قريش . ثم من بني أمية بن عبد شمس ، ثم من خلفائهم : ربيعة بن أكثم بن سبرة بن عمرو بن بكر بن عامر بن عظم بن دودان بن أسد ، وثقيف بن عمرو ، ورفاعة بن مسروح .

ومن بني أسد بن عبد العزى : عبد الله الهذلي ، ويقال : ابن الهذيل ، فيما قال ابن هشام ، ابن أهيب بن سحيم بن ذريرة ، من بني سعد بن ليث ، حليف لبني أسد ، وابن أختهم .

ومن الأنصار ثم من بني سابة : بشر بن البراء بن معمر ، مات من الشاة التي مسم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونضيل بن النعمان . رجلان .

ومن بني زريق : مسعود بن سعد بن قيس بن خلدة بن عامر بن زريق .

(١) أرضخ لمن : أعطاهن قليلاً أقل من السهم .

ومن الأوس ثم من بني عبد الأشهل : محمود بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث ، حليف لهم من بني حارثة .

ومن بني عمرو بن عوف : أبو ضياع بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف ، والحارث بن حاطب ، وعروة بن مرة بن سراقه ، وأوس بن القائد ، وأنيف بن حبيب ، وثابت بن أثلة ، وطلحة [بن يحيى بن مليل بن ضمرة] .

ومن بني غفار : عمار بن عتبة ، رعى بسهم .

ومن أسلم : عامر بن الأكوع ، والأسود الراعي ، وكان أسلم .

قال ابن هشام : الأسود الراعي من أهل خيبر .

وعن استشهد بخيبر فيما ذكر ابن شهاب الزهري ، من بني زهرة : مسعود بن ربيعة ، حليف لهم من القارة .

ومن الأنصار بني عمرو بن عوف : أوس بن قتادة .

حديث الأسود الراعي في خيبر : قال ابن إسحاق : وكان من حديث الأسود الراعي ، فيما باقى : أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خيبر ، ومعه غنم له ، كان فيها أجيراً لرجل من يهود ، فقال : يا رسول الله ، اعرض على الإسلام ، فعرضه عليه ، فأسلم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحقر أحداً أن يدعو إلى الإسلام ، ويعرضه عليه . فلما أسلم قال : يا رسول الله ، إنى كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم ، وهى أمانة عندي ، فكيف أصنع بها ؟ قال : اضرب فى وجوهها ، فإنها سترجع إلى ربها - أو كما قال - فقال الأسود ، نأخذ حفنة من الحصى ، فرمى بها فى وجوهها ، وقال : ارجعى إلى صاحبك ، فوالله لأصحبك أبداً ، فخرجت مجتعة ، كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن ، ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين ، فأصابه حجر فقتله ، وما صلى الله صلاة قط : فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوضع خلفه ، وسجى بشمله كانت عليه فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه نفر من أصحابه ، ثم أعرض عنه ، فقالوا : يا رسول الله ، لم أعرضت عنه ؟ قال : إن معه الآن زوجته من الحور العين .

قال ابن إسحاق : وأخبرني عبد الله بن أبي نجيح أنه ذكر له : أن الشهيد إذا ما أصيب تدلت له زوجته من الحور العين ، عليه تنفضان التراب عن وجهه ، وتقولان : تَرَبَّ الله وجهه من تربك ، وقتل من قتلك .

حديث الحجاج بن علاط السلمي : قال ابن إسحاق : ولما فتحت خيبر ، كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحجاج بن علاط السلمي ثم الهزلي ، فقال يا رسول الله ، إن لي بمكة مالا عند صاحبي أم شيبه بنت أبي طلحة — وكانت عنده ، له منها ممرض بن الحجاج ، ومال متفرق في تجار أهل مكة ، فأذن لي يا رسول الله ؛ فأذن له ، قال : إنه لا بد لي يا رسول الله من أن أقول : قل : قال . قال الحجاج : فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجلا من قريش يتسعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ، ريفاً ومنعة ورجالا ، فهم يتحسسون الأخبار ، ويسألون الركبان ، فلما رأوني قالوا : الحجاج بن علاط — قال : ولم يكونوا علموا بإسلامي — عنده والله الخبر — أخبرنا يا أبا محمد ، فإنه قد بلغنا أن للقاطع قد سار إلى خيبر ، وهي بلد يهود وريف الحجاز ، قال قلت : قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم ، قال : فالتبطوا بجنبي ناقتي ^(١) يقولون : إيه يا حجاج ؛ قال : قلت : هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقتل أصحابه قلالا لم تسمعوا بمثلها قط ، وأسر محمد أسراً ، وقالوا : لا تقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم . قال : فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم ، فيقتل بين أظهركم . قال : قلت : أعينوني على جمع مالي بمكة وعلى غرمائي ، فإنني أريد أن أقدم خيبر ، فأصيب من نل ^(٢) محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك .

قال ابن هشام : ويقال : من فيء محمد .

قال ابن إسحاق : قال : فقاموا لجمعوا لي مالي كأحث ^(٣) جمع سمعت به قال : وجئت صاحبي فقلت : مالي ، وقد كان لي عندها مال موضوع ، لي الحق بخيبر ، فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقني التجار ؛ قال فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر ، وجاءه عني ، أقبل حتى وقف إلى جنبي وأنا في خيمة من خيام التجار ، فقال : يا حجاج ، ما هذا الخبر الذي جئت به ؟ قال : فقلت : وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟ قال : نعم . قال : قلت : فاستأخر عني حتى ألقاك على خلاء ، فإني في جمع مالي كما ترى ، فانصرف عني حتى أفرغ . قال : حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة ، وأجمعت الخروج ، لقيت العباس ، فقلت : احفظ

(١) التبطوا : ساروا ملازمين لها .

(٢) النل : المنزول .

(٣) كأحث : كأسرع .

على حديثي يا أبا الفضل ، فإني أخشى الطالب ثلاثاً ، ثم قل ما شئت ، قال . افعل ؛ قلت . فإني والله لقد تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم يعني صفية بنت حيي ، ولقد افتتح خيبر ، وانتقل ^(١) ما فيها ، وصارت له ولأصحابه ؛ فقال . ما تقول يا حجاج ؟ قال . قلت . إني والله فاكتم عني ، ولقد أسلمت وما جئت إلا لأخذ مالي ، فرقا من أغاب عليه ، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك ، فهو والله على ما تحب ، قال . حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له ، وتخطى ^(٢) ، وأخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى الكعبة ، فطاف بها ، فلما رأوه قالوا . يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة ؛ قال . كلا ، والله الذي حلفتم به ، لقد افتتح محمد خيبر وترك عروساً على بنت ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه ؛ قالوا . من جاءك بهذا الخبر ؟ قال . الذي جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلماً ، فأخذ ماله ، فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه ، فيكون معه ؛ قالوا . يا لعبد الله ! انفلت عدو الله ، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ؛ قال . ولم ينشئوا أن جاءهم الخبر بذلك .

١٥٠ قول من الشعر في خيبر : قال ابن إسحاق . وكان مما قيل من الشعر في يوم خيبر قول حسان بن ثابت :

بئسما قاتلت خيابر عما	جمعوا من مزارع ونخيل ^(٣)
كرهوا الموت فاستبيح حمام	وأقروا فعل اللئيم الذليل
أمن الموت يهربوا فإن المو	ت موت الحزال غير جميل-

وقال حسان بن ثابت أيضاً ، وهو يعذر أيمن بن وأم أيمن بن عبيد ، كان قد تخلف عن خيبر ، وهو من بني عوف بن الحزرج ، وكانت أمه أم أيمن مولات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي أم أسامة بن زيد ، فكان أبا أسامة لأمه :

على حين أن قالت لأيمن أمه جينت ولم تشهد فوارس خيبر

(١) انتقل . استخرج .

(٢) تخطى . تطيب بالخلق وهو أنواع من الطيب يغلب عليها الزعفران .

(٣) الخيابر : أهل خيبر .

وأين لم يجبن ولكن مهره أضرب به شرب اللديد الخمر^(١)
ولولا الذي قد كان من شأن مهره لقاتل فيهم فارسا غير أعصر
ولكنه قد صده فعل مهره وما كان منه عنده غير أيسر
قال ابن هشام : أنشدني أبو زيد هذه الآيات لكعب بن مالك ، وأنشدني :
ولكنه قد صده شأن مهره وما كان لولا ذاكم بمقصر
قال ابن إسحاق : وقال ناجية بن جندب الأسدي :

يا لعباد الله فيم يرغب ما هو إلا مأكلا ومشرب
وجنة فيما نعيم معجب

وقال ناجية بن جندب الأسدي أيضاً :

أنا لمن أنكرني ابن جندب يارب قرن في مكرتي أنكب
طاح بمندي أنسر وتعلب

قال ابن هشام : وأنشدني بعض الرواة للشعر قوله : « في مكرتي » ، و « طاح بمندي » .
وقال كعب بن مالك في يوم خيبر ، فيما ذكر ابن هشام ، عن أبي زيد الأنصاري :

ونحن وردنا خيبراً وفروضة بكل فتى عارى الأشاجع مذود^(٢)
جواد لدى الغايات لا واهن القوى جرىء على الأعداء في كل مشهد
عظيم رماد القدر في كل شتوة ضروب بتصل المشرقى المنتد
يرى القتل مدحا إن أصاب شهادة من الله يرجوها وفوزا بأحمد
يذود ويحمي عن ذمار محمد ويدفع عنه باللسان وباليد
وينصره من كل أمر يريه يجود بنفس دون نفس محمد
يمسك بالأنباء بالغيب مخلصا يريد بذاك للفوز والعز في غد

تقسيم خيبر وأموالها : قال ابن إسحاق : وكانت المقاسم على أموال خيبر ، على الشق
ونطاة والكثبية فسكان الشق ونطاة في سهمان المسلمين ، وكانت الكثبية خمس الله ، وسهم

(١) اللديد الخمر : دقيق يخلط بالماء ويترك حتى يخمر .

(٢) الفروض : أما كن في الأنهار يشرب منها . الأشاجع : عروق ظاهرا ليد . مذود : مانع .

(١٥ - الحجة النبوية ، ج ٣)

التي صلى الله عليه وسلم ، وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين ، وطئعم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وطعم رجال مشوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل فذك بالصلح ؛ منهم محيصة بن مسعود ، أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين وسقا (١) من شعير ، وثلاثين وسقا من تمر ، وقسمت خيبر على أهل الحديبية ، من شهد خيبر ، ومن غاب عنها ، ولم يرغب عنها إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم من حضرها ، وكان وادياها ، وادى السريرة ، ووادى خاص (٢) ، وهما اللذان قسمت عليهما خيبر ، وكانت نطاة والشق ثمانية عشر سهما ، نطاة من ذلك خمسة أسهم ، والشق ثلاثة عشر سهما ، وقسمت الشق ونطاة على ألف سهم ، وثمانمائة سهم .

وكانت عدة الذين قسمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف سهم وثمانمائة سهم ، برجالهم وخيلهم . الرجال أربع عشرة مئة ، والخيل مئتا فارس ، فكان لكل فارس سهران ، ولفارسه سهم ، وكان لكل راجل سهم ؛ فكان لكل سهم رأس مئجمع إليه مئة رجل ، فكانت ثمانية عشر سهما مئجمع .

قال ابن هشام : وفي يوم خيبر عرّب رسول الله صلى الله عليه وسلم العربى من الخيل ، وسجن الهجين .

قال ابن إسحاق : فكان على بن أبى طالب رأسا ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عدى ، أخو بنى العجلان ، وأسيد ابن حضير ، وسهم الحارث بن الخزرج ، وسهم ناعم ، وسهم بنى بياضة ، وسهم بنى عبيد ، وسهم بنى حرام من بنى سلة ، وعبيد السهام .

قال ابن هشام : وإنما قيل له عبيد السهام لما اشترى من السهام يوم خيبر ، وهو عبيد بن أوس ، أحد بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس .

قال ابن إسحاق : وسهم ساعدة ، وسهم غفار وأسلم ، وسهم النجار وسهم حارثة ، وسهم أوس . فكان أول سهم خرج من خيبر بنطاة سهم الزبير بن العوام ، وهو الخوق ، وتابعه الشريتر ،

(١) الوسق : يريد به هنا إما حمل البعير أو ستين صاعا . ومن معانيه أيضا حمل النخلة وليس مراد هنا .

(٢) قال السبيل في الروض الاتف : أنه وادى خلص .

ثم كان الثاني سهم بياضة ، ثم كان الثالث سهم أسيد ثم كان الرابع سهم بنى الحارث بن الخزرج ، ثم كان الخامس سهم ناعم لبنى عوف بن الخزرج ومزينة وشركائهم ، وفيه قتل محمود بن مسلمة ، فبذره نطاة .

ثم هبطوا إلى الشق ، فكان أول سهم خرج منه سهم عاصم بن عدى ، أخى بنى العجلان ، ومعه كان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم سهم عبد الرحمن بن عوف ، ثم سهم ساعدة ثم سهم النجار ، ثم سهم على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، ثم سهم طلحة بن عبيد الله ، ثم سهم غفار وأسلم ، ثم سهم عمر بن الخطاب ، ثم سهم سلمة بن عبيد وبني حرام ، ثم سهم حارثة ، ثم سهم عبيد السهام ، ثم سهم أوس ، وهو سهم اللقيف : جمعت إليه جهنة ومن حضر خير من سائر العرب ؛ وكان أخذوه سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى كان أصابه فى سهم عاصم بن عدى .

ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتيبة ، وهى وادى خاص (١) ، بين قرابته وبين نسائه ، وبين رجال المسلمين ونساء أعظام منها ، فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة ابنته مثنى وسق ، ولعل بن أبى طالب مئة وسق ، ولأسامة بن زيد مثنى وسق ، وخمسين وسقا من نوى ، ولعائشة أم المؤمنين مثنى وسق ، ولأبى بكر بن أبى قحافة مئة وسق ، ولعقيل بن أبى طالب مئة وسق وأربعين وسقا ، ولبنى جعفر خمسين وسقا . ولربيع بن الحارث مئة وسق وللصلت بن مخزومة وابنيه مئة وسق ، وللصلت منها أربعون وسقا ولأبى نسيبة (٢) خمسين وسقا ، ولرؤكثة بن عبد يزيد خمسين وسقا ، ولقيس بن مخزومة ثلاثين وسقا ، ولأبى القاسم بن مخزومة أربعين وسقا ، ولبنات عبيدة بن الحارث وابنة الحصين بن الحارث مئة وسق ، وأبى عبيد بن عبد يزيد ستين وسقا ، ولأبى أوس بن مخزومة ثلاثين وسقا . ولسطح بن أثانة وابن إلياس خمسين وسقا ، ولأم رميثة أربعين وسقا ، ولنعيم بن هند ثلاثين وسقا ، ولبحينة بنت الحارث

(١) قال السهيلي فى الروض الأنف : وادى خلص .

(٢) هو علقمة بن المطلب ، ويقال : عبد الله بن علقمة ، وقال أبو عمر : هو مجهول ، وقال ابن الفرضى : أبو نبيقة بن المطلب بن عبد مناف ، واسم أبى نبيقة : عبد الله ، ومن ولده محمد ابن العلاء بن الحسين بن عبد الله بن أبى نبيقة ، ومن ولده : أبو الحسين المطلبى لإمام مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسين ابن العلاء بن المغيرة بن أبى نبيقة بن المطلب بن عبد مناف .

ثلاثين وسقا ، ولعجيز بن عبد يزيد ثلاثين وسقا ، ولأم الحكم (١) ثلاثين وسقا ، ولجنانة بنت أبي طالب ثلاثين وسقا ، ولابن الأرقم خمسين وسقا ، ولعبد الرحمن بن أبي بكر أربعين وسقا ، ولحمزة بنت جحش ثلاثين وسقا ، ولأم الزبير أربعين وسقا ، ولضباعة بنت الزبير أربعين وسقا ، ولابن أبي خنيس ثلاثين وسقا ، ولأم طالب أربعين وسقا ، ولابن بصرة عشرين وسقا ، ولعميلة الكلبي خمسين وسقا ، ولعبد الله بن وهب وابنته تسعين وسقا ، ولابنه منها أربعين وسقا ، ولأم حبيب بنت جحش ثلاثين وسقا ، وللمكرو بن عبدة ثلاثين وسقا ، ولقنائه صلى الله عليه وسلم سبع مئة وسق .

قال ابن هشام : قمح وشعير وتمر ونوى وغير ذلك ، قسمه على قدر حاجتهم وكانت الحاجة في بني عبد المطلب أكثر ، ولهذا أعطاهم أكثر .

بسم الله الرحمن الرحيم
 ذكر ما أعطى محمد رسول الله صلى
 الله عليه وسلم نساءه من قمح خيبر

قسم لمن مئة وسق وثمانين وسقا ، ولفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وثمانين وسقا ، ولأسامة بن زيد أربعين وسقا ، وللقناد بن الأسود خمسة عشر وسقا ، ولأم رمبة خمسة أوسق . شهد عثمان بن عفان ، وعباس وكتب .

وصية الرسول عند موته : قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : لم يوص رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته إلا بثلاث ، أوصى الزهراويين بمائة مئة وسق من خيبر ، وللدارين بمائة وسق ، من خيبر ، وللسبائيين ، وللأشعريين بمائة مئة وسق من خيبر ، وأوصى بتنفيذ بعث أسامة بن زيد بن حارثة : وألا يترك بحزيرة العرب دينان .

خير فذك : قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فذك ، حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر ، فبشوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلحونه على النصف من فذك ، فقدمت عليه رسلهم بخيبر : أوبالطائف ، أو بعد ما قدم المدينة ، فقبل ذلك منهم ؛ فكانت فذك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ، لأنه لم يوجف عليها غنيل ولا ركاب .

(١) الصحيح أنها أم حكيم وهي بنت الزبير بن عبد المطلب أخت ضباعة ، وكانت تحت ربيعة ابن الحارث ، وأما أم الحكم فهي بنت أبي سفيان . وهي من مسلبة الفتح . ولولا ذلك لقلت إن ابن إسحاق إياها أراد ، لكننا لم نشهد خيبر ولا كانت أسلمت بعد .

تسمية النفر الدارين

الذين أوصى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير

وهم بنو الدار بن حبيب بن نمار بن لحم ، الذين ساروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام : تميم بن أوس ونعيم بن أوس أخوه ، ويزيد بن قيس ، وعرفة بن مالك ، وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن .

— قال ابن هشام : ويقال : عزة بن مالك : وأخوه مُمران بن مالك .

قال ابن هشام : مروان بن مالك .

قال ابن إسحاق : وفاكة بن نعمان ، وجبل بن مالك ، وأبو هند بن بر ، وأخوه الطيب بن بر ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثني عبد الله بن أبي بكر ، يبعث إلى أهل خير عبد الله بن رواحة غارصاً^(١) بين المسلمين ويهود ، فيحرص عليهم ، فإذا قالوا : تعديت علينا ، قال : إن شئتم فلنا ، فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض .

ولأنما حرص عليهم عبد الله بن رواحة عاماً واحداً ، ثم أصيب بمؤنة يرجه الله ، فكان جبار بن صخر بن أمية بن خنساء ، أخو بني سلبية ، ذو الذي يحرص عليهم بعد عبد الله ابن رواحة .

فأقامت يهود على ذلك ، لا يرى بهم المسلمون بأساً في معاملتهم ، حتى عدوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن سؤل ، أخى بني حارثة ، فقتلوه ، فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثني الزهري عن سهل بن أبي حشمة ، وحدثني أيضاً بشير بن يسار ، مولى بني حارثة ، عن سهل بن أبي حشمة ، قال : أصيب عبد الله بن سهل بغير ، وكان خرج إليها في أصحاب له يبتار منها تمرأ ، فوجد في عين قد كسرت عظمه ، ثم طرح فيها ؛ قال : فأخذه ونقيوه ، ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا له شأنه ، فتقدم إليه أخوه عبد الرحمن بن سهل ، ومعه ابنا عمه حُوَيْصَةُ وَتَحِيصَةُ ابنا مسعود ،

(١) الخارص : الذي يقدر الشيء نظراً بلا وزن ولا كيل ، من الخرص : وهو الظن .

وكان عبد الرحمن من أحدثهم سنا ، وكان صاحب الدم ، وكان ذا قدم في القوم ، فلما تكلم قبل ابني عمه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكـتـبـرُ الكـبـرُ .

قال ابن هشام : ويقال : كـتـبـرُ كـبـر — فيما ذكر مالك بن أنس — فسكت ، فتكلم هو بعد ، فذكروا الرسول الله صلى الله عليه وسلم قتل صاحبهم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتمون قاتلكم ، ثم تحلفون عليه خمسين يمينا فنسله إليكم ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما كنا لتحلف على ما لا نعلم ؛ قال : أفيحلفون بالله خمسين يمينا ما قتلوه ولا يعلون له قاتلا ثم يبرمون من دمه ؟ قالوا يا رسول الله ، ما كنا لنقبل أيمان يهود ، ما فيهم من الكفر أعظم من أن يحلفوا على إثم . قال : فوداه ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده مائة ناقة .

قال سهل : فوالله ما أنسى بكرة منها حمراء ضربتني وأنا أحوزها ؛

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن عبد الرحمن بن بجميد بن قيس ، أخى بنى حارثة ، قال محمد بن إبراهيم : وإيم الله ، ما كان سهل بأكثر علما منه ، ولكنه كان أسن منه ، إنه قال له : والله ما هكذا كان الشأن ولكن سهلا أوهم ، ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، احلفوا على ما لا علم لكم به ، ولكنه كتب إلى يهود خيبر حين كتبه الانصار إنه قد وجد قتيل بين أيديكم فدئوه ، فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه ، ولا يعلون له قاتلا ، فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن شعيب مثل حديث عبد الرحمن بن بجميد ، إلا أنه قال في حديثه : دوه أو أئذنوا بحرب . فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلون له قاتلا ، فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده .

عمر يعلى يهود خيبر : قال ابن إسحاق : وسألت ابن شهاب الزهري : كيف كان إعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود خيبر فخلهم ، حين أعطاهم النخل على خرجها ، أبت ذلك لهم حق قبض ، أم أعطاهم إياها للضرورة من غير ذلك ؟

فأخبرني ابن شهاب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر غنوة بعد القتال ، وكانت خيبر بما أفاء الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خمسها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقسمها بين المسلمين ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها ، وتكون ثمارها بيننا وبينكم ، وأقركم ما أقركم الله ، فقبلوا ، فكانوا يعملونها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله بن رواحة ، فيقسم ثمرها ، ويعدل عليهم في الخرص ، فلما توفي الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، أقرها أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيديهم ، على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى توفي : ثم أقرها عمر رضى الله عنه صدرا من إمارته . ثم بلغ عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي قبضه الله فيه : لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان : ففحص عمر ذلك ، حتى بلغه الثبت ، فأرسل إلى يهود ، فقال إن الله عز وجل قد أذن في جلائكم ، قد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ، فمن كان عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فلْيأتني به ، أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود ، فليتهجر للجلاء ، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني نافع ، وولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر قال : خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر تتعاهدها ، فلما قدمنا تفرقنا في أموالنا ، قال : فعدي على تحت الليل ، وأنا نائم على فراشي ، ففدعت^(١) يدى من مرأى ، فلما أصبحت استصرخ على صاحباي ، فأتياي فسألاني : من صنع هذا بك ؟ فقلت : لأدرى : قال : فأصلحا من يدى ، ثم قدما بي على عمر رضى الله عنه : فقال : هذا عمل يهود ، ثم قام في الناس خطيبا فقال : أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أنا نخزجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه ، كما قد بلغكم ، مع عدوهم على الانصارى قبله ، لأنك أنتم أصحابه ، ليس لنا هناك عدو غيرهم ، فمن كان له مال بخيبر فليأحق به ، فإنى نخزج يهود فأخرجهم .

عمر يقسم وادى القرى : قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الله بن مكنف ، أخى بنى سارية ، قال : لما أخرج عمر يهود من خيبر ركب في المهاجرين والأنصار ، وخرج معه جبار بن صخر بن أمية بن خلفاء ، أخو بنى مسلبة ، وكان خارص أدل المدينة وحاسبهم — ويزيد بن ثابت ، وهما قسما خيبر بين أهلها ، على أصل جماعة السهمان ، التي كانت عليها .

(١) الفدع : اعوجاج في المفاصل ، كأنها أزيلت عن أماكنها .

وكان ما قسم عمر بن الخطاب من وادى القرى ، لثمان بن عفان خطر ، ولعبد الرحمن بن عوف خطر ، ولعمر بن أبي سلة خطر ، ولعامر بن أبي ربيعة خطر ، ولعمرو بن سراقه خطر ولاشيم خطر .

قال ابن هشام : ويقال : ولأسلم ولبنى جعفر خطر ، ولعقيب خطر ، ولعبد الله بن الأرقم خطر ، ولعبد الله وعبيد الله خطران ، ولابن عبد الله بن جحش خطر ، ولابن البكير خطر ، ولعتمر خطر ، ولويد بن ثابت خطر ، ولأبي بن كعب خطر ، ولعاذ بن عفراء خطر ، ولأبي طلحة وحسن خطر ، ولجبار بن صخر خطر ، ولجابر بن عبد الله بن وثاب خطر ، ولمالك بن صعصعة وجابر بن عبد الله بن عمرو خطر ، ولعبد الرحمن بن ثابت وأبي ثريك خطر ، ولعبادة ابن طارق خطر .

قال ابن هشام : ويقال : لقتادة .

قال ابن إسحاق : ولجبر بن عتيك نصف خطر ، ولأبني الحارث بن قيس نصف خطر ، ولابن حزمة والضحاك خطر ، فهذا ما بلغنا من أمر خير ووادى القرى ومقاسمها .

قال ابن هشام : الخطر : التصيب . ويقال أخطر لى فلان خطراً .

قدوم جعفر بن أبي طالب من الحبشة

والمهاجرين معه

قال ابن هشام : وذكر سفيان بن عيينة عن الأجلح ، عن الشعبي : أن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه (١) ، والتزمه وقال : ما أدري بأيهما أنا أمر : بفتح خيبر ، أم بقدوم جعفر ؟ .

(١) احتج بهذا الحديث الثورى على مالك بن أنس فى جواز ائمانقة ، وذذهب مالك إلى أنه مخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وما ذهب إليه سفيان من حل الحديث على عمومه أظهر ، وقد التزم النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ، حين قدم عليه من مكة . وأما المصافحة باليد عند السلام ففيها أحاديث منها قوله عليه السلام : تمام تحيتكم المصافحة ، ومنها حديث آخر أن أهل اليمن - حين تدوا المدينة صافحوا الناس بالسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وكان من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يمت فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى التجاني عمرو بن أمية الضمري ، فحملهم في سفينتين ، فقدم بهم عليه وهو بخير بعد الحديبية .

من بني هاشم بن عبد مناف : جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب ، معه امرأته أسماء بنت عيسى الخثعمية ؛ وابنه عبد الله بن جعفر ، وكانت ولدته بأرض الحبشة . قتل جعفر بؤنة من أرض الشام أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجل .

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته أمية بنت خنيس بن أسعد — قال ابن دشار : ويقال : همينة بنت خلث — وابناه سعيد بن خالد ، وأمته بنت خالد ، ولدتهم بأرض الحبشة . قتل خالد بمرج الصفر في خلافة أبي بكر الصديق بأرض الشام ؛ وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، معه امرأته فاطمة بنت صفوان ابن أمية بن محرق الكنانى ، هلك بأرض الحبشة . قتل عمرو بأجنادين من أرض الشام في خلافة أبي بكر رضى الله عنه .

ولعمرو بن سعيد يقول أبوه سعيد بن العاص بن أمية أبو أحيحة :

ألا ليت شعري عنك يا عمرو سائلا إذا شب واشتدت يداه وسلحسا
أترك أمر القوم فيه بلابل تكشف غيظا كان في الصدر موجعا (١)

ولعمرو وخالد يقول أخوهما أبان بن سعيد بن العاص ، حين أسلما ، وكان أبوه سعيد بن العاص هلك بالظريضة ، من ناحية الطائف ، هلك في مال له بها :

ألا ليت ميتا بالظريضة شاهدا لما يفتدى في الدين عمرو وخالد
أطاط بنا أمر النساء فأصبحنا يعينان من أعدائنا من نكابد
فأجابه خالد بن سعيد ، فقال :

أخى ما أخى لا شاتم أنا عرضه ولا ذو من سوء التالة مقصر

== وسلم : إن أهل اليمن قد سئوا لكم الصالحة ، وحديث آخر معناه تنزل على المتصالحين مائة رحمة تسمون منها للهادىء . وعن مالك فيها روايتان : الإباحة والكراهة ، ولا أدري ما وجه الكراهية في ذلك . عن السهيلي في الروض الآنف .
(١) البلابل : الاضطراب . وجحا : مستورا .

يقول إذا اشتدت عليه أموره ألا ليت ميتا بالطريفة ينشر

فدع عنك ميتا قد مشى لسيله وأقبل على الأدنى الذي هو أفقر

ومعيقب بن أبي فاطمة ، خازن عمر بن الخطاب على بيت مال المسلمين وكان إلى آل سعيد
ابن العاص ؛ وأبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس ، حليف آل عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ،
أربعة نفر .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصي : الأسود بن نوفل بن خويلد . رجل .

ومن بنى عبد الدار بن قصي : كجهم بن قيس بن عبد شرحبيل ، معه ابناه عمرو بن جهم ،
وخزيمة بن جهم ، وكانت معه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود هلكت بأرض الحبشة ،
وابناه لها . رجل .

ومن بنى زهرة بن كلاب : عامر بن أبي وقاص ، وعتبة بن مسعود ، حليف لهم من
هذيل . رجلان .

ومن بنى تميم بن مرة بن كعب : الحارث بن خالد بن صخر ، وقد كانت معه امرأته ربيعة
بنت الحارث بن مجبيلة ، هلكت بأرض الحبشة . رجل .

ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب : عثمان بن ربيعة بن أهبان . رجل .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب ، محبة بن الجوز ، حليف لهم من بنى زيد ،
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعله على خمس المسلمين . رجل .

ومن بنى عدي بن كعب بن لؤي : هعمر بن عبد الله بن فضلة . رجل .

ومن بنى عامر بن لؤي بن غالب : أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، ومالك بن ربيعة
ابن قيس بن عبد شمس ، معه امرأته سمرة بنت السعدى بن وقدان بن عبد شمس . رجلان .

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك : الحارث بن عبد قيس بن لقيط . رجل . وقد كان
حمل معهم في السفينتين نساء من نساء من هلك هنالك من المسلمين .

فهؤلاء الذين حمل التجاشى مع عمرو بن أمية الضمري في السفينتين ، لجميع من قدم في
السفينتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة عشر رجلا .

وكان من هاجر إلى أرض الحبشة ، ولم يقدم إلا بعد بدر ، ولم يحمل التجاشى في السفينتين

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن قدم بعد ذلك ، ومن هلك بأرض الحبشة ، من مهاجرة الحبشة :

من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عبيد الله بن جحش بن رثاب الأسدي ، أسد خزيمية ، حليف بنى أمية بن عبد شمس ، معه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وابنته حبيبة بنت عبيد الله ، وبها كانت تكنى أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وكان اسمها رملة خرج مع المسلمين مهاجرا ، فلما قدم أرض الحبشة تنصر بها وفارق الإسلام ، ومات هناك نصرانيا ، تخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأته من بعده أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، قال : خرج عبيد الله بن جحش مع المسلمين مسالما ، فلما قدم أرض الحبشة تنصر ، قال : فكان إذا مر بالمسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فتحنا وصأصأتم ، أى قد أبصرنا وأتم تلتمسون البصر ولم تبصروا بعد . وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صأصأ قبل ذلك فضرب ذلك له ولهم مثلا : أى أن قد فتحنا أعيننا فابصروا ، ولم تفتحوا أعينكم فتبصروا ، وأتم تلتمسون ذلك .

قال ابن إسحاق : وقيس بن عبد الله ، رجل من بنى أسد بن خزيمية ، وهو أبو أمية بنت قيس التي كانت مع أم حبيبة ؛ وامراته بركة بنت يسار ، مولاة أبي سفيان بن حرب ، كانتا ظئري (١) عبيد الله بن جحش ؛ وأم حبيبة بنت أبي سفيان ، فخرجا بهما معها حين هاجرا إلى أرض الحبشة . رجلا .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصي : يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، قتل يوم حنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيداً ؛ وعمر بن أمية بن الحارث بن أسد ، هلك بأرض الحبشة . رجلا .

ومن بنى عبد الدار بن قصي : أبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ؛ وفراس بن النضر بن الحارث بن كلفة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار . رجلا . ومن بنى زهرة بن كلاب بن مرة : المطلب بن أزد بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن

(١) الظئر : من ترضع ذئب ولدها .

زهرة ، معه امرأته رملة بنت أبي عوف بن ضيرة بن سعيد بن سعد بن سهم ، هلك بأرض الحبشة ، ولدت له هنالك عبد الله بن عبد المطلب ، فكان يقال : إن كان لأول رجل ورث أباه في الإسلام . رجل .

ومن بني تيم بن مرة بن كعب بن لؤى : عمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، قتل بالقادسية مع سعد بن أبي وقاص . رجل .

ومن بني غزوم بن يقظة بن مرة بن كعب : كهار بن سفيان بن عبد الأسد ، قتل بأجنادين من أرض الشام ، في خلافة أبي بكر رضى الله عنه ، وأخوه عبد الله بن سفيان ، قتل عام اليرموك بالشام ، في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يشك فيه أقتل ثم أم لا : ودشام ^(١) بن أبي حذيفة بن المغيرة ، ثلاثة نفر .

ومن بني جمح بن عمرو بن هيصم بن كعب : حاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن ودب بن حذافة بن جمح ، وابناه محمد والحارث ، معه امرأته فاطمة بنت المجلل . ذلك مسلما ، فقدمت امرأته وابناه ، وهما أمهما ، في إحدى السفينتين ؛ وأخوه حطاب بن الحارث ، معه امرأته فكيهة بنت يسار ، ذلك هناك مسلما ، فقدمت امرأته فكيهة في إحدى السفينتين ، وسفيان بن معمر بن حبيب ، وابناه جنادة وجابر وأمهما حسنة ، وأخوهما لأمهما شريحيل ابن حسنة ؛ وذلك سفيان وذلك ابنه جنادة وجابر في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ستة نفر .

ومن بني سهم بن عمرو بن هيصم بن كعب : عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد ^(٢) بن سهم الشاعر ، هلك بأرض الحبشة ، وقيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد .

(١) هشام بن أبي حذيفة بن الازيرة بن عبد الله بن غزوم ، واسم أبي حذيفة مهشم ، وذكر الواقدي هشاماً . هذا فيمن قدم من الحبشة غير أنه قيل فيه : هاشم ، ولم يذكره موسى بن عقبة ، ولا أبو معشر في التتادين من الحبشة .

(٢) وقد ذكرت بعض النسخ هنا وفيما سأتى : سعيد ، وهو تحريف . قال السبيل في الروض الأنف : « وحاشا تكرار نسب بني عدى بن سعد بن سهم يقول فيه ابن إسحاق « سعيد ، والناس على خلافه ، إنما هو سعد وإنما سعيد بن سهم أخو سعد ، وهو جد آل عمرو ابن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ، وفي سهم سعيد آخر وهو ابن سعيد المذكور » .

ابن سهم ؛ وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم ، قتل يوم اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وعبد الله بن حذافة بن قيس بن سعد بن سهم ، وهو رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى . والحارث بن الحارث بن قيس بن عدي ؛ ومعمّر بن الحارث بن قيس بن عدي ؛ وبشر بن الحارث بن قيس بن عدي ؛ وأخ له من أمه من بني تميم ، يقال له سعيد بن عمرو ، قتل بأجنادين في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ؛ وسعيد ابن الحارث بن قيس ، قتل عام اليرموك في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والسائب ابن الحارث بن قيس ، جرح بالطائف مع ربهول الله صلى الله عليه وسلم ، وقتل يوم الحُل (١) في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ويقال : قتل يوم خيبر ، يشك فيه ، وعمر بن رثاب ابن حذيفة بن مهشم بن سعد بن سهم ، قتل بعين التمر مع خالد بن الوليد ، متصرفاً من اليمامة ، في خلافة أبي بكر رضي الله عنه . أحد عشر رجلاً .

ومن بني عدي بن كعب بن لؤي : عروة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب ، هلك بأرض الحبشة ؛ وعدي بن فضلة بن عبد العزى بن حرثان ، هلك بأرض الحبشة . رجلان .

وقد كان مع عدي ابنه النعمان بن عدي ، فقدم النعمان مع من قدم من المسلمين من أرض الحبشة ، فبقي حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب ، فاستعمله على ميسان ، من أرض البصرة ، فقال أبايتا من شعر ، وهى :

ألا هل أتى الحسنة أن حليها	يميسان يسمي في زجاج وحتم ^(٢)
إذا شئت غنتي دهاقين قرية	ورقاصة تهجدو على كل منسم ^(٣)
فإن كنت قدما في الأكراسقى	ولا تسقى بالأصفر المتسلم
لعل أمير المؤمنين يسوء	تادمتا في الجوسق المتهدم ^(٤)

فلما بلغت أبياته عمر ، قال : نعم والله ، إن ذلك ليسوءنى ، فن لقيه فليخبره أنى قد عزلته ،

(١) الحُل : موضع بالشام : كانت فيه وقعة للمسلمين مع الروم .

(٢) الحتم : جرار مصبوغة مخضرة .

(٣) الدهاقين : رؤساء الأقاليم . تهجدو : تبرك على ركبتيها . والمنسم : في الأصل طرف

خف البعير . فاستعاره هنا لطرف قدمها . (٤) الجوسق : الحصن .

وعزله . فلما قدم عليه اعتذر إليه وقال . والله يا أمير المؤمنين ، ما صنعت شيئاً مما بلغك أنى قلته قط ، ولكنى كنت امرأ شاعراً ، وجدت فضلاً من قول ، فقلت فيما يقول الشعراء ؛ فقال له عمر : وإيم الله ، لا تعمل لى على عمل ما بقيت ، وقد قلت ما قلت .

ومن بنى عامر بن لؤى بن غالب بن فهر : سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر ابن مالك بن حسل بن عامر . وهو كان رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هوزة بن على الحنفى باليمامة . رجل

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك : عثمان بن غنم بن زهير بن أبى شداد ؛ وسعد بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الحارث بن فهر ، وعياض بن زهير بن أبى شداد . ثلاثة نفر .

لجميع من تخلف عن بدر ، ولم يقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، ومن قدم بعد ذلك ، ومن لم يحمل النجاشى فى السفينتين ، أربعة وثلاثون رجلاً .

الهالكون منهم : وهذه تسمية من هلك منهم ومن أبنائهم بأرض الحبشة : من بنى عبد شمس بن عبد مناف : عبيد الله بن جحش بن رثاب حليف بنى أمية ، مات بها نصرانياً .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصي : عمرو بن أمية بن الحارث بن أسد . ومن بنى جمح : حاطب بن الحارث ؛ وأخوه حطاب بن الحارث . ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب : عبد الله بن الحارث بن قيس . ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى : عروة بن عبد العزى بن حريث بن عوف ، وعدى بن فضلة . سبعة نفر

ومن أبنائهم ، من بنى تيم بن مرة : موسى بن الحارث بن خالد بن صخر بن عامر . رجل . مهاجرات الحبشة : وجميع من هاجر إلى أرض الحبشة من النساء ، من قدم منهن ومن هلك هنالك ست عشرة امرأة ، سوى بناتهن اللاتي ولدن هنالك ، من قدم منهن ومن هلك هنالك ، ومن خرج به معهن حين خرجن :

من قريش ، من بنى هاشم : رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى أمية : أم حبيبة بنت أبي سفيان ، مع ابنتها حبيبة ، خرجت بها من مكة ، ورجعت بها معها .

ومن بنى مخزوم : أم سلمة بنت أمية ، قدمت معها بزيب ابنتها من أبي سلمة ولدتها هنالك .
ومن بنى تيم بن مرة : ريطة بنت الحارث بن مُجيلة ، هلكت بالطريق وبتان لها كانت ولدتها هنالك : عائشة بنت الحارث ، وزيب بنت الحارث ، هلكن جميعاً ، وأخوهن موسى بن الحارث ، من ماء شربوه في الطريق ، وقدمت بنت لها ولدتها هنالك ، فلم يبق من ولدها غيرها ، يقال لها فاطمة .

ومن بنى سهم بن عمرو : رملة بنت أبي عوف بن ضيرة .

ومن بنى عدى بن كعب : ليل بنت أبي حثمة بن غانم .

ومن بنى عامر بن لؤى : سودة بنت زمعة بن قيس ؛ وسهلة بنت سبيل بن عمرو ، وابنة الجبال ، وعمرة بنت السعدى بن وقدان ، وأم كلثوم بنت سبيل بن عمرو .

ومن غرائب العرب : أسماء بنت عيسى بن النعمان الحثعمية ، وفاطمة بنت صفوان بن أمية ابن محرز الكنانية ، وفكيلة بنت يسار ، وبركة بنت يسار ، وحسنة ، أم شرحبيل بن حسنة .

من ولد من أبنائهم بالحبيشة : وهذه تسمية من ولد من أبنائهم بأرض الحبشة .

من بنى عبد شمس : محمد بن أبي حذيفة ، وسعيد بن خالد بن سعيد ، وأخته أمة بنت خالد .
ومن بنى مخزوم : زيب بنت أبي سلمة بن الأسد .

ومن بنى زهرة : عبدالله بن المطلب بن أزمهر .

ومن بنى تيم : موسى بن الحارث بن خالد ، وأخواته عائشة بنت الحارث ، وفاطمة بنت الحارث ، وزينت بنت الحارث .

الرجال منهم خمسة : عبد الله بن جعفر ، ومحمد بن أبي حذيفة ، وسعيد بن خالد ، وعبد الله ابن عبد المطلب ، وموسى بن الحارث .

ومن النساء خمس : أمة بنت خالد ، وزيب بنت أبي سلمة ، وعائشة وزيب وفاطمة ، بنات الحارث بن خالد بن صخر .

[تم بحون الله وحسن توفيقه الجزء الثالث من سيرة
ابن هشام ويليهِ الجزء الرابع نرجو من الله أن يعين على تمامه]

فهرست الجزء الثالث

من سيرة ابن هشام

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٥	شعر الأسود وأبي سفيان في قتل حفظة	٣	غزوة بني سليم بالكندر
٢٦	حسان والحارث يردان على أبي سفيان		غزوة السويق
٢٧	الزبير يذكر سبب الهزيمة	٤	غزوة ذي أمر
	حسان يذكر شجاعة صواب		غزوة الفرع من بحران
	شعر حسان في شجاعة عمرة الحارثية	٥	أمر بني قينقاع
٢٨	ما أصاب الرسول يوم أحد	٧	سرية زيد بن حارثة إلى القردة
٢٩	من شجاعة أصحاب الرسول		مقتل كعب بن الأشرف
٣١	مقتل أبي بن خلف	١٢	أمر بحصة وحويصة
٣٢	انتهاء الرسول إلى الشعب	١٤	غزوة أحد
	سعد بن أبي وقاص يحرم على		اجتماع قريش للحرب
	قتل عتبة	١٦	رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
	عمر يصعد إلى قريش الجبل		ومشاوريه القوم
٣٣	معاونة طلحة للرسول	١٧	انخزال المنافقين
	مقتل اليمان وابن وقش وابن حاطب		ما كان من مربع المنافق حين سلك
٣٤	مقتل قزمان منافقا		المسلمون حائطه
	قتل عخيريق	١٨	نزول الرسول بأحد
	الحارث بن سويد		الرسول يميز من هم في الخامسة عشرة
٣٥	أمر أصيرم		أبو دجاجة وشجاعته
	عمرو بن الحوحي ومقتله	١٩	أبو عامر الفاسق
٣٦	هند وتمثيلها بحمزة		أبو سفيان وامراته يحرضان قريشاً
٣٨	أبو سفيان يشمت بالمسلمين	٢١	استشهاد حمزة
	على يخرج في آثار قريش	٢٣	استشهاد مصعب
	سعد بن الربيع	٢٤	خبر عاصم بن ثابت

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٩	الرسول يحزن على حمزة ويتوعد	١٢٦	غزوة دومة الجندل
٤١	المشركين بالمثلثة	١٢٧	غزوة الخندق
٤٣	دفن الشهداء	١٢٨	اليهود تحزب الأحزاب
٤٤	المراة الدينارية	١٢٩	خروج الأحزاب
٤٦	غسل السيوف	١٣١	حضر الخندق
٤٧	غزوة حراء الأسد	١٣٣	ما نزل من القرآن في حق العالمين
٥٧	شأن عبد الله بن أبي بعد غزوة أحد	١٣٤	في الخندق
٥٨	تمحيص المؤمنين يوم أحد	١٣٥	المسلمون يرتجزون وهم يعملون
٥٩	ذكر ما أنزل الله في أحد من القرآن	١٣٦	معجزات ظهرت في حفر الخندق
٦٢	مصير قتلى أحد	١٣٧	حي بن أخطب يعرض كعب
٦٣	من خرجوا مع الرسول إلى	١٣٨	ابن أسد
٦٤	حراء الأسد	١٣٩	لم يكن معتب منافقا
٦٥	ذكر من استشهد بأحد من المهاجرين	١٤٠	محاولة الصلاح مع غطفان
٦٦	ذكر من استشهد بأحد من الأنصار	١٤١	سليمان يشير بحفر الخندق
٦٧	ذكر من قتل من المشركين يوم أحد	١٤٢	هجاء حسان لعكرمة
٦٨	ذكر ما قبل من الشعر يوم أحد	١٤٣	استشهاد سعد بن معاذ
٦٩	ذكر يوم الرجيع	١٤٤	حديث خنسان في وقعة الخندق
٧٠	مقتل خبيب وأصحابه	١٤٥	خداع نعيم للمشركين
٧١	ما نزل في سرية الرجيع من القرآن	١٤٦	ما أنزل الله بالمشركين
٧٢	حديث بئر معونة	١٤٧	استخبار ما حل بالمشركين
٧٣	أمر لاجلاء بني النضير	١٤٨	أبو سفيان ينادى بالرجول
٧٤	ما نزل في بني النضير من القرآن	١٤٩	غزوة بني قريظة
٧٥	ما قبل في بني النضير من الشعر	١٥٠	جبريل يأتي بحرب بني قريظة
٧٦	غزوة ذات الرقاع	١٥١	على يبالغ الرسول ما سمعه من بني قريظة
٧٧	صلاة الخوف	١٥٢	جبريل في صورة دحية الكلبي
٧٨	غزوة بدر الآخرة	١٥٣	المقتصد
		١٥٤	كعب أسد يفتح هرج

الموضوع	ص	الموضوع	ص
تقسيم الثيء بين المسلمين	١٧٨	قصة أبي لبابة	١٤٣
لأنذر في معصية		إسلام بعض بني هديل	١٤٤
ما قيل من الشعر في يوم ذي قرد	١٧٩	قصة عمرو بن سعدى	
غزوة بني المصطلق	١٨٢	تحكيم سعد في أمر بني قريظة	١٤٥
سديها		قصة الزبير بن باطا	١٤٧
استشهاد ابن صبابه خطأ		عطية القرظى ورفاعة بن سمؤال	١٤٨
الفتنة بين المهاجرين والأنصار		تقسيم الثيء	١٤٩
نفاق ابن أبي	١٨٣	إسلام ربحانة	
ما نزل في ابن أبي	١٨٤	ما نزل من القرآن في الخندق	
موقف عبد الله من أبيه		وبني قريظة	
مخادعة مقيس	١٨٥	إكرام سعد في موته	١٥٣
قتلى بني المصطلق		الشهداء يوم الخندق	١٥٥
جويرية بنت الحارث رضى الله عنها		قتلى المشركين	
خبر الإفك في غزوة بني المصطلق	١٨٧	الشهداء يوم بني قريظة	١٥٦
أمر الحديبية سنة ست	١٩٦	ما قيل من الشعر في أمر الخندق	
بيعة الرضوان	٢٠٢	وبني قريظة	
أمر الهدنة		مقتل سلام بن أبي الحقيق	١٧٠
شروط الصلح	٢٠٣	إسلام عمرو بن العاصر، وعالده	١٧٣
أبو جندل بن سهيل	٢٠٤	ابن الوليد	
من شهدوا على الصلح		إسلام عثمان بن طلحة	١٧٤
الإحلال		غزوة بني الحيان	
نزول سورة الفتح	٢٠٥	غزوة ذي قرد	١٧٥
أمر المستضعفين بمكة بعد الصلح	٢٠٧	تسابق الفرسان	١٧٦
قصة أبي بصير		عمر بن لفضة ومقتله	١٧٧
أمر المهاجرات بعد الهدنة	٢٠٩	أفراس المسلمين	
بشرى فتح مكة	٢١٠	قتلى المشركين	١٧٨

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢١١	ذكر المسير إلى خيبر	٢٢٢	حديث الأسود الراعى في خيبر
٢١٢	أشياء نهى عنها الرسول يوم خيبر	٢٢٣	حديث الحجاج بن علاط السلمى
٢١٤	بنو سهم	٢٢٤	ما قيل من الشعر في خيبر
	مقتل مرحب	٢٢٥	تقسيم خيبر وأموالها
٢١٥	مقتل ياسر	٢٢٨	وصية الرسول عند موته
٢١٦	فتح خيبر على يد على		خبر فذك
	حديث أبي اليسر	٢٢٩	تسمية النفر الدارين الذين أوصى
٢١٧	صفية رضى الله عنها		لهم الرسول من خيبر
	صلاح خيبر	٢٣٠	عمر يهلى يهود خيبر
٢١٨	قصة الشاة المسمومة	٢٣١	عمر يقسم وادى القرى
٢١٩	جزاء الغال من الغنيمة	٢٣٢	قدوم جعفر بن أبي طالب من
	حراسة أنى أيوب للرسول		الحبشة والمهاجرين معه
	بلال يغلبه النوم وهو يرقب الفجر	٢٣٨	المالكون منهم
٢٢٠	شعر ابن لقيم في فتح خيبر		مهاجرات الحبشة
٢٢١	شهداء خيبر	٢٣٩	من ولد من أبنائهم بالحبشة

